I.F.A.O.
N. 18872

المجلد السابع عشر الجزء الأول والثاني

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئ سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٢ م
المحرم وصفر سنة ١٣٦١ هـ

INSTITUT FRANÇAIS D'ARCHÉOLOGIE ORIENTALE DU CAIRE
BIBLIOTHÈQUE

دمشق
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
وفي جميع الاقطار ٤٠٠ « «

مطبعة الترقي بدمشق

اعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م

عدد	الاسم	محل الاقامة
١	السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي	دمشق
٢	الدكتور اسعد الحكيم	»
٣	الشيخ بهجة البيطار	»
٤	السيد خليل مردم بك	»
٥	〃 رشيد بقدونس	»
٦	〃 سليم الجندي	»
٧	〃 شفيق جبري	»
٨	الشيخ عبد القادر المبارك	»
٩	〃 عبد القادر المغربي	»
١٠	السيد عز الدين التنوخي	»
١١	〃 فارس الخوري	»
١٢	الدكتور مرشد خاطر	»
١٣	السيد معروف الارناؤوط	»
١٤	الامير مصطفى الشهابي	»
١٥	الشيخ بدر الدين النعساني	حلب
١٦	〃 راغب الطباخ	»
١٧	〃 عبد الحميد الجابري	»
١٨	〃 عبد الحميد الكيالي	»
١٩	السيد سويريوس افرام	حمص
٢٠	الشيخ ابراهيم منذر	بيروت
٢١	〃 فؤاد الخطيب	»
٢٢	السيد بولس الخولي	»
٢٣	〃 عمر الفاخوري	»
٢٤	الفيكونت فيليب دي طرازي	»
٢٥	الشيخ مصطفى الغلاييني	»
٢٦	الدكتور نقولا فياض	بيروت
٢٧	السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة (لبنان)
٢٨	〃 عارف النكدي	عبية (لبنان)
٢٩	الشيخ احمد رضا	جبل عاملة
٣٠	〃 سليمان ظاهر	
٣١	〃 سليمان احمد	اللاذقية
٣٢	السيد ادوار مرقص	»
٣٣	الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية
٣٤	السيد محمد اسعاف النشاشيبي	القدس
٣٥	〃 عبد الله مخلص	»
٣٦	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
٣٧	الاب انستاس ماري الكرملي	»
٣٨	السيد كاظم الدجيلي	»
٣٩	〃 معروف الرصافي	»
٤٠	〃 طه الراوي	»
٤١	الشيخ محمد بهجة الاثري	»
٤٢	〃 مصطفى باشا عبد الرازق	مصر
٤٣	السيد عبد العزيز البشري	»
٤٤	السيد خليل ثابت	»
٤٥	أحمد بك أمين	»
٤٦	السيد أحمد حسن الزيات	»
٤٧	〃 محمد لطفي جمعة	»
٤٨	الدكتور أحمد عيسى بك	»
٤٩	أحمد لطفي السيد باشا	»
٥٠	السيد خير الدين الزركلي	»

عدد	الاسم	محل الاقامة
٥١	الدكتور أمين باشا المعلوف	مصر
٥٢	خليل مطران بك	»
٥٣	السيد عباس محمود العقاد	»
٥٤	الشيخ محمد الخضر حسين	»
٥٥	السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٥٦	الشيخ عبد الحي الكتاني	فاس
٥٧	الامير شكيب أرسلان	لوزان
٥٨	السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي	الهند
٥٩	〃 عباس إقبال	طهران
٦٠	〃 مارسيه	تونس
٦١	〃 ماسه	الجزائر
٦٢	〃 كولان	رباط (مراكش)
٦٣	〃 كي	»
٦٤	〃 دوسو	باريز
٦٥	〃 ماسينيون	»
٦٦	〃 بوفا	»
٦٧	〃 آسين بلاسيوس	مجريط (اسبانيا)
٦٨	〃 لويس	لشبونة (البرتغال)
٦٩	〃 هيس	سويسرة

عدد	الاسم	محل الاقامة
٧٠	السيد هوتسما	هولاندة
٧١	» أراندونك	〃
٧٢	» كرنكو	انكلترة
٧٣	» بروكلن	ألمانية
٧٤	» هارتمان	〃
٧٥	» ميتفوخ	〃
٧٦	» زترستين	السويد
٧٧	» اوستروب	الدانيمارك
٧٨	» موجيك	فينا
٧٩	» ماهلر	بودابست
٨٠	» كوفالسكي	بولونية
٨١	» كراتشكوفسكي	لينينغراد
٨٢	» موزل	براغ
٨٣	» كريكو	فنلاندة
٨٤	» ماكدونالد	أميركا
٨٥	» هرزفلد	〃
٨٦	» فيليب حتي	〃
٨٧	الدكتور سعيد أبو جمرة	البرازيل

اعضاء المجمع العلمي الراحلون

عدد	الاسم	محل الاقامة
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق
٢	〃 مسعود الكواكبي	〃
٣	السيد مالنجو	دمشق
٤	الشيخ سليم البخاري	〃

عدد	الاسم	محل الاقامة
٥	السيد الياس قدسي	دمشق
٦	: أنيس سلوم	〃
٧	: جميل العظم	〃
٨	: سليم عنحوري	〃
٩	: عبد الله رعد	:
١٠	: أمين الريحاني	بيروت
١١	: حسن بيهم	:
١٢	الأب لويس شيخو	:
١٣	الشيخ عبدالله البستاني	:
١٤	السيد جبر ضومط	:
١٥	: عبد الباسط فتح الله	:
١٦	الشيخ عبد الرحمن سلام	:
١٧	السيد جرجي يني	طرابلس الشام
١٨	الدكتور صالح قباز	حماه
١٩	الأب جرجس شلحت	حلب
٢٠	السيد جرجس منش	:
٢١	〃 قسطاكي حمصي	:
٢٢	الشيخ كامل الغزي	:
٢٣	السيد ميخائيل الصقال	:
٢٤	الشيخ خليل الخالدي	القدس
٢٥	السيد نخلة زريق	:
٢٦	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٢٧	: جميل صدقي الزهاوي	بغداد
٢٨	: محمود شكري الآلوسي	:
٢٩	: احمد الاسكندري	مصر
٣٠	احمد زكي باشا	:
٣١	احمد شوقي بك	:
٣٢	السيد أسعد خليل داغر	:
٣٣	حافظ ابراهيم بك	:
٣٤	الشيخ محمد رشيد رضا	:
٣٥	السيد مصطفى صادق الرافعي	مصر
٣٦	أحمد كمال باشا	:
٣٧	أحمد تيمور باشا	:
٣٨	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	:
٣٩	الدكتور يعقوب صروف	:
٤٠	السيد اوجينيو غريفيني	:
٤١	〃 رفيق العظم	:
٤٢	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
٤٣	السيد رنه باسه	:
٤٤	: ميشو بلاير	طنجة
٤٥	: زكي مغامز	الاستانة
٤٦	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٤٧	السيد فراق	باريز
٤٨	: كليمان هوار	:
٤٩	: جويدي	ايطاليا
٥٠	: نلينو	:
٥١	: هومل	المانيا
٥٢	: ساخاو	:
٥٣	: هوروفيتز	:
٥٤	: مارتين هارتمان	:
٥٥	: موتته	سويسرا
٥٦	: سنوك هوغرنيه	هولاندة
٥٧	: مرجليوث	انكلترا
٥٨	: جفن	:
٥٩	: براون	:
٦٠	: بول	الدانيمارك
٦١	: بدرسن	:
٦٢	: اغناطيوس غولد صهير	بودابست
٦٣	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	زنجان

هل تمدّنا ؟ (١)

« ادعى بعض الهازلين ان مقياس تمدن أمة ما تنفقه من صابون وطوابع بريد ، وهذا التعريف الغريب غير كاف للابانة عن معنى التمدن ، فعلى المتمدّن ان يعرف بعض اسرار القوى المحيطة به ، وبقدر ما تكثر معلوماته من هذا القبيل يكون حظه من المدنية أوفر . والهمجي هو الذي لا يفهم شيئاً من أمور العالم ، أما نحن فقد فهمنا اكثر منه قليلاً قليلاً . ومنها ان معرفتنا بأن الجدري مرض جرثومي ينتشر ولكن لا يفعل مَلك جبار بُعدٌ من المدنية . وعلمنا بأن خسوف القمر يحصل من اعتراض الارض بينه وبين الشمس ولا يحدث من فعل تنين يأكله ، بُعد خروجاً من الوحشية بعض الشيء . والقول بأن الهواء ثقيل ويتألف من غازين مختلفين ينم عن بلوغنا درجة من الرقي العقلي .

« والواقع ان معرفة الأشياء أحياناً تستلزم امكان الانتفاع بها وتطبيقها على حاجاتنا ، فمتى عرف ان الجدري ينشأ من جرثومة وانا في امكاننا وقاية اجسامنا اذا اتقينا تلك الجرثومة بجرثومة اخرى ، فهذا يقال له تمدن لأنه جزء من معرفة الأشياء . وفي وسعنا بالاعتماد على هذه المعرفة تنبينا ان نكون بأمن من الجدري وان نبدد بعض اعراض البؤس الشديد .

« وهناك فرض آخر بسيط للغاية ذلك انا اذا ادعينا اننا نعلم الآن جميع الاسرار التي يعرفها البشر بعد قرن فنحن اكثر تمدناً مما نحن اليوم ، ولنا أن نقول ان رجال هذا العهد اكثر تمدناً مما كان معاصرو ليوناردي فنشي ، ومن عاصروا هذا الرجل اكثر تمدناً من جنود اغاممنون . ولا يفهم من معنى التمدن فرط السعادة ابداً ، فقد يحدث ان يسيء الناس كثيراً استعمال المنافع التي أتاهم بها العمل العلمي المستديم فلا يحصل الانتفاع بالعلم . فاذا كانت الطيارات تستخدم خاصة في ضرب

(١) حديث القاه السيد محمد كرد علي في راديو فلسطين بالقدس يوم الخميس في ٢ رمضان سنة ١٣٦٠ و ٢ ايلول سنة ١٩٤١

المدن فالطيران اكتشاف مغبر، واذا كان من ارتقاء الكيمياء احداث غازات سامة تهلك سرية من الجند في بضع دقائق فالكيمياء علم ملعون . فالتمدن اذاً بالمعنى الصحيح الذي يدل عليه، هو مقدار عظيم من السعادة تحف حياتنا البشرية، ولا تقوم الا بمعرفة الأشياء وباستعمالها المفيد . والحاجة تستلزم فوق هذا ان يضم اليها ماله علاقة بالأخلاق كالتساند والاخاء الانساني وحرمة الحق . وحتى ثابت ما اقترحناه من ان سعادة البشر تتوقف على ارتقاء المعارف خاصة .

« لا يقوم تمدن ولا رفاهية بدون معرفة طبائع الأشياء، ولا تكون الحياة بغير هذا الا وحشية وفي أقسى وحشيتها، فالواجب صرف العناية الى الخير لا الى الشر . وبعبارة أخرى ان العلم شرط ضروري للسعادة البشرية ويتوقف على أمور أخرى . ان فهم قليل من الأمور في العالم ضروري لسعادة الناس العظمى او لشقائهم، وكل ارتقاء في العلم هو ارتقاء في المدنية ويعاون على سعادة البشر . »

هذا ما قاله العلامة شارل ريشه[1] في كتابه العالم . وعرّف الافرنج المدنية أيضاً بأنها وحدة مركبة من الأفكار السائدة والعادات الراسخة التي يعيش في سلطانها كل انسان عاش مجتمعاً مع غيره، وفي كل مكان جمع أناساً كانت بينهم علائق مستقرة او متزلزلة، وكان من هذه العلائق صفات وكفايات وبعض قوة او بعض ضعف، ومن كانت حاله كذلك فصفه بأنه متمدن . والفرق بين الشعوب الهمجية والشعوب المدنية ما تمتعت به هذه من أوضاع سياسية وادارية وثروة عامة وثقافة أدبية وفنية وعلمية واستقلال نسبي وان يكون ثمت توسع في العمل وسير الى الامام في النظام الاقتصادي والعقلي والأدبي فالرجل المتمدن هو الذي يرمي ببصره الى المستقبل، وهذا التعريف كاف لتمييزه عن المتوحش الذي يعيش كل يوم بيومه، ويستهلك في الحال كل ما يتحصل، ويسرف في قوته تلذذاً بالاسراف واللعب فقط، وهو ابداً ينظر الى الماضي ويلهو بالحاضر ولا ينظر الى المستقبل . واختلفوا في

---

(1) Charles Richet: Le Savant (Dans les caractères de ce temps.)

كتاب العالم لشارل ريشه (من مجموعة أخلاق هذا العصر)

الأسباب التي تنبعث منها المدنية فقال بعضهم ان المدنية تنبعث من العنصرية وقال بعضهم انها من ثمرة الدين وقال كارل ماركس ان المدنية بمجموعها (التشريع والاسرة والفن والعلم والأخلاق الخ) هي محصول الأسباب الاقتصادية ومرآة العوامل المادية . وسأل بوكل المؤرخ الانكليزي هل كانت الثقافة العقلية او الثقافة الاخلاقية هي التي تساعد على انبعاث المدنية ورجح العامل الأول أي الثقافة العقلية "[1] .

وبعد فقد توفرت بعض الأقطار العربية وفي مقدمتها مصر منذ القرن الماضي على السير في طرائق المتمدنين فبلغت بعد ثلاثة أجيال درجة عالية من التمدن ، وظل الجمهور الأعظم من بنيها على وحشيته ، فانفرجت مسافة التمدين بين ابن الريف وابن المدينة . وكذلك يقال في الشام فان المدنية دخلت مدنها وظلت البوادي ومعظم القرى على ما كانت عليه . وانك لترى في مصر والشام لعهدنا تمدناً لا يقل عن تمدن الشعوب الاوربية والى جانبه انحطاطاً عجيباً لا نسبة بينه وبين الترقي الذي بلغه سكان الحواضر .

لا جرم ان مظاهر الحضارة في كل بلد من بلدان الشرق والغرب متفاوتة ، فابن المدينة غير ابن القرية ابداً ، والتفاوت في مصر والشام عظيم جداً بين الحواضر والأرياف . وكلامنا نحصره في ذينك القطرين لانهما اول الأقطار العربية التي نهضت في العهد الأخير في هذا الشرق القريب . تباين شديد بين القروي والبلدي واكثر منه بين البدوي والحضري ، ولا يقل عنه الفرق بين المتعلم والجاهل .

قضى العلم الحديث على كثير من الخرافات كان الناس في العصر السالف يعدونها حقائق ثابتة لا تقبل الرد والنقض . كان الناس يعتقدون ان القمر يخسف بفعل حوت يهم بأكله وانهم اذا ضربوا له بما يفزعه يفلت من أنياب الحوت ، وان الارض واقفة على قرن ثور وانها ثابتة لا تدور . وان الطواعين

(1) Nouveau Larousse Illustré (Art. Civilisation)

قاموس لاروس المصور (مادة : تمدن)

Towner: La philosophie de la civilisation (Traduit de l'Anglais).

فلسفة التمدن لتونر (مترجم عن الانكليزية)

والاوبئة من فعل الجن ، ولا يعتقدون بالعدوى ولا يعترفون بوجود الجراثيم ، مع ان في السيرة النبوية احاديث تحذر من مداناة المريض ، وتقول بالنسمات المهلكة اي بالجراثيم ، وكانوا يتطيرون بالأيام والأناسي والحيوان والطير ، ويتيمنون بمن يقع من أنفسهم موقعاً حسناً او توهمهم المخيلة انهم مصدر للخير ، ويتطببون بالأدعية والتعاويذ ، ويحبون بالطلاسم والرقى ، ويؤمنون بالمغيبات والكرامات ، ويأنسون بالخرافات والخزعبلات . وقد بطل كل أولئك في البيئات المتعلمة ، ولم تخل بعض البيوت من بقايا محسوسة من هذه المعتقدات لأن عدد المتعلمين والمتعلمات من الأبناء والبنات أقل من الأميين والأميات .

كان الناس حاشا العلماء يحسنون ظنهم بالطرق والمشايخ فبطل هذا الاعتقاد في كثير من المدن والقرى . واذا ذكرت الآن أمام أناس وكانوا ممن أسعدهم الحظ بأن تعلموا التعليم الابتدائي او ممن عاشوا في بيئة راقية وسمعوا كلام المثقفين ضحكوا ممن يعتقد بها . وعلى هذا غدا الناس يستعملون عقولهم وكانوا مدة قرون يسلمون بكل ما سمعوا من كبير او ممن يعتقدون انه افهم منهم . وكان يهون على السذج ان يقضوا أياماً طويلة كل سنة لحضور الموالد وزيارة المشاهد وكان الناس في مصر وايران بل في فلسطين أيضاً يعطلون أشغالهم كل سنة للاشتراك بمولد بعض الأولياء وندبة أحد الشهداء ، فأبطلت الحكومات ذلك فعد ابطالها من علائم التمدن ، وكم من اعتقاد كان راسخاً في الصدور بقوة الجهل ، وتسلسله من الأجداد الى الأحفاد ، فعاق المرء عن التعلم والأخذ بالأسباب ، فنزع من الصدور ووقف المتمدنون من المتعلمين عند حد ما رسمته الشريعة من المعتقدات ونبذوا مازاد عليها وهذا أيضاً من التمدن .

كان جمهور الأمة يؤمن ايماناً غريباً بالسحر والتنجيم واستخراج البخت والفأل وتأثير العين ونفع الطلسمات والرقى فغدا اليوم ينكر صغار فتيان المدارس هذه الأمور ولا يسع آباءهم وأمهاتهم الا أن يقلدوهم في معتقدهم وهذا اعتراف ضمني من الأميين او ممن كان في طبقتهم بأن المتعلم أكثر معرفة ثم أكثر تمدناً ممن لم

يتعلم ولم يتثقف . كانوا الى عهد قريب يؤخذون بكلام كل من يقص عليهم غريبة فيعتقدون صحتها ويعظمون أمر من رواها ويعدون عمله من القربات فاضمحل كل ذلك ، وهذا أيضاً من المدنية حل العقل محل الجهل .

واذا جئنا نوازن بين حالنا اليوم وحالتنا في أواخر القرن الماضي من حيث الاجتماع والتنظيم والبعد ما أمكن عن التخريف والاعتقاد بالمجهولات نشهد مغتبطين انا خطونا خطوات واسعة في خمسين سنة ما خطتها اكبر الأمم الحديثة تمدنا في مثل هذه الحقبة . وانا لنرى اليوم ابن الثامنة عشرة الذي درس الدروس الثانوية ارقى بعقله ومعرفته من معظم من يروي التاريخ أخبارهم ويشير الى انهم من العلماء والفضلاء . وعلى هذا ترى أهل الطبقة الوسطى الآن يعيشون عيشة تقرب من عيش أعظم الخلفاء في القرون الاولى للاسلام بما اقتبسوه من مقومات المدنية ونعموا به من خيرات الحضارة الحديثة .

كان المسلمون يزجون كل شيء من أمور الدنيا بأمور الدين فقصروا اليوم الدين على أعمال الروح والتفتوا الى دنياهم فأخذوا عن الغرب طرائقه في معاناة الأمور المالية والاقتصادية ، ينشئون المصارف والبيوت المالية والتجارية على أساليب غربية صرفة لا شأن للدين فيها ، واقتبسوا قوانين الغرب وانظمته وأوضاعه وما وجدوا حرجاً في ذلك كما اقتبسوا معظم مصطلحاتهم المدنية في البيوت والمجالس والموائد والمولائم والملاهي والملابس والآلات وغيرها . وكلما عمت هذه الأفكار والأوضاع البوادي كما عمت المدن ، وتناولها الأميون كما تناولها المتعلمون ، زادت سعادة البيوت وسعادة المجتمعات واطلق علينا اسم متمدنين .

من علائم المدنية ما نشهده في مراعاة الجمهور للنساء في الطرق والسكك الحديدية والترام والمقاهي والمطاعم والفنادق ، وكن منذ جيل موضع سخرية وامتهان ، وهذا ولا شك من آثار استمتاع النساء بحقوقهن في هذا العصر وتبدل عظيم في نظر القوم اليهن ، ومن علائم المدنية انهن يتمتعن اليوم بالطلاق كما كان ذلك خاصاً بأزواجهن ، أعطين هذا الحق وما خرج المشرع عن قانون الشرع الذي اغفل

اجيالاً بقوة الجيل واستبداد الرجال بالنساء . ومعنى هذا ان ما تتمتع به المرأة اليوم من الحرمة والكرامة اكثر مما كانت عليه في القرون الوسطى . ذكر ابن الفرات في تاريخه في حوادث سنة ٧٩٣ انه صدر مرسوم الامير الكبير في القاهرة بأن لا تخرج امرأة من بيتها الى التربة وان كل من وجد منهن في تربة من الترب وسطت هي والمكارى والحمار ، والاً يتفرج أحد في مركب في البحر وان من وجد في مركب احرق هو والمركب والنوتي فتحامى الناس ذلك في أيام العيد ولم يجسر أحد ان يتفرج ولم تجسر امرأة تطلع الى القرافة ولا الى الترب .

وذكر هذا المؤرخ في حوادث تلك السنة ان الامير الكبير كشبغا نائب الغيبة في القاهرة أرسل جماعة من الاوجاقية السلطانية ومعهم جماعة من مماليكه فداروا الأسواق والقياسر والطرقات بالقاهرة وظواهرها فقطعوا اكمام النساء الواسعة بسكاكين كانت معهم وحصل لبعض النساء رجفة عظيمة لأنهم كانوا يأتون المرأة على حين غفلة ويمسكونها حتى يقطعوا كمها ، وبعض النساء وضعن حملهن من الرجفة وبعضهن سقط مغشياً عليه وامتنع النساء من لبس القمصان بالاكمام الواسعة وتفصيلها . قال المؤرخ ولو تم ذلك لكان خيراً عظيماً لكن النساء أعدن ذلك بعد حضور السلطان من الشام ! اهـ . جرى هذا في القاهرة أعظم مدن الاسلام مدنية في القرن الثامن كما شهد بذلك ابن خلدون المؤرخ العظيم .

ولك ان تعدّ في المتمدنين كل من لا يؤذي جاره ولا مواكله ولا رفيقه ولا المارة مهما كانت درجاتهم في المجتمع ولا يعبث بقانون المجتمعات ، وكل من يعرف أين تنتهي حريته الشخصية وتبدأ حرية غيره . فمن يلزم التؤدة والوقار في الجوامع والبيع ودور التمثيل والموسيقى والاندية والمتنزهات ويظهر بمظهر المعتدل في شعوره وحركاته وسمته ، ونظافة ثيابه وأطرافه ، ويتحرج من ايذاء مشافنه بعننانه وبخره يعد من المتمدنين ، وكذلك كل من لا يحدوه حب الفضول الى البحث في خصوصيات جاره ومواطنه ومساكنه الا اذا كان من وراء ذلك فائدة للمجتمع .

وكل من راعى القوانين العامة في بلاده يحسب رجلاً ممدناً ، وكل من تنظف وتجمل وتزين ، رجلاً كان او امرأة على شرط عدم الافراط في ذلك يعد ممدناً ، ومن يهون عليه خرق النظام ، فهو في أقصى دركات التوحش . واذا وقف المرء عند حدود الآداب العامة وصان لسانه عن استعمال الفاظ الفحش والبذاء واقتصر في كلامه العام على ما اذا أورده أمام العذارى لا يخجلن منه عدَّ عمله عمل المتمدنين ، وكلما أدرك المرء الا سعادة له ولذويه الا اذا اهتم للصالح العامة اهتمامه بمصالحه الخاصة وان سعادة غيره سعادة له ، وان شقاء وطنه يزيد ان لم يشارك مشاركة فعلية في انهاضه وانه اذا لم يأت هذا مختاراً عدَّ لصاً في أرضه يستمتع بخيراتها ويلقي على غارب غيره متاعبها .

مثال من تمدننا وتوحش أهل القرون الغابرة . ما اظن انساناً نظر قليلاً في كتب الأدب الا ورأى بعض شعرائنا يصدعون الآذان بما قالوه في وصف الخلخال ، وما تغزلوا به وا كبروا من جماله ، وما أبدوا من عجبهم من حركته وسكونه . ومن لم يتصور ذاك القيد الثقيل في رجل المرأة لا يدرك مقدار العبودية التي فرضها الرجال على النساء في غابر الأزمان ، ولا يعرف مدى الوحشية وقلة الذوق من عد مثل هذه الحديدة اللامعة من المغريات . ما الخلخال في الواقع الا صورة صادقة من عصور الهمجية الأولى ، ومن تأمله حق التأمل يدرك مضرته التي أعجب بها الشعراء ، ويحكم على الذوق المتقهقر عندهم . الى اليوم ترون صورة من الخلخال في أرجل بعض الفلاحات في ريف مصر وريف الشام كما نجد الفتيات الصينيات يحصرن أرجلهن في أحذية ضيقة من الحديد حتى اذا شببن بقيت أرجلهن صغيرة دليل الجمال .

كلما فكرت في هذا الخلخال أجد فيه البشاعة كلها والهمجية كلها ، وكلما رأيت كيف اضمحل وجوده عند ساكنات المدن اليوم لا يخامرني شك في أننا قطعنا مراحل طويلة في سبيل المدنية . وكذلك كلما رأيت ذاك الخزام الذين يخزمون به انف الفتاة وقد بطل أيضاً استعماله في المدن ، ولم يبطل عند البدويات والقرويات في القطر المصري خاصة . ولم يبطل الى اليوم ثقب اذني الفتاة ليعلق فيها القرطان

ولم يبطل الوشم في أكثر الأرجاء العربية يسوّدون بالزرقة الساعدين واليدين والرجلين والوجه واماكن أخرى من الجسم الانساني فتظل مشوهة طول حياتها وتفقد كثيراً من جمالها ويشاركها في هذا التشويه الرجال ·

كلما تأملت هذه التشويهات يحمل بها في الاكثر القوي على الضعيف، وقد اصبحت على توالي الاحقاب من الأمور المتعارفة التي لا تنكر، احمد الله على انه خلقنا في هذا العصر وخلق لنا عقولاً نميز بها بين الجميل والقبيح والنافع والضار · ومن المضحية جرأة النساء في مصر والحجاز على قطع جزء من جسم الفتاة لأمور يتوهمنها منها اذا شبت وكبرت، يغيرون بذلك صنع الخالق مع مخلوقة لا تملك أمر نفسها · ومن المدنية ان تنبو عيون ابناء هذا الزمان عن هذه التشويهات والمضحكات · وكيف لا نعد ذلك من المدنية ونسجل اللعنات على من آذوا المرأة في كل حالاتها وما عدوا شائن أعمالهم بدعة ·وكان الزوج يضرب زوجه ويشتمها ويضرب أولاده ويعبس في وجوههم بسبب وبلا سبب ويعامل المرأة خاصة معاملة قاسية لا ينظر اليها الا انها مملوكة ·

هذا واذا عدلنا مع أنفسنا وقسنا تمدننا في مجموع صوره على القاعدة التي سنها الغرب للمتمدنين وجعلوها المعيار في التمدن نجد أننا أحسنا الى الآن بعض فروعه وأغفلنا بعضاً وتلقفنا بعضاً · ردوا عوامل التمدن الى ثمانية أبواب [1] كما ردها العلامة وايل دوران المؤرخ الاميركي · الاول منها العمل من زراعة وصناعات وتجارة والثاني تأسيس حكومة منظمة تضمن حياة الاسرة والجماعة وسن القوانين وحماية الحياة والثالث الأخلاق والفضائل والرابع الدين من حيث هو عامل في المدنية يستخدم الاعتقاد بما وراء الطبيعة لتسكين الألم وتربية الخلق وحفظ النظام ومداواة الاوهام الاجتماعية والخامس العلم ويراد به النظر الصحيح الى الاشياء وصحة الملاحظة والعمل على جمع المعلومات التي يتكون منها على طول الزمن معارف ينتج منها بعض معرفة

(١) تاريخ التمدن لوال دوران (منقول عن الانكليزية)

Will Durant: Histoire de la civilisation (Traduit de l'Anglais.)

تؤثر في مصير المرء وتنفع في مدّ سلطانه على العالم والسادس عامل الفلسفة التي هي من وضع الانسان للوقوف على بعض أمور من هذا النظر الاجمالي من العالم والوصول الى حقائق الأشياء ومعرفة الحق والجمال والفضيلة والعدل المنبعثة من كبار الرجال والحكومات الصالحة والسابع الآداب وبها تنشر اللغة وتربى الناشئة ويرتقي الشعر والتمثيل وينقذ تراث الأجداد من العفاء والثامن الفن والمراد به تزيين الحياة بالألوان والألحان والأشغال ·

سيداتي سادتي «هذا ما يتسع له المقام لوصف المدنية ودرجتنا منها وعسى ان يجزل حظنا منها في الجيل القادم فان الأعوام التي قضيناها في تلقف المدنية قليلة بالنسبة للأعوام التي مرت على الغربيين ·

ابو العلاء المعري والحشر

حسد العلماء ابا العلاء على فضله

خطأ العلامة الزمخشري في قوله على ابي العلاء
خطأ العلامة الرازي فيما نسبه الى ابي العلاء
خطأ الدكتور طه حسين فيما ذهب اليه في ابي العلاء

جرت سنة الله في خلقه ان لا يرمى من الشجر بالحجر الا أطيبه ثمراً . وان لا يعذب بالسجن من الطير الا اجملها لوناً او أطربها صوتاً

وفي السماء نجوم لا عداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمر

وعلى هذه السنة جرى الناس ولا سيما العلماء منهم . فقلما رأينا رجلاً نبغ في علم او ضرب في العبقرية بسهم الا وقد قيض الله له طائفة من أمثاله يحرفون كلمه عن مواضعها ويصرفون اقواله عما يريد منها الى ما يريدون ويؤولون كلامه بما يشوه وجه الحقيقة فيها ، كل ذلك ليثيروا عليه الدهماء ويجعلوه عرضة للمؤاخذة والانتقام ويغضوا من كرامته

ولدينا من رجال التاريخ الوف من العلماء الأفذاذ رموا بالالحاد واتهموا بالزندقة ونسبوا الى المروق من الدين وهم أصح عقيدة ممن رماهم واكثر اعتصاماً بالدين ممن نعاه عنهم . وحسبك دليلاً على هذا ما تراه في اقوال العلماء والمؤرخين في أبي نصر الفارابي وابن سينا والغزالي وابي حيان التوحيدي وابن رشد وابن عربي وأمثالهم ممن رفعوا منار العلم وشيدوا صروح الحكمة

واذا بحثت عن هؤلاء الطاعنين في أولئك العباقرة وتقبت عن الأسباب التي حملتهم على النيل منهم اتضح لك ان الفئة الطاعنة بين معاصر يحسد معاصره على ما آتاه الله من فضله فهو لا يألو جهداً في الكيد له والافتراء عليه ولا يدخر وسعاً في اطفاء نوره . ليظهر بذلك فضله ويقوم مقامه

وبين متأخر يحب الظهور على رفات المتقدمين فيدفعه الحسد الى ان يتسقط

هفواتهم ويعظم الصغير من عثراتهم ، ويتصرف في حمل اقوالهم على الوجه الذي يعينه على الطعن فيهم ، وهناك فريق من المتأخرين إمعة يتابع كل قائل فيما يقول ويشايع كل راء فيما يرى وهذا من شر الناس على العلماء وأشدهم وطأة على النوابغ

وربما كان ابو العلاء من اكثر الفضلاء حساداً وربما كان حساده من أشد الناس تقولاً عليه وتحريفاً لأقواله

ولعل القارئ يعد هذا القول ضرباً من الاسراف والغلو فأنا أورد بعض الأدلة على صدق ما اقول حتى لا يظن ظان اني اتعصب لأبي العلاء او اتوسع في الاعتذار عنه او أتزيد للذود عنه . الدليل الأول

ذكر ابن العديم في الانصاف والتحري . ونقله عنه ياقوت في معجم الأدباء ج ١ ص ١٧٩ ان ابا العلاء كان يرى من اهل الحسد له بالتعطيل ، وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وايثاراً لاتلاف نفسه فقال ... ثم أورد ابياتاً لأبي العلاء في ذلك .

وذكر ابن العديم ان رجلين كانا يؤلبان عليه وينسبانه الى الكفر والالحاد وقد حرفا بيتاً من لزوم ما لا يلزم عن موضعه ليثبتا عليه الكفر بذلك فكتب رسالة الضبعين الى معز الدولة ثمال بن صالح يشكو اليه ذلك .

وطعن عليه جماعة في أبيات من لزوم ما لا يلزم ونسبوه الى الكفر فوضع كتاب زجر النابح ليرد عليهم ويبين وجوه الابيات ومعانيها ثم طعن عليه آخرون في أبيات أخر فوضع كتاب نجر الزجر أو بحر الزجر فبين التحريف ووجوه الأبيات .

وحسبك من هذا النوع ما قاله جماعة من العلماء في كتابه الفصول والغايات فقد زعموا انه عارض به القرآن ونسبوه الى الكفر والزندقة والالحاد بسببه

وليس في الكتاب شيء مما زعموا وقد طبع الجزء الأول منه وهو على طرف الثمام لمن اراد الالمام به

الدليل الثاني

كان ابو العلاء في بغداد فتوفي الشريف والد الرضى والمرتضى فرثاه ابو العلاء بقصيدة قال فيها .

الموقدي نار القرى الآصال والأ ... حار بالاهضام والاشعاف

حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ... ترمي بكل شرارة كطراف

والبيت الثاني من اجمل ما قيل في وصف النار وسطوعها في الدجى وتشبيه الشرارة بالطراف على غاية من الروعة والابداع ثم مضى في وصف النار وصفاً يقصر عن مثله البصراء ، ومراده من ذلك كله وصفها بالكرم والاطعام وهذا سبيل البلغاء في ذلك العصر والذي قبله

فجاء العلامة الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ وقال في تفسيره الكشاف [عند قوله تعالى انها ترمي بشرر كالقصر] قال ابو العلاء . حمراء ساطعة .

ثم قال فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيهاً للسامعين على مكانها . ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كأنه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كميت أحمر على ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهاً من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله اغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه .

هذا كلام الزمخشري . واذا تأملت ابيات المعري لا تجد فيها تعرضاً لذكر القرآن ولا معارضة لتشبيهاته ولا شيئاً يتصل بالقرآن او تشم منه رائحة المعارضة .

واذا تأملت قول الزمخشري لا تجد مناسبة لذكر بيت المعري على هذا الوجه ولا سبباً داعياً اليه ولا تجده في طعنه بالمعري موفقاً . ولذلك انكرت عليه جماعة من الفضلاء قوله هذا . منهم صدر الأفاضل الخوارزمي فانه نقل قول الزمخشري ثم قال : ولا ادري من أين له انه قصد الزيادة على تشبيه القرآن فمن المعلوم ان القصر أعظم من الطراف ولكن الزمخشري مع فضله كان حديد المزاج كثيراً

ومنهم العلامة فخر الدين الرازي فانه ذكر في تفسيره مفاتيح الغيب ج ٨ ص ٣٠٧ بيت المعري ثم قال زعم صاحب الكشاف انه ذكر ذلك معارضة لهذه الآية . واقول كان الأولى لصاحب الكشاف ان لا يذكر ذلك . ثم ذكر اثنى عشر وجهاً يفضل بها تشبيه القرآن على تشبيه المعري بأسلوب ينم على فضل وعلم وابتعاد عن الحقد واللؤم

وأنا أقول ان أبا العلاء لما نظم هذا البيت لم تخطر في باله هذه الآية الكريمة ولادارت في خلده معارضتها اوالزيادة عليها ولو كان شيء من هذا لتأثر بلفظها اومعناها

ومن البعيد ان يحاول ابو العلاء معارضة القرآن وهو القائل في رسالة الغفران ص ١٥٨ ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب بهر بالاعجاز ولقي عدوه بالارجاز ماحذي على مثال ولا أشبه غريب الامثال ... ما هو من القصيد ولا الرجز ... ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة ... وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون فتكون كالشهاب المتلألئ في جنح غسق والزهرة البادية في جدوب ذات نسق .

وبهذا القدر يتضح ان الزمخشري على جلالة فضله تقوّل على ابي العلاء وتأول كلامه على وجه لم يكن له به علم ولا رضى وتغاضى عما في البيت من جمال التأليف وروعة التشبيه وان كان دون كلام الخالق في ذلك كله

الدليل الثالث

استشهد جلال الدين القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ في بحث تقديم المسند اليه من كتابه تلخيص المفتاح بقول ابي العلاء

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

فقال السعد التفتازاني في شرحه المختصر . يعني تحيرت الخلائق في المعاد الجسماني والنشور الذي ليس بنفساني بدليل ما قبله

بان أمر الإله واختلف النا س فداع الى ضلال وهاد

يعني بعضهم يقول بالمعاد وبعضهم لا يقول به . هذا ماقاله السعد .

ثم جاء العلامة البناني فقال في التجريد ج ص ١٨٨ لا يبعد ان يكون تقديم القول بالمعاد في تفسير البيت [مع ان الظاهر هو اللف والنشر المرتب] ايماء الى ان مراد الشاعر بالداعي الى الضلال هو القائل بالمعاد بناء على ما اشتهر في التواريخ من ان أبا العلاء ملحد منكر للحشر ويومئ اليه بيته المشهور عند من له ذوق سليم وهو قوله

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

ونقل ذلك عن الغزي - فانظر كيف تأول هذان العالمان قول المعري تأولاً فاسداً بناء على ما اشتهر عنه مع انه يصرح في القصيدة التي منها البيت الأول بالحشر بقوله

انما ينقلون من دار اعما ل الى دار شقوة او رشاد

والبيت الذي ادعيا ان فيه ايماء ليس فيه ايماء الى انكار الحشر بل صرح بالنار في البيت الذي قبله وهو

تناقض مالنا الا السكوت له وان نعوذ بمولانا من النار

ولا شك أن المراد النار في الآخرة وهو تصريح بالحشر

الدليل الرابع ان ابا العلاء قال في لزوم مالا يلزم

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا

يحطمنا صرف الزمان كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ونسب اليه جماعة هذه الأبيات

ريب الزمان مفرق الإلفين فاحكم إلهي بين ذاك وبيني

انهيت عن قتل النفوس تعمداً وبعثت تأخذها مع الملكين

وزعمت أن لها معاداً ثانياً ما كان أغناها عن الحالين

ومنهم من روى البيتين الأخيرين فقط وفي بعض الروايات اختلاف وليس شيء من هذه الأبيات الثلاثة في لزوم مالا يلزم ولا في شيء من كتب ابي العلاء التي وصلت الينا .

فاتخذ جماعة من العلماء من هذه الأبيات حجة على كفره وانكاره الحشر وطبع على غرارهم صاحب ذكرى ابي العلاء وزاد عليهم بيتاً آخر استدل به على شك ابي العلاء في الحشر وهو

يا مرحباً بالموت من منتظر ان كان ثم تعارف وتلاق

كما زاد عليهم اذ جعله مرة يثبت الحشر كما في ص ٢٩٤ من تجديد ذكرى ابي العلاء وثانية ينكره نصاً وثالثة يقف موقف الشك ورابعة يجزم بمذهب افلاطون وخامسة أنه تناه اكثر من ستين مرة في اللزوم من غير ان يبين واحدة منها ثم ختم كلامه بقوله الروح الفلسفي يثبت لنا ان ابا العلاء ان لم يكن قد أنكر البعث انكاراً تاماً فقد شك فيه شكاً شديداً .

واذا نظر الانسان نظر العاقل المنصف في البيتين الأولين : ضحكنا وكان الضحك ... لا يرى لها علاقة بالحشر ولا فيها دلالة على اثباته وانكاره وانما جرت عادة البلغاء ان يجعلوا الزجاج مثلاً أعلى في الضعف وسرعة التكسر . وفي عدم الجبر ومن الأول ما جاء في الحديث الشريف رويدك رفقاً بالقوارير أراد النساء وشبههن بالقوارير من الزجاج لأنها يسرع اليها الكسر

ومن الثاني قول حسان بن ثابت

وامانة المري حيث لقيته مثل الزجاجة صدعها لا يجبر

وقد درج ابو العلاء على هذه الطريقة فشبه الناس بالزجاج في سرعة التحطم والعجز عن المقاومة والجلد في هذه الحياة الدنيا ومن كان هذا شأنه فيها فجدير به أن لا يضحك في دنياه بل يبكي ثم ذكر ان بين الناس والزجاج فرقاً وهو ان الزجاج يمكن ان يسبك في هذه الدنيا فيعود الى حالته الأولى والناس لا يمكن ان يجبروا فيها اذا حطمهم الزمان بالموت . هذا ما يدل عليه هذا اللفظ

ومن البدهي ان الزجاج لا يسبك في الآخرة وان المعري لا يريد هذا المعنى وليس في الكلام ما يدل على الآخرة او يتعلق بها وانما هو تحذير من الدنيا وبيان

لتسلط صروفها القاسية على الناس · فتعين ان يكون المراد ان ليس لنا سبك في الدنيا يعيدنا الى حالتنا الأولى فيها وبهذا نخالف الزجاج · وهذا قول حق لاريب فيه · ونظيره قول ابي العلاء في لزوم ما لا يلزم

أرى الشهد يرجع مثل الصبر فما لابن آدم لا يعتبر
وخبره صادق في الحديث فان شك في ذلك فليختبر
وجبر وكسر له في الزمان ويكسر يوماً فلا ينجبر

وهذا يوضح المراد من البيتين الأولين لأن قوله وجبر وكسر في الزمان يدل على انه يريد بقوله لا ينجبر في الدنيا ومن قبيل قول ابي العلاء هذا قول علي ابن ابي طالب [ض] فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل فانه لا يرجى من رجعة العمرما يرجى من رجعة الرزق · وقوله أيضاً · أولم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون · · · فان المراد الرجعة في هذه الدنيا والا كان علي [ض] منكراً للحشر وقد استعمل ابو العلاء سبك الزجاج في مواطن كثيرة من شعره كقوله

تحفظ بدينك يا ناسكاً يرى انه رابح ما خسر
فلست كغيرك أطلقت في حياتك بل انت عان أسر
وللسبك رد كسير الزجاج ولا يسبك الدر ان ينكسر

وقوله

يسبك الصائغ الزجاج ولا يسـ ـطيع سبكاً للدر ان يتشظى

وأعاد هذا المعنى بقوله

خف يا كريم على عرض تعرضه لعائب فلئيم لا يقاس بكا
ان الزجاجة لما حطمت سبكت وكم تكسر من در فما سبكا

وهو في جميع هذه الأبيات واشباهها يشير الى ان النفيس اذا كسر لا يجبر بخلاف غيره ومن البين انه لا يريد كسراً ولا جبراً في الآخرة وانما يريده في الدنيا ·

وأما الأبيات الثلاثة التي على روي النون فان اسلوبها يدل على انها مصنوعة

على لسان المعري وانها ليست من سنخ شعره · ومن البعيد عن أدب المعري ان يقول فاحكم إلهي ··· ثم يقول · أتيت عن ···وزعمت ··· اذ لم نر في كلامه الذي يخاطب ربه به مثل هذا النمط ·· واذا سلمنا انها من كلامه فهي وان دلت على اساءة ادب في الخطاب لا تدل على انكار الحشر وانما تدل على اثباته لأن قوله ما كان اغناها عن الحالين صريح في اثبات الحالين لها واحدهما المعاد الثاني وهو الحشر

وأما البيت الأخير الذي استدل به صاحب الذكرى على الشك فانه من قصيدة مطلعها

أما الحقيقة فهي اني ذاهب   والله يعلم بالذي أنا لاق

ثم قال فيها

سيموت محمود ويهلك آلك   ويدوم وجه الواحد الخلاق

يا مرحباً بالموت من متنظر   ان كان ثم تعارف وتلاق

وليس في البيت تصريح بانكار الحشر اوالشك فيه وانما الشك في التعارف والتلاقي وهما غير الحشر اذ قد يجوز ان يكون الحشر ولا يكون فيه تعارف وتلاق فلا يلزم من الشك فيهما الشك فيه فهو نظير قول النابغة

لا مرحباً بغد ولا أهلاً به   ان كان تفريق الأحبة في غد

فانه يفيد الشك في التفريق لا في غيره · وبعد هذا فان بيت ابي العلاء مسوق للترحيب بالموت على تقدير ان يكون هناك تعارف وتلاق ومفهوم هذا انه اذا لم يكن شيء منهما فانه لا يرحب بالموت · وهذا لا يوجب شكاً في البعث ولا في غيره وقوله في مطلع القصيدة · والله يعلم بالذي انا لاق واضح في انه يريد ما يلقاه في الآخرة لأنها دار الجزاء فهو جازم باللقاء وان جهل عين ما سيلقى

ولقد فتشت فيما انتهى الي من كلام ابي العلاء في جميع اطوار حياته فلم أر فيه ما يدل على شك في البعث او انكار له وانما رأيت فيه مئات من المواطن التي

صرح فيها بالحشر والنشر والقيامة والحساب والجنة والنار ونحو ذلك مما يتصل بالآخرة

من ذلك قوله في سقط الزند ج ١ ص ١٤٠

فلو زار أهل الخلد عتبك زورة لأوهمهم ان الجنان جحيم

وقوله ص ١٩٤

فيا ليت شعري هل يخف وقاره اذا صار أحد في القيامة كالعهن

وهل يرد الحوض الروي مبادراً مع الناس ام يأبى الزحام فيستأني

. . .

ومـا استعذبته روح موسى وآدم وقد وعدا من بعده جنتي عدن

وقوله ص ٢٠٨

ولا تنسني في الحشر والحوض حوله عصائب شتى بين غر الى بهم

لعلك في يوم القيامة ذاكري فتسأل ربي أن يخفف من إثمي

وقوله ص ٢١٠

انما ينقلون من دار أعما ل الى دار شقوة او رشاد

وقوله في ج ٢ ص ١٣

جازاك ربك بالجنـان فهذه دار وان حسنت تغر بستها

ضل الذي قال البلاد قديمة بالطبع كانت والأنام كنبتها

وامامنـا يوم تقوم هجوده من بعد ابلاء العظام ورفتها

وقوله ص ٦٠

نبذت مفاتيح الجنان وانمـا رضوان بين يديه للاتحاف

وقوله ص ٥٤

فان استطع في الحشر آتك زائراً وهيهات لي يوم القيامة أشغال

وقوله ص ٨٩

سألت متى اللقاء فقيل حتى يقوم الهامدون من الرجام

فليت أذين يوم الحشر نادى فاجهشت الرمام الى الرمام

وقوله ص ١١١

فلا كان سيري عنكم سير ملحد يقول بياس من معاد ومرجع

وقوله ص ١٢٠

فان لقيت وليداً والنوى قذف يوم القيامة لم أعدمه تبكيتا

وقوله في الدرعيات ص ١٧٦

لعله ان يجيء مدرعا يوم رجوع النفوس في الرمم

وقوله ص ١٧٧

او عملُ الكفر من يُدين به في البعث إبان يجمع الأمم

وقوله ص ٢١٦

فلا تستكثر المجبات فيها فأعراس بتلك دخول جنة

وفي ملقى السبيل كثير من ذكر الآخرة والجزاء في النظم والنثر كقوله

نمت عن الأخرى فلم تنتبه وفي سوى الدين هجرت الكرى

وقوله : وفي الآخرة يكون المجمع . وقوله : والنهج للآخرة يسلك . وقوله : ولاتتهم الآخرة بما نووا .

وكتاب الفصول والغايات طافح بما يدل على الآخرة وما فيها كقوله لله القلب واليه المنقلب : وقوله . تارك الصلاة من صلاة السعير . وقوله : كفيتني رب شقاء الدنيا فاكفني شقاء الآخرة . وقوله : الشقي من حضر عرصات القيامة . وقوله : واجد ثوباً للآخرة تكتسيه .

وفي رسالة الملائكة تصدى في مواطن كثيرة لذكر الملائكة والجنة ونحوها كقوله ص ٧ ام تراني أداري منكراً ونكيراً . وقوله : ص ١٦ قصرت أعمالهم عن دخول الجنة ... وقوله : ص ١٧ فيقول رضوان ... وقوله ص ٢٠ يشربون ماء الحيوان في النعيم المقيم ...

وقوله : ص ٢٣ وان كنت اهل الجنة ...

وأما رسالة الغفران فكل ما فيها أدلة وبراهين على اقراره بالبعث والحشر والجنة والنار وما الى ذلك

ولم تخل رسائله الى اهله وأصحابه وغيرهم من ذكر الآخرة وما يتصل بها فقد قال في رسالة المنيح ص ٩ افبلدتنا جنان .. أم نشروا بعد ما قبروا ام جزوا الغرفة بما صبروا ...

وقال في رسالته الى خاله ص ٦٧ وترجح في الحشر وزنا . وفي رسالة ثانية اليه ص ٦٩ وحزني لفقدها كنعيم أهل الجنة وفي رسالته الى ابي عثمان النكتي ص ١٥٢ نقله الله ... من دار الشقاء الى دار النعيم والبقاء

وفي رسالة الى خاله ص ٢٠٩ فقد ورد مع الحور العين كأساً كان مزاجها كافورا .. جاور ربه في دار الحيوان تلك الدار الآخرة ...

وفي جوابه الى داعي الدعاة بمصر ذكر الآخرة وتعوذ بالله من قول من أنكرها ولعن الوليد بن يزيد لقوله الذي انكر فيه البعث والجنة ، كما ذكر ذلك ياقوت في معجم الأدباء ج ١ ص ٢٠٠ و ص ٢٠٨

وأما لزوم مالا يلزم فهو أكثر كتبه مظنة أن يكون فيه انكار أو شك لأنه اطلق للسانه فيه العنان وأعطى عقله فيه الحرية المطلقة وأوضح فيه عن كثير من آرائه الفلسفية وقد زعم صاحب الذكرى ان ابا العلاء نفى البعث فيه اكثر من ستين مرة ولكنه لم يبين مرة منها ولم يعين موضعاً لواحدة منها فيه كما قلنا

وأنا اقول ان ابا العلاء اثبت فيه الحشر وما يتعلق به مما يكون بعد الموت الى دور الخلود في اكثر من مائة موضع واستدل على امكان بعض منه وهذه امثلة من كلامه في ذلك

القبر وما فيه

خلصيني من ضنك ما انا فيه   واطرحيني لمنكر ونكير

فهل هو خاش من نكير ومنكر   وضغطة قبر لايقوم لها نظم

الجزاء

لا ييأسن من الثواب مراقب لله في الايراد والاصدار
فترى بدائع أنبات متحسّاً ان الجزاء بغير هذي الدار

الصور

مضت قرون وتمضي بعدنا أمم والسر خاف الى ان ينفخ الصور

الصحائف

وجاءت صحائف قد ضمنت كبار آثامهم واللمم

الحساب

وراعني للحساب ذكر وغرني انه بعيد
وعن يميني وعن شمالي يصحبني حافظ قعيد

السراط

وكأن هذا الخلق أهل جهنم ولهم من الموت الزؤام صراط

الميزان

أكذب القوم بالميزان أن سمعوا ان القيامة فيها عادل يزن
وقد وجدنا مقال الناس ذا زنة فكيف ينكر ان الفعل يتزن

رضوان

وان كفتني عذاب الله مغفرة فما احاول منها فوز رضوان

مالك

يا رضو لا أرجو لقا ءك بل اخاف لقاء مالك

طوبى

فان خرجت الى يومي فواحرجي وان نقلت الى نعمى فطوبى لي

جنة الخلد

وما اظن جنان الخلد يدركها الا معاشر كانوا في التقى جهدا

جنة عدن.

فان جنة عدن لا يجاد بها الا لصاحب دين في أذى عدنا

جنة النعيم

وما سرني اني اصبت معاشراً بظلم وأني في النعيم مخلد

النار

أأصبح في الدنيا كما هو عالم وأدخل ناراً مثل قيصر او كسرى

سقر

ان عوضوا عن ذنوب اسلفت سقراً فلم ترمهم على علاتها سقر

السعير

أترجين من إلهك عفواً وتخافين في الحساب السعيرا

جهنم

جنان ورضوان الذي هو مالك لها عنك ينفي مالكا وجهنما

الهاوية

هاوية نفسك ما ساءها فلتخش ان تلقى الى الهاوية

. . .

حسبي من الجهل علمي ان آخرتي هي المآل واني لا أراعيها

وان دنياي دار لا قرار بها وما أزال معنى في مساعيها

كيف لي ان اكون في داري الأخ رى معافى من شقوة مستريحا

وقدرة الله حق ليس يعجزها حشر لخلق ولا بعث لأموات

يكر موتانا الى الحشر ان قال لهم بارئهم كروا

بحكمة خالقي طي ونشري وليس بمعجز الخلاق حشري

فيا ليتني في الثرى لا اقوم ان الله ناداكم او حشر

لا خير للمرء الا خير آخرة يبقى عليه فذاك العز والشرف

ولولا خشية الإطالة لأتينا على ذكر عدد عظيم من الشواهد من كلامه في

هذا الموضوع ممـا ذكره في لزوم مالا يلزم وقد ذكرنا في كتابنا التعريف بأبي العلاء اكثر من مائة بيت صرح فيها كلها بذكر الحشر وما فيه وليست هي جميع ما في لزوم مالا يلزم بل هناك عدد كبير لم نذكره

وبعد هذا يمكننا ان نستنتج مما تقدم أربعة أمور

الأول : ان ابا العلاء مؤمن بالحشر مقر بكل ما يتعلق به على وَفق ما جاءت به الشريعة الاسلامية وان ليس في كلامه تصريح بالشك او الانكار في جميع أطوار حياته وجميع آثاره التي ذكرناها

الثاني : ان بعض العلماء حكم عليه بالالحاد او انكار الحشر او نحوهما اما عن حسد او تقول او طلب شهرة او متابعة لما قيل من غير تثبت ولا استناد الى دليل ومثل هؤلاء مثل الرجل الذي مرَّ في سوق يحمل باحدى يديه خبزاً وبالأخرى لبناً فرأى أناساً يضربون رجلاً فوضع ما كان في يديه وأقبل على المضروب فأشبعه ضرباً وسباً ثم عاد فحمل طعامه وادامه فقال له رجل : ما حملك على مافعلت ؟ قال : اني لا اعلم الرجل المضروب ولكني رأيت هؤلاء يضربونه فقلت لولا انه يستحق الضرب لما ضربوه فشاركتهم في عملهم

الثالث : ان الزمخشري والبناني لم يوفقا فيما تقولا او تأولا على ابي العلاء

الرابع : ان ما نسبه صاحب الذكرى الى المعري من الشك او الانكار قائم على الوهم المجرد وحسبنا ان نجتزئ بهذا القدر فان فيه مقنعاً للمرتاب

سليم الجندي

المرأة في عهد النبوة ، وفي عصرنا الحاضر

كان امر المرأة في تاريخ العالم القديم والحديث عجباً ، كانت تشرى وتباع ، وتكره على الزواج والبغاء ، وكانت تملك وتورث ، ويتصرف فيها الرجلُ على هواه كأنها سلعة ، او كأنها كرة بين ايدي الرجال ، ولم تكن الأمم الأخرى أقل اضطهاداً لها ، او امتهاناً لها من عرب الجاهلية ، وليس هذا موضع تفصيل تاريخها عندهم وإنما الكلام فيما كانت عليه قبل الاسلام وفيما ارتقت اليه بعده .

كان العرب في العهد الجاهلي فريقين : منهم من عبد المرأة بعد ان جعلوا الملائكة إناثاً ، وجعلوها بنات لله ، ومنهم من وأدها ، أو أبقاها فاضطهدها ، وما ورد في القرآن الكريم أصدق مثال للحال التي كانت عليها العربُ قبل الاسلام ، فهو يقصُّ علينا كيف عبدوا الأنثى ، ومن آياته في ذلك قوله تعالى « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » وقوله « وجعلوا الملائكة الذين هم عبادُ الرحمن إناثاً : أشهدوا خلقهم ، ستكتبُ شهادتهم ويُسألون ، وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، مالهم بذلك من علم ، إن هم إلا يخرصون » فهم لم يعبدوا الملائكة حتى جعلوها بنات ، وجعلوها إناثاً ، وقال في الفريق الآخر الظالم الآثم : « وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هُون ، أم يدُسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون » وقال : « وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت »

فهذه الطفلة التي كانت تعيشُ ذليلةً مهينة ، او تُدَسُّ في التراب حيةً دفينة ، ستقول : يا رب ، قتلت بلا ذنب » .

هذان طرفان ذميان من معاملة الأنثى في الجاهلية ، فلما جاء الاسلام أبطلهما معاً ، ومنحها حقوقها ، وعرّفها واجباتها ، وأنزلها المنزلة اللائقة بها ، وآية « ولهن مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهن درجة » لا يوجد في أرقى الشرائع القديمة

والحديثة قانون أعدل ولا أجمع منها ، إذ قد ساوت بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ولم تعين هذه الحقوق والواجبات لأنها تتبع العرف ، وتختلف باختلاف الطبقات ، والشرائع والعادات ، وخصت الرجل بدرجة الرئاسة إذ لابد لكل جماعة أو أسرة من نظام ، ولا بد لكل نظام من رئيس منفذ ، والرجل اولى بتطبيق النظام المنزلي وتنفيذه ، لأن له من القدرة على الرعاية والحماية والكسب والإنفاق ما ليس لها ، وهذا المراد من الآية الكريمة « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من اموالهم » لكن هذه الرئاسة رئاسة شورية لا استبدادية ، ودليلها من القرآن قوله تعالى في شأن الزوجين وطفلها الرضيع وفطامه « فان أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » فهذا نص صريح في إقامة سنة الشورى بين أعضاء الأسرة الواحدة ، فالإسلام نهى عن عبادة المرأة ، ولم يستعبدها كما فعلت الأمم السابقة ، ولم يقلب نظام الطبيعة ليجعل منها رجلاً ثانياً كما فعل العصر الحديث ، فقد تخلى عنها الأب والأخ والزوج والابن ، ودفعوها جميعاً في تيار العمل واللهو خارج المنزل ، فاختل نظام البيوت ، ولا نزال نسمع الشكوى المرة في الاذاعات العامة المرة بعد المرة ، من تقوض دعائم الأسرة والوطن .

أثر المرأة في الحروب الجاهلية والاسلامية

لم تفقد المرأة بعد الاسلام شيئاً من مكانتها الأدبية ، لاشجاعتها الحربية ، ولكن الاسلام وجهها وجهة صالحة ، ونفخ فيها روحاً جديداً لم يكن لها من قبل .

كان القتال الجاهلي حروباً اهلية داخلية ، وكان فيها إضعاف للأمة ، وتفريق لوحدتها ، وهدّ لقواها ، ومنهم من كان يصرح بأنه يشهد الوغى لا لغرض سوى شهود اللذات ، أو اليأس من الحياة ، كقول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى ... وان أشهد اللذات هل انت مخلدي

فان كنت لا تستطيع دفع منيتي ... فدعني أبادرها بما ملكت يدي

وعنترة الذي يتغزل بعبلة ويحاول ان يسترضيها بوقائعه ومشاهده فيقول :

ولقد ذكرتك والرماحُ نواهلٌ مني وبيضُ الهند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وكانوا اذا ساروا للحرب صحبوا نساءهم ابتغاء الحفيظة واتقاء الفرار ، وأخذوا معهم القيان والدفوفَ والمعازف والخمور ، ومنه ما وقع في غزوة أُحد فانه لما التحمت الصفوف واشتدت الحرب قام النسوة وأخذن الدفوفَ يضربن خلفَ الرجال ويُنشدْنَ الأشعار تهييجاً لعواطفهم ، وكان عليه الصلاة والسلام كلما سمع نشيد النساء قال : اللهم بك أجول ، وبك أصول ، وفيك اقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل »

ويظهر لنا الفرق واضحاً بين هذه الأهداف القاصرة وبين الهدف السامي الذي جاء به الاسلام وهو اعلاء كلمة الله : أي نصرة الحق على الباطل ، والفضيلة على الرذيلة ، والتوحيد على الوثنية ، واين ذكرُ عنترة لعبلة حين اشتداد القتال من ذكر الله في قوله « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »

فالثباتُ من اسباب النصر والظفر ، وذكرُ الله قوة معنوية تثبت القلوب من ناحية ، وتبعثُ فيها الرحمةَ من ناحية أخرى ، فالذاكر لله لا يقاتلُ ابتداء ولا اعتداء ، ولا يقاتل من لا يقاتل كالنساء والصبيان والشيوخ والمرضى ومن ألقى السلم وكفَّ عن الحرب .

كان تألق نور الاسلام له اثر في تطور الحياة العربية الفكرية والاجتماعية والأدبية والسياسية ، وها نحن اولاء نقتصر الآن على ذكر المرأة العربية في العصر النبوي بعد ان وصفنا عملها في الدور الجاهلي .

كان تعلم العلم الديني في عهد النبوة عاماً للكبار والصغار والذكور والاناث ، فكان النساء يتدارسن القرآن ، ويروينَ الأحاديث ، ويُحافظنَ على العبادات ، ويصلين صفوفاً في المساجد ، ويستمعن الخطب والمواعظ ، ويحضرن صلاة العيدين في المصلى العام ، ويُسافرن لأداء فريضة الحج والعمرة ، بل كنّ ايضاً يشهدن الحروب ، ويهيئْن للمجاهدين الطعام ، ويسقينهم الماء ، ويغسلن الثياب ، ويضمدن الجروح ، ويشتركن في الجهاد أحياناً .

نعم إن الشريعة لم توجب على المرأة حضور الجماعة والجمعة إيجاباً ، ولم تفرض عليها القتال مع الرجال ، وحماية الديار ، والدفاع عن الحق بالقوة ، وإنما خصت الرجال بذلك كله لأن للمرأة من نظامها الفطري ، واختصاصها المنزلي ، ما يعوقها عن مشاركة الرجال في كل حين بمثل هذه الأعمال ، ومن اكبر موانعها الحمل والولادة وحضانة الأطفال وإعدادهم رجالاً للمستقبل ، وإدارة شؤون المنزل .

وأما عملها الحربي الاسلامي ، فيظهر الفرق بينه وبين عمل النساء الحربي الجاهلي ، بما قامت به في وقعة أحد نفسها بطلة الحروب والوقائع العربية الإسلامية ، الصحابية الجليلة . أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية الشهيرة ، واليك الحوار الذي دار بينها وبين أم سعد بنت سعد بن الربيع ، قالت أم سعد : دخلت عليّ أمُّ عمارة فقلت ياخالة : اخبريني خبرك ، قالت : خرجت اول النهار ، وانا انظر ما يصنعُ الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنتُ أباشر القتال ، وأذبُّ عنه بالسيف ، وارمي عن القوس حتى خلصت الجراحُ اليَّ ، فرأيت على عاتقها جرحاً اجوف له غور ، فقلت من اصابك بهذا ، قالت ابن قَمئة اقمأه الله (اذله واصغره) : لما وَلَّى الناس عن رسول الله اقبل يقول : دلوني على محمد فلا نجوتُ ان نجا ، فاعترضتُ له انا ومُصعب بن عُمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله فضربني هذه الضربة ، ولكني ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان . وقد اثنى الرسول على شجاعتها فقال : ما التفتُّ يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا ورأيتها تقاتل دوني .

شهدت بيعة الرضوان ، ثم شهدت وقعة اليمامة فقاتلت حتى قطعت يدها ، وجرحت اثنتي عشرة جراحة . وكانت فوق ذلك كله محدثة جليلة روى عنها ابنها عباد بن تميم ، ومولاتها ليلى ، وعكرمة ، والحارث بن كعب ، وأم سعد ، وحديثها في كتب السنن الاربعة .

ومثل ما قامت به ايضاً خولة اخت ضرار بن الأزور الكندي التي كانت اشجع

نساء العرب في عصرها ، وكانت تشبه بخالد بن الوليد في حملاته ، بل ظنها أناس في بعض وقائعها خالداً ، بل خالد نفسه كان معجباً بفرط شجاعتها ، وما ظهر من خلالها وشمائلها ، ولها اخبار كثيرة في فتوح الشام ومما حدث به الواقدي انه لما أسر اخوها ضرار بن الازور في وقعة اجنادين سار خالد بن الوليد في طليعة من جنده لاستنقاذه . فبينا هو في الطريق ، مر به فارس معتقل رمحه ، لايبين منه الا الحدق ، وهو يقذف بنفسه ، ولا يلوي على ما وراءه . فلما نظره خالد قال : ليت شعري من هذا الفارس ؟ وايم الله إنه لفارس ! ثم اتبعه خالد والناس من ورائه ، حتى أدرك جند الروم ، فحمل عليهم ، وأمعن بين صفوفهم ، وصاح بين جوانبهم ، حتى زعزع كتائبهم ، وحطم مواكبهم ، فلم تكن غير جولة جائل ، حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء . وقد قتل رجالاً ، وجندل أبطالا ، ثم عرض نفسه للموت ثانية ، فاخترق صفوف القوم غير مكترث ، وخامر المسلمين من القلق والاشفاق عليه شيء كثير . وظنه أناس خالداً . حتى إذا قدم خالد قال له رافع بن عميرة : من الفارس الذي تقدم أمامك ؟ فلقد بذل نفسه ومهجته ، فقال خالد : والله لأنا أشد إنكاراً واعجاباً لما ظهر من خلاله وشمائله ، وبينا القوم في حديثهم ، خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب ، والخيلُ تعدو في اثره ، وكلما اقترب احد منه الوى عليه ، فأنهل رمحه من صدره ، حتى قدم على المسلمين ، فأحاطوا به وناشدوه كشف اسمه ، ورفع لثامه ، وناشده ذلك خالد ، وهو امير القوم وقائدهم ، فلم يحر جواباً ، فلما اكثر خالد اجابه وهو ملثم فقال : ايها الامير إني لم اعرض عنك الا حياء منك ، لأنك امير جليل ، وأنا من ذوات الخدور ، وبنات الستور ، وانما حملني على ذلك اني محرقة الكبد ، زائدة الكمد ، فقال خالد : من أنت ؟ قالت انا خولة بنت الازور . كنت مع نساء قومي ، فأتاني آت بأن اخي اسير . فركبت وفعلت ما رأيت . هنالك صاح خالد في جنده ، فحملوا وحملت معهم خولة وعظم على الروم ما نزل بهم منها ، فانقلبوا على أعقابهم .

أدب المرأة وصبرها قبل الاسلام وبعده

كان لوحي الله المعجز سلطان على روح المرأة العربية ووجدانها ، وكان ايمانها عندها في الحروب والفجائع وعتادها ، فهو يفرغ على قلبها نعمة الصبر والثبات ، ويعدها اذا كانت فاقدة واجدة بالجزاء في دار الرضوان ، وقد ظهر الفرق محسوساً بين حالتيها في الجاهلية والاسلام . هذه الخنساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة المشهورة التي كانت تقول في اول امرها البيتين او الثلاثة ، فلما قتل شقيقها معاوية بن عمرو وقتل اخوها لأبيها صخر ، اكثرت من الشعر حتى سارت بقصائدها الركبان ، واشتهر نواحها على صخر حتى غدا مضرب الأمثال ، وصارت في اشهر شواعر العرب فمن ذلك قولها فيه :

ألا يا صخرُ لا انساك حتى ... أفارق مهجتي ويُشقّ رمسي
يذكرني طلوعُ الشمس صخراً ... وأبكيه لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي ... من المتفجعين قتلتُ نفسي

ومن شعرها فيه :

ألا يا صخرُ ان ابكيتَ عيني ... فقد اضحكتني دهراً طويلاً
ذكرتك في نساء معولات ... وكنتُ أحقّ من ابدى العويلا
دفعت بك الجليل وانت حيّ ... فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا قبح البكاء على قتيلٍ ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقد قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم ، فأسلمت معهم ، فذكروا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها الشعر فيعجبه شعرها وهو يقول: هيه يا خناس ويومئ بيده ، حضرت الخنساء حرب القادسية ومعها بنوها اربعة رجال ، فوعظتهم ، وحرضتهم على القتال ، فلما أصبحوا باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقرّ رحمته

علم النساء في العصر النبوي

وكما كانت المرأة العربية في الحرب صاحبة سيف وسنان، وفي السلم ربة برهان وبيان، كانت في حلقات الدروس تشاطر الرجل كل علم، وتضرب معه بأوفر سهم، وفي اوقات العبادة حمامة المسجد، ومحدثات النساء في عهد النبوة وما بعده كثيرات جداً، وانك لتجد اسماءهن مدونة في كتب طبقات المحدثين وغيرهم.

وقد استغرقت المحدثات المجلد السادس من مسند الامام أحمد بن محمد بن حنبل الا قليلا، ومسند السيدة عائشة — أي الاحاديث التي سمعتها وروتها — قد بلغ وحده اكثر من خمسين صفحة بعد المائتين [ص ٢٩ — ص ٢٨٢]. وقد تسلسل العلم في بعض البيوتات في السيدات حتى صارت الواحدة تروي أحاديث النبي عن امها وجدتها، ومن شواهد ذلك ما رواه الامام ابو داود في سننه قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد، حدثتني ام جنوب بنت نُميلة عن ام سويدة بنت جابر عن امها عقيلة بنت أسمر بن مضرس: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من سبق الى ما لم يسبق اليه مسلمٌ فهو له قال: فخرج الناسُ يتعادون ويتخاطون، اي كل منهم يسبق صاحبه بالخط [1] وهذا الحديث يوضح لنا كيف كانت المسلمات راويات محدثات وكيف كانت الفتاة العربية المسلمة تحفظ السنة وترويها عن امها وجدتها وهي في العقائد والعبادات والمعاملات والاخلاق والآداب وبهذه العلوم النافعة، كانت تعنى النساء والفتيات العربيات في عصور الاسلام الزاهية، فهل نجدد بذلك عهداً ونعيد لنسائنا وبناتنا ما فقدنه من تراث ديني أدبي

تلكم هي اوصاف العربيات المسلمات في عهد سلفنا الصالح، وفي ظلال العلوم والآداب الإسلامية فما حال المجتمع الاسلامي اليوم، وما شأن المرأة العربية في عصر المدنية الحديثة ؟

(١) يتخاطون: اي يعلمون على الارض علامات بالخطوط، تسمى الخطط واحدتها خطة، وهي الأرض يختطها الإنسان لنفسه، ويخط عليها خطاً ليعلم انه اختارها

المتعلمات في عصرنا الحاضر

لا يستطيع منصف ان ينكر النهضة الحاضرة فان الفتيات في عصرنا هذا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية، ومنهن من نالت الشهادة العالية في العلوم او الآداب او الحقوق او الطب او شهادة التخصص بالفلسفة والتربية، ولكنا لا نرى إزاء هذه الشهادات المدنية ما يماثلها او يدانيها في دروس الدين - فان قيل وأين تخصص الفتاة الحاملة لشهادة العالية او الحقوق مثلاً في العلوم الدينية؟ فالجواب من وجهين :

(١) مطالبة الحكومة بافتتاح فرع التخصص الديني الذي كانت اعتزمت انشاءه وجعله فرعاً للجامعة السورية، ونفقاته قليلة، وفوائده جزيلة، ومطالبتها أيضاً بانشاء الكلية الشرعية الإسلامية التي اجمع طلاب المعاهد الدينية والمدنية على المطالبة بها، ثم أيدهم بمطلبهم هذا مؤتمر الجمعيات الاسلامية وعززه بكتاب بعث به الى الحكومة ولعلها محققة للأمة هذا المشروع العظيم الذي يكون له إذا تم — كما قالوا — أبرّ الأثر في البلاد العربية وفي الشرق عامة ان شاء الله

(٢) إن الأزهر الشريف قد افتتح كليات التخصص الديني وجعلها لأبناء المسلمين عامةً لا للمصريين خاصةً، فمن السهل على بناتنا من حاملات (البكالوريا) ولا سيما المجازات بالحقوق ان يصحبن بعض ذوي المحارم الى مصر وينهلن من معين الشريعة الصافي ويعدن رافعات ألوية الدين والعلم والإصلاح

كان النساء في صدر الاسلام على علم بدينهن، ومالهن وعليهن، أما نساء عصرنا فهن يسألن ويستشكلن مسائل كان يرجى منهن اتقسهن الجواب عنها مثل شهادة المرأة وميراثها ودينها، ومثل تعدد الزوجات (او عدم المساواة كما يقال) ويسألن عن الحكمة في كون ازواج الرسول اكثر من اربع، وأمثال هذه المسائل، ونحن نجيب عنها بايجاز :

شهادة المرأة

المرأة إنسان كامل كالرجل لها من الحقوق مثل ماله وعليها من الواجبات مثل ما عليه كما تقدم . ثم ان للمرأة من طبيعة الأنوثة ونظام الفطرة أموراً خاصة بها ، كتدبير المنزل وادارة شؤونه ، كما ان للرجل خصائص لا تشاركه هي فيها كاحتمال المشاق ، والدفاع عن الحق بالقوة ، وبهذه الخصائص والمزايا التي انفرد كل نوع من الذكور والاناث ببعض منها ، كانت الأنثى أنثى ، والرجل رجلاً .

وان من المسائل التي لا تماثله فيها مسألة الشهادة ، فانها تارة تكون شهادتها مثل شهادته ، وطوراً تكون أقل من شهادته ، وأحياناً تقبل شهادة النساء منفردات عن الرجال ، بل تتعين عليهن الشهادة وحدهن ، وذلك في الأمور النسائية التي لا تعلم الا من جهتهن . وقد راعى الاسلام في ذلك كله الحكمة ، ومشى مع المصلحة العامة التي تراعى في كل زمان ومكان .

فأما مسألة الشهادة على المال فالأصل فيها آية المداينة وهي في أواخر السورة الثانية (سورة البقرة) « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه » الى قوله : واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر احداهما الأخرى » فقد علل اقامة الثنتين مقام الرجل الواحد بالخطإ الذي يعرض لهن فيما ليس من شأنهن أن يذكرنه ، لأنه شهادة على أمر مالي ، وليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ، ومن طبيعة الانسان أن يكثر ذكره لما يعنى به ويهمه أمره ، ولا يرد علينا اشتغال بعض النساء في هذا العصر في الأمور المالية او في غيرها من أعمال الرجال كالهندسة والحقوق والزراعة والميكانيك وكالانخراط في سلك الحكومة ، فان هذا خروج على نظام الفطرة والأسرة ، وتضييع لمصالح المنازل

والأزواج والأولاد ، كما هو مشاهد محسوس ، وكما نسمع الشكوى المرة ممن يتخبطون في بحران هذه الفوضى .

وأما ما كان من شأن النساء ان يذكرنه ولا ينسينه ، وهو من خصائصهن فقد قبل فيه رسول الله شهادة امرأة واحدة ، وثبت في الصحيح عنه أنه سأله عقبة بن الحارث فقال اني تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فقالت انها أرضعتنا ، فأمره بفراق امرأته ، فقال : إنها كاذبة ، فقال : دعها عنك » فهذا الحديث صريح في قبول شهادة المرأة الواحدة وان كانت أمة وكانت شهادتها على فعل نفسها في أمر الرضاع ، والنبي لم يتهمها بالخطإ ولا بالنسيان على تراخي العهد وطول السنين .

وأيضاً فان الشريعة السمحة المنتظمة لمصالح البشر تقبل شهادة النساء منفردات عن الرجال ، في الأمور الخاصة بهن ، والتي لا تعلم الا من جهتهن كالأعراس والمآتم والحمامات ، وكالولادة والرضاع ونحوها من الأمور التي تنفرد النساء بالحضور فيها والاطلاع عليها ، فان شهادة النساء وحدهن مقبولة فيما يقع في تلك المجتمعات ، حفظاً للحقوق وضبطاً للشؤون . ومتى كانت المرأة ممن يوثق بدينها وأمانتها كان المقصود بخبرها حاصلاً كما يحصل بخبر الرجل ، وقد نقل الشعراني في ج ٢ من كتابه الكبريت الأحمر عن الشيخ محي الدين ان المرأة تلحق الرجال في الأبوة ، وتلحقهم أيضاً في بعض المواضع فتقوم مقام الرجلين ، ويقطع الحكم بشهادتها كما يقطع بشهادة الرجلين ، وذلك في قبول الحاكم قولها في مدة عدتها ، وقبول الزوج قولها : ان هذا ولده ، فقد تنزلت ها هنا مقام شاهدين عدلين ، كما تنزل الرجل في شهادة الدين منزلة امرأتين ، فتداخلا في الحكم ، فهذه تولية لها من الله

ميراث المرأة

وأما الميراث فيقال فيه ما قيل في الشهادة أيضاً ، وهو انه يكون لها نصف ميراث تارة ، ويكون ميراثاً كاملاً كميراث الرجل تارة أخرى ، والباحث في

مسألة الميراث من الوجهة الاسلامية ينبغي ان يذكر قبل كل شيء ان الإسلام لم يجعل من المرأة رجلاً ثانياً ، فيحملها أعباء الحياة الخارجيـة ، بل حافظ على عملها الفطري ، ونظامها المنزلي ، وفرغها لتدبير مملكتها الداخلية ، وجعل الرجل كافلاً لها ، فهي ليست مجبرة على الكسب والنفقة بنتاً ولا زوجاً ولا أماً ، بل الرجل هو الذي ينفق عليها زوجاً وأباً . وأما مالها الذي يتكوّنُ لهـا من الإرث والمهر والاستثمار فهو يبقى لها (رأس مال احتياطي) تنفق منه اذا اضطرت اليه .

ثم ان ميراثها الذي هو نصف ميراث الرجل هو في الحقيقة خيرٌ لهـا وأبقى من ميراثه الكامل ، فان نصيب الرجل يكون مقسماً بالنفقة ما بين زوجه وولده ، ويكون نصيبها لها وحدها كاملاً غير منقوص ، ولكن الاسلام لم يظلمه في ذلك لأنه هو العامل الكاسب ، أما هي فيعوقها عن الكسب تلك العوائق الزوجية كالحمل والولادة والأمومة والحضانة ، وأما مالها الخاص فمالٌ احتياطي تنفق منه متى احتاجت اليه كما قدمنا . على أنها أحياناً يكون لها مثل الرجل كما اذا خلف الميت ذكراً فأكثر ، وكان له والدان ، فلكل واحد منها السدس ، فهما سواء في هذه الفريضة لا يتفاضلان فيها ، وذلك لعظم مقام الام بحيث تساوي الأب بالنسبة الى ولدهما ، وان كانا يتفاضلان في الزوجية وغيرها . وكما اذا كان للميت أخ وأخت من أم فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث على المساواة التامة بين ذكورهم وإناثهم . والآيات الكريمة في سورة النساء ناطقة بذلك كله .

وجملة القول ان المرأة تارةً يكون نصيبها نصف نصيب الرجل ، وتارةً مثله ، وهي على كل حال بنته او زوجته او أمه ، وعليه وحده المشقة والنفقة ، ولها الراحة والهناء ، وعليه الغرم ، ولها الغنم ، فأنى تكون مهضومة او مظلومة ؟ ووارحمتـاه للرجل فلسان حاله يقول قول المتنبي :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبـه　　　أني بما أنا باك منه محسودُ !

دين المرأة

وأما عبادتها ، فهي مطالبة بأدائها كاملة كالرجال ، ومنها الصيام والحج والزكاة ، اللهم إلا الصلوات الخمس في كل يوم وليلة ، فالشارع اسقطها عنها في حال تلبسها بعذرها الطبيعي الشهري ويتمد أياماً وفي مدة النفاس في الولادات ايضاً وتمتد عشرات الأيام ، ولم يوجب عليها قضاءها بعد انقضاء تلك الأيام دفعاً للحرج عنها ، « وما جعل عليكم في الدين من حرج » « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » وهذا هو معنى نقصان دينها ، فما هو بالشيء الذي تستحق عليه الملام في الاسلام .

أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم التسع

اجمع المؤرخون وعلماء السيرة على ان محمداً النبي العربي (صلوات الله عليه) اكمل ناشئ في قومه ، وأعف رجل فيهم ، وقد خطبته خديجة بنت خويلد زوجاً لها في مطلع شبابه وهي في الأربعين فتزوجها فصارت أم المؤمنين ، وماتت عنده عجوزاً وقد بلغ الخمسين ، فكانت أولى نسائه وأم اولاده عدا ابراهيم (فانه من مارية القبطية) وكانت ذات حسب ونسب فاختارت الكفؤ الكريم .

اقامت معه ربع قرن فلم يتزوج عليها احداً ، بل لم يجمع في مكة بين ثنتين ، بل لم يتزوج بكراً غير عائشة (رض) فهل هذا شأن من يريد الحياة الدنيا وزينتها؟ ثم إن لتعدد ازواجه في المدينة أسباباً خاصة وعامة ، وحكماً ومقاصد سامية ، ونحن نلخصها فيما يلي :

إن الجمع بين أمهات المؤمنين لم يكن إلا بعد هجرة النبي إلى المدينة في السنوات العشر الأخيرة من عمره صلى الله عليه وسلم وعددهن تسع ، خمس من قريش ، وهن عائشة بنت ابي بكر ، وحفصة بنت عمر ، وأم حبيبة بنت ابي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة بنت أمية ، واما الأربع الباقيات فهن صفية بنت حيي الخيبرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ،

وجويرية بنت الحارث المصطلقية. والحكمة في تزوجه بعد هجرته الى المدينة ببضع نسوة في بضع سنين هو العناية باصلاح البيوت، وتهذيب النفوس، ومصاهرة القبائل، وكفالة الأرامل، وتربية الأيتام، وأن تكون ازواجه قدوة حسنة لجميع النساء في تلقي العلم والحكمة، والبر والرحمة، والتقوى والعبادة، والتربية والتعليم وإليك البيان:

(١) جعل الله تعالى من بيوت نساء النبي صلى الله عليه وسلم مدارس داخلية يتعلمن فيها الدين: عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه لا سيما ما يختص منه بالنساء فقال «وَقِرْنَ في بيوتكنّ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعنَ الله ورسوله» فالقرار في البيوت من اجل ان يتعلمن ما يحتجن اليه، وما يَعظنَ به النساء والرجال، ولهذا قال: «واذكرْنَ ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة» وآياتُ الله: براهينه وكتابه، والحكمة سنة نبيه المبينة ما نزل اليه من ربه، وانما نهى عن التبرج الجاهلي لأن المفتونات بحبّ الزينة لا يأتي منهن معلمات ولا مربيات، ولأن الانغماس في المشتهيات، والإسراف في اللذائذ يفسد بأسَ الدول القوية، ويفقرُ الأمم الغنية، فكيف بالأمة الناشئة الضعيفة، ونساء النبي انما وُجِدْنَ عند النبي لتربية الأمة وتعليمها، وارشادها واسعادها.

(٢) لما طلبن منه التوسع في الطيبات، وملابس الزينة والترف في المعيشة، نزلت في حقهن آيتا التخيير، «يا أيها النبي قل لأزواجكَ إن كنتنّ تُرِدْنَ الحياة الدنيا وزينتها فتعالينَ أمتعكنّ وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتنّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة فانّ الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً»

لما نزلت هاتان الآيتان بدأ بعائشة وكانت أحبهنّ اليه، كما كان أبوها أعز الرجال عليه، فقال يا عائشة إني أحبُّ ان اعرض عليك امراً أحبُّ ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك، قالت وما هو يا رسول الله، فتلا عليها الآية، قالت: أفيكَ يا رسول الله أستشير ابويّ، بل أختارُ الله ورسوله والدار الآخرة، ثم

خيرهن كلهن فاخترن ماهو خير لهن ، اخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

(٣) أراد نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان يقمن حيث أقامهن الله ورسوله صالحات قانتات مربيات معلمات ، مرشدات ومفتيات ، فاخترن الدار الآخرة ونعيمها الدائم ، ورضوان الله الاكبر ، على حظوظهن من هذه الحياة الدنيا ومتعها ومفاتنها ، فأثابهن الله كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين بأن قصر نبيه عليهن ، دون ان يتزوج او يطلق او يستبدل بهن غيرهن فقال : « لا يحلُّ لك النساء من بعد ولا ان تبدّل بهن من أزواج » الآية ، والحكمة في تحريم تطليقهن هو استدامة سماعهن ما يتلى في بيوت النبي من آيات الله والحكمة ، وذكر ذلك ونشره بين الناس لاسيما نساء الصحابة ، وأية فائدة تُرجى لهن او لغيرهن من طلاقهن ، وهن أمهات المؤمنين تعظيماً وتحريما على الرجال كالامهات ، فأنت ترى ان النبي قد قصر على ازواجه الطاهرات ، وحرم عليه ان يمد عينيه الى غيرهن بالزيادة او التبدل ، بخلاف رجال أمته الذين أبيح لهم التعدد بشروطه ، وكذا التطليق ، وان يستبدلوا بأزواجهم غيرهن ، فكان قصره على دائرة ضيقة من الأزواج ، وكانت الأمة في دائرة أوسع منها أهذا هو الذي يسمونه تمتعاً بالنساء أو الأزواج ؟

نساء كلهن ثيبات (عدا السيدة عائشة) ومنهن من لها اولاد ، تزوجهن في سن الكهولة أو الشيخوخة ، وحين الحاجة الى التبليغ والتعليم ، وربما كان التزوج بين كلهن قبل نزول آية التحديد بأربع نسوة ، فهي قد نزلت في السنة الثامنة من الهجرة وكان تزوجه بآخرهن وهي ميمونة بنت الحارث الهلالية في أواخر سنة سبع منها ، وحرم عليه تطليقهن لأنهن قد اخترن ما عند الله على زهرة الحياة الدنيا وزينتها ، على أنهن قد صرن أمهات المؤمنين فما الفائدة من طلاقهن وهن حرام على الرجال ؟ أوليست الحكمة في بقائهن عند هذا الزوج الكريم ، والرسول العظيم ، متعلمات معلمات ومُثلا عليا في تهذيب النفوس وسائر الصالحات ؟

تعدُّدُ الزوجاتِ والطلاق

ان تعدد الزوجات والطلاق لم يختص بهما الاسلام ، وانما كانا شائعين عند اليونان والرومان والعرب وغيرهم قبل الاسلام ، وقد اباحت القوانين الأوربية والاميركية تعدد الزوجات والطلاق واصبح ذلك عندهم مستحسناً ، من بعد ان كان مستهجناً ، ولكن التعدد في عرفهم يقصد به التنقل في اللذائذ والتمتع بأنواع الحياة والشهوات ، فكان ذلك من اكبر الدواعي لتناقص النسل ، لا لازدياده ، والسآمة من الحياة الزوجية لا الرغبة فيها .

اما التعدد الصحيح فله ضرورات ، منها ان تكون الزوج عقيماً لا تلدُ ، أو عندها مانع من مرض ، او دخلت في سنّ اليأس ، وهذه أسباب شخصية ، واما السبب الاجتماعي العام في جميع الشعوب والأقوام ، فهو زيادة النساء على الرجال لا سيما بعد الحروب العامة التي يهلك فيها الملايين من المحاربين ، ويبقى الملايين من النساء بلا رجال فتعدد الزوجات هنا ضرورة اجتماعية لتجديد النسل وتكثير الأيدي العاملة ، وهو من مصالح النساء التي تبقى محرومة نعمة الحياة الزوجية والأمومة ، ويجب أن نعلم يقيناً ان المناداة بالمساواة بين الرجال والنساء في تعدد الزوجات والأزواج هو ضرب من الاباحة أو الجنون ، لأن تعدد الزوجات يزيد النسل ، وتعدد الأزواج يفسد الحرث والنسل . وقد قال بعض الأوربيين الاجتماعيين في بيان الفرق بين الرجل والمرأة في هذا المقام : لو أن الرجل قد تزوج بمائة امرأة في عام واحد لأمكن ان يكون له مائة ولد ، ولو تزوجت أنثى بمائة رجل في عام واحد لكان لها ولد واحد او لا يكون لها شيء .

آية التعدد

يظن كثير من الناس ان الآية المبيحة للتعدد بشرط العدل ، داعية الى الاستكثار من عدد الزوجات ، والاستمتاع بصنوف المشتهيات ، مستدلين على ذلك

بجملة منها ؛ وهي : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » غافلين عن أول الآية وآخرها ؛ وسياق الآيات التي جاءت معها وسباقها ؛ والأسباب التي أنزلت في شأنها ؛ لكن الممعن في معناها يعلم انها وردت في حفظ حقوق الضعفاء ، والتحذير من اكل اموال اليتامى والنساء ، وأولها : « وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً . وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدةً او ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا »

وقد نزلت في اسباب عدة وما ثمّ تعارض بينها :

١ — في اليتيمة تكون في حجر وليها ، فيعجبه مالها ، فيريد ان يتزوج بها طمعاً في مالها او بدون مهر المثل

٢ — في منع اليتيمة من التزوج ليبقى الوليّ متمتعاً بمالها لا ينازعه فيه الزوج

٣ — في الاستكثار من النساء ، والإغارة على أموال اليتامى من اجل ذلك

٤ — في ظلم النساء الكثيرات ، وعدم العدل بينهن .

فجاءت الآيات قاضيةً بإبطال تلك المظالم ، التي كانت عليها الجاهلية في أمر اليتامى وأمر النساء ، آمرةً بالتزوج بالمرأة الرشيدة ، إذا خيف من ظلم اليتيمة ، مبيحة الزيادة على الواحدة الى الأربع ، إذا دعت الدواعي إلى ذلك بشرط العدل بينهن ، فاذا خاف الرجل الظلم اكتفى بواحدة ؛ والأصل في سعادة البيوت ألا يكون للرجل اكثر من واحدة ينعم بها ؛ ويتعاون معها على تربية نسلها تربيةً صالحةً ؛ تعتزّ بها الأمة والوطن ؛ ولكن العوارض الطبيعية والاجتماعية هي التي تلجئه إلى التعدّد كما تقدّم .

الطلاق

الطلاق لا يكون الا عن ضرورة وبصيرة ، وذلك بأن يكون الزوجان قانعين بأن لا سبيل لبقائها على الحياة الزوجية لموانع جسمية أو نفسية ، خلقية

او خلقية ، تجعل صفو العيش كدراً ، وتعرض النسل للمهانة والشقاء ؛ فالفراق في هذه الحال نعمة لا نقمة ؛ والزوجان سعيدان به لا شقيان « وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته » وآية ذلك ان يكون الزوج في حال الطلاق عاقلاً مختاراً ؛ وان تكون الزوجة راضية مطمئنة ؛ فيمتعها متاعاً حسناً بكسوة ؛ ويفارقها بإحسان . أما إذا لم يكن موجب للفراق ؛ فلا يحلُّ له أن يضارَّها بالطلاق ، وعليه أن يذكر قوله تعالى « فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً » فهذا ضمان وأمان لها من الله طول حياتها عنده ما دامت قائمة بواجبها .

أما طلاق الغضبان والسكران والطلاق من اجل قضية اجنبية لا علاقة للزوجة بها فهو طلاق الظالمين لأنفسهم ولأزواجهم .

والحاصل ان مسألة الطلاق كتعدُّد الزوجات شرعت للحاجة اليها ؛ ولها شروط وقيود تثبت نفعها وتمنع ضررها ؛ وليس لدينا وقت لإيراد النصوص عليها ، على أنها معلومة مشهورة . أما الطلاق في اوربا واميركا فالظاهر انه لا يكون الا لأسباب تقع بين الزوجين خاصةً ؛ ولكنهم يطلقون لأهون الأسباب وأيسرها ؛ كقص الشعر ؛ وحلق اللحية ؛ ولباس السهرة ونحو ذلك ؛ ولذلك كثر عندهم كثرة هائلة وليس لديَّ احصاء عنه الآن وهو طلاق باعثه السآمة والملل ، وحب التنقل وله عواقب وخيمة ومنها ضياع النسل ، وقد نشرت جريدة الاهرام اول سنة ١٣٥٤ هـ و سنة ١٩٣٥ م اعتقاداً للقاضي لندمي اشهر قضاة الطلاق في لوس انجلوس من ولاية (كليفورنيه) خلاصته ان الحياة الزوجية ستزول من بلادهم (امريكة الشمالية) وتحل محلها الاباحة والفوضى في العلاقة بين النساء والرجال في زمن قريب ، وهي الآن كشركة تجارية ينقضها الشريكان لأوهى الاسباب خلافاً لهداية جميع الأديان ، إذ لا دين ولا حب يربطها ، بل الشهوات ، والتنقل في وسائل المسرات

رسم خطة عملية لاصلاح البيوت

البيوت مؤلفة من رجال ونساء وبنين وبنات ، والرجل هو المسؤول عن زوجه

وولده ، وكل من يتصل به ، وفي الحديث الصحيح : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» فيجب على الرجل ان يأخذ نفسه وأهله بأدب الدين الذي هو جماع الفضائل والآداب ، فان كان الرجل جاهلاً او ضعيفاً لا يستطيع ان يعلم هو بنفسه ، ولا ان يكون قدوة صالحة لغيره ، فعليه ان يستعين على ذلك برجال الأمة وهم علماؤها العاملون الأطهار ، وعلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ان يقوموا بواجب التهذيب والتعليم ، اما اذا كان الرجل آثماً وحاول أن يدخل الفسق في بيته ، ويلوث طهارته وطهارة زوجه وولده ، فما على المحصنات في البيوت والأولاد البررة الا ان يأخذوا حذرهم ، ويتعاونوا جميعاً على نصحه ومنعه ، عملاً بالآية الكريمة «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان»

وهذا الاصلاح الداخلي مطلوب من النساء لأنهن ربات البيوت ، ومربيات النفوس ، بل هن اميرات الداخل ، ومعاقل المنازل ، وما زلن اقرب الى الفطرة ، وأعف من الرجال ، وابعد عن كل مسكر وميسر ، وسائر انواع المفاسد ، وللمرأة الحق بأمر الرجل بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وتطهير بيتها من جراثيم الفساد التي يحاول الرجل الأثيم ان يلقح بها عياله واطفاله ، فتفتك بهم عاجلاً او آجلاً كما فتكت به من قبل ، فعلى النساء ان يحذرن كل الحذر ، وان يعلمن حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يذكرن الآية الكريمة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فقد أعطت هذه الآية الكريمة هذا الحق للرجال والنساء على السواء ، ويدخل في هذا انكارهم حتى على الخلفاء والملوك والأمراء ، وقد كان النساء يعلمن هذا في صدر الاسلام ويعملن به كالرجال .

وبعد فان لنا عتباً على المرأة الحديثة التي اخذت تعقد المؤتمرات في غير وطنها، وتطلب حقوقها من غير دينها وأمتها ، وهي تدري او لاتدري أن لها في الاسلام من الحقوق ما لم تعطه امرأة قديمة ولا حديثة ، في شريعة من الشرائع الدينية او المدنية ،

هي تطالب بحقوق لم تسلبها، وتشكو أمة لم تظلمها، وشريعة لا تزال تعيش في ظلالها، وتستنير بنورها، فيا ليت النساء العربيات المسلمات يعقدن المؤتمرات النسائية في بلادنا، ويجددن بها مكانة المرأة العربية ايام عصورها الذهبية؛ فتعود عالمة عاملة؛ آمرة ناهية، كما فعلت تلك التي عارضت امير المؤمنين عمر بن الخطاب في مسألة المهور، وهو واقف يخطب على منبر الرسول، فاعترف بخطئه، ورجع الى قولها عن قوله، وأرى ان هذا اقرب طريق للاصلاح لأنه متى صلحت الأفراد صلحت الجماعات، ومتى صلحت الأسرة صلحت الأمة، والسلام.

محاضرة للاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي على الرجال — مساء الخميس الواقع في ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ الموافق ٢٢ أيار سنة ١٩٤١.

وعلى السيدات: مساء الخميس الواقع في ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٠ الموافق ٢٩ أيار سنة ١٩٤١

الطِرِمّاح بن حكيم الطائي

(١)

حياته

هو الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نَفْر بن قيس بن جَحْدر الطائي . ويكنى ابا نَفْر وابا ضُبيبة . ينتهي نسبه الى طيّ . وبنو طيّ من العرب القحطانية كانت منازلهم باليمن فخرجوا منها بحادثة سيل العرم فنزلوا بنجد والحجاز على القرب من بني اسد ، ثم غلبوا بني اسد على جبلي أجأ وسَلمى من بلاد نجد فنزلوهما فعرفا بجبلي طيّ ، ثم افترقوا في اول الاسلام زمن الفتوح في الاقطار . ولهم بطون كثيرة في الشام والعراق [١]

كان نفر بن قيس أحد أجداد الطرماح شاعراً ذكر له ابو تمام الطائي في الحماسة هذين البيتين :

الا قالت بُهيثة مالنفرِ أراه غيرت منه الدهورُ
وانتِ كذاكِ قد غُيرتِ بعدي وكنتِ كأنكِ الشعرى العبورُ

وكان قيس بن جحدر والدُ نفر ابنَ خالة حاتم الطائي أسره بعض ملوك بني جفنة بدمشق فدخل عليه حاتم فاستوهبه اياه وقال : [٢]

فككتَ عدياً كلها من اسارها فأفضل وشفعني بقيس بن جحدرِ
ابوه ابي والأم من أمهاتنا فأنعم فدتك اليوم نفسي ومعشري

وقيس بن جحدر هذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم وورد اسمه في كتب طبقات الصحابة [٣]

والطرماح من فحول الشعراء الاسلاميين ولد ومات في العصر الاموي ، ولم

---

(١) صبح الاعشى للقلقشندي ج ١ ص ٣٣٠ وبلوغ الارب له ص ٢٦٦

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٦٠   (٣) الاصابة في تمييز الصحابة ج٥ ص ٢٦٨

ينص احد ممن ترجم له من المتقدمين على تاريخ ولادته اووفاته ولكن بعض اخباره وأشعاره تعين على معرفة ذلك على سبيل التقريب ·

ولد الطرماح في الشام ونشأ بها كما نص على ذلك كل من ترجم له دون ان يعينوا المدينة او القرية التي ولد بها · ولا يبعد ان يكون مولده حوالى منتصف القرن الأول لما سيأتي · ونحن لا نعلم من احواله وهو في الشام شيئاً بل جميع ماروي من أخباره كان بعد نزوحه عنها · ولكنه ظل يفخر بشاميته كما يفخر بقحطانيته قال :

وبجاك من أسد العراق كتائب ... لقحطان اهل الشام يوم استهلتِ

بهم ينصر الله الخليفة كلما ... رأوا نعل صنديد عن الحق زلتِ

وقال :

فبعزنا نصر النبي محمد ... وبنا تثبت في دمشق المنبرُ

وقال :

يمـاني تبوع للمساعي ... يداه وكل ذي حسب يماني

وانتقل من الشام الى الكوفة مع من وردها من جيوش اهـل الشام ، ولا يبعد ان يكون ذلك بعد سنة سبعين اذ قمع عبد الملك بن مروان بجيوش اهل الشام ثوائر العراق · وقد نكون غير مخطئين اذا قدرنا ان الطرماح وقتئذ كان في العقد الثالث من عمره كأكثر الجنود عادةً · ونزل بالكوفة في تيم اللات بن ثعلبة وأخذ عن شيخ منهم مذهب الخوارج كما سيأتي · ولكن لم يرو عنه انه حارب مع الخوارج · وبالكوفـة صحب الكُميت ابن زيد الاسدي الشاعر وتوثقت بينهما عرى الصداقة على اختلاف أحوالهما · قال صاحب الأغاني : « كان الكميت بن زيد صديقاً للطرماح لايكادان يفترقان في حال من احوالهما فقيل للكميت لاشيءُ اعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماح على تباعد مايجمعكما من النسب والمذهب والبلاد هو شامي قحطـاني (خارجي) وانت كوفي نزاري شيعي فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ فقال اتفقنا على بغض العامة » (١)

(١) انظر أيضاً البيان والتبين للجاحظ ج ١ ص ٥٦ .

وذهب من الكوفة الى بلاد فارس وذكر عدة مواضع منها في شعره مثل بم وكرمان وفج الريح والقاقزان وقزوين قال :

ألا أيها الليل الطويل الا اصبح   ببم وما الاصباح فيك بأروح
لئن مرَّ في كرمان ليلي فربما   حلا بين تلّيْ بابل فالمضيح

وقال :

طربت وشاقك البرق اليماني   بفج الريح فج القاقزان
الم تر ان عرفان الثريا   يهيج لي بقزوين احتزاني

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين [1] ان الطرماح أقام بالري يشتغل بالتعليم . وعاد الطرماح الى الكوفة واقام بها الى ان توفي . قال ابن شبرمة : « كان الطرماح لنا جليساً ففقدناه اياماً كثيرة فقمنا بأجمعنا لننظر ما فعل وما دهاه فلما كنا قريبا من منزله اذا نحن بنعش عليه مطرف اخضر فقلنا لمن هذا النعش فقيل هذا نعش الطرماح فقلنا والله ما استجاب الله تعالى له حيث يقول :

واني لمقتاد جوادي وقاذف   به وبنفسي العام احدى المقاذف
لأكسب مالاً او أؤول الى غنى   من الله يكفيني عدات الخلائف
فيارب ان حانت وفاتي فلاتكن   على شرجع [2] يعلى بخضر المطارف
ولكن قبري بطن نسر مقيله   بجو السماء في نسور عواكف
وامسي شهيداً ثاوياً في عصابة   يصابون في فج من الأرض خائف
فوارس من شيبان ألف بينهم   تقى الله نزالون عند التزاحف
اذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى   وصاروا الى موعود ما في المصاحف »

ويقول ابو هلال العسكري في جزء من كتاب التصحيف [3] ان الطرماح بقي بعد الفرزدق . والفرزدق توفي سنة اثنتي عشرة ومئة . فلا يبعد ان يكون مات بعده بقليل لأنه ليس في أخباره أو شعره ما يدل على انه عاش طويلاً بعد ذلك التاريخ .

(١) ج ٣ ص ٢٥٧   (٢) الشرجع النعش   (٣) مخطوط ص ١٥

ولم يروعن الطرماح انه اتصل بأحد من خلفاء بني أمية او مدحهم ولكنه مدح من أمراء العراق يزيد بن المهلب وهو قحطاني واشار الى مقتله يوم العقر سنة اثنتين ومئة بقوله :

كتائب من قحطان بالعقر اوقعت وقائع فيهـا أعظمت وأجلتِ

ومدح ابنه مخلد بن يزيد الذي توفي فتى في حياة ابيه حوالى سنة مئة[1] كما مدح خالد بن عبد الله القسري وهو قحطاني ايضاً (ولي العراق سنة خمس ومئة وقتل سنة ست وعشرين ومئة) وكان خالد يجله ويؤثره ٠ ورد في الاغاني : ان الطرماح دخل على خالد فانشده قوله :

وشيبني ما لا ازال مناهضاً بغـير غنى اسمو به وابوعُ
وان رجال المال اضحوا ومالُهم لهم عند ابواب الملوك شفيع
اتخترمي ريب المنون ولم انل من المال ما اعصي به واطيع

فأمر له بعشرين الف درهم وقال امض الآن فاعص وأطع ٠

ومدح الطرماح خالداً فأقبل على العريان بن الهيثم وقال له : اني قد مدحت الأمير فأحب ان تدخلني عليه ، فدخل اليه العريان فقال له : ان الطرماح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً ٠ فقال مالي في الشعر من حاجة ٠ فقال العريان للطرماح تراءَ له ٠ فخرج معه فلما جاوز دار زياد اذا شيء قد ارتفع فقال يا عريان انظر ما هذا فنظر ثم رجع فقال : أصلح الله تعالى الأمير هذا شيء بعث به اليك عبد الله بن ابي موسى من سجستان فاذا حمر وبغال ورجال وصبيان ونساء ، فقال يا عريان اين طرماحك هذا ؟ قال : ههنا قال : اعطه كل ما قدم به ٠ فرجع الى الكوفة بما شاء ولم ينشده ٠

ووقعت مهاجاة بين الطرماح وبين الفرزدق كان الطرماح موفقاً فيها كثيراً ٠

أما أهل بيت الطرماح فنعلم ان اسم زوجه سلمى فقد ذكرها في شعره كما ذكر أيضاً اسم ابنه صمصامة قال :

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٣٥٦

أبا سلمٍ ان ارجع اليك فربما رجعت وأمري للعدى غير مفرح
أحاذر يا صمصام ان مت ان يلي تراثي واياك امرؤ غير مصلح

وورد في الأغاني ان له ابناً اسمه صبيرة ولصبيرة هذا ولد اسمه يحيى روى عنه ابو عبيدة · ومن احفاد الطرماح ابان بن الصمصامة بن الطرماح كان شاعراً نحوياً عالماً باللغة والشعر حافظاً للقريض وكان كاتباً عند المهالبة في افريقية فلما تولى افريقية ابراهيم بن الأغلب سنة أربع وثمانين ومئة وكان ينتسب الى بني تميم اطرحه لأن جده الطرماح هجا بني تميم [1]

ثقافته وصفته وأخلاقه

كان الطرماح واسع الرواية تعلم النحو وطلب غريب اللغة وعلم الأدب وقد يكون اول من تثقف من الشعراء الاسلاميين على سبيل الطلب والدرس · وهو معدود في الخطباء الفصحاء كما هو معدود من فحول الشعراء · قال الجاحظ « ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائي وكنيته ابو نفر [2] » وقال ايضاً « وكان الكميت والبعيث والطرماح شعراء خطباء [3] » ولكن خطب الطرماح لا تزال سراً مكتوماً في صدر الزمان ·

أما حسن تعليمه فقد قال الجاحظ ايضاً : « قال عبد الأعلى رأيت الطرماح مؤدباً بالري فلم أر احداً آخذ لعقول الرجال ولا اجذب لأسماعهم الى حديثه منه، ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده كأنهم قد جالسوا العلماء [4] »

وفي الأغاني [5] ان الكميت أنشد قول الطرماح :

اذا قبضت نفس الطرماح اخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

فقال اي والله وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة ·

---

(١) مقدمة ديوان الطرماح عن معجم الادباء لياقوت ج٣ص ٣٦١ وبغية الوعاة للسيوطي ص٢٠٠
(٢) البيان والتبين ج ١ ص ٥٦ (٣) البيان والتبين ج ٣ ص ٢٧٢ (٤) البيان والتبين ج ٢ ص ٢٥٧ (٥) ج ١٠ ص ١٦٩

وما وصل الينا من شعر الطرماح مع بعض أخباره يدل على استقامة وجد وحزم وتقوى شأن اكثر الخوارج ، فلم يكن يميل الى العبث واللهو بل يغلب عليه الجد والتصاون كما انه كان بعيداً عن مداراة الأمراء ومداجاتهم يرى نفسه اكبر من أن يقف بحضرة امير وينشده الشعر . قال صاحب الاغاني : « وفد الطرماح بن حكيم والكميت بن زيد على مخلد بن يزيد المهلبي فجلس لهما ودعاهما فتقدم الطرماح لينشد فقال له أنشدنا قائماً فقال كلا والله ما قدر الشعر ان اقوم فيحط مني مقامي وأحط منه بضراعتي وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمآثر العرب فقيل له فتنح . ودعي الكميت فأنشد قائماً فأمر له بخمسين الف درهم فلما خرج الكميت شاطرها الطرماح وقال له : أنت ابا ضبيبة أبعد همةً وانا ألطف حيلةً »

والطرماح مع علو همته وأنفته فخور تياه يفخر بنسبه ونفسه ويتعصب للقحطانية على العدنانية ويعتز بقبيلته واسلاميته وشآميته ، وأشعاره في ذلك غير قليلة . قال صاحب الأغاني : « مرَّ الطرماح في مسجد البصرة وهو يخطر في مشيته فقال رجل من هذا الخطار فسمعه فقال انا الذي أقول :

لقد زادني حباً لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل
واني شقي باللئام ولا ترى شقياً بهم الا كريم الشمائل
اذا ما رآني قطع الطرف بينه وبيني فعل العارف المتجاهل »

مذهبه

« لما ذهب الطرماح من الشام الى الكوفة نزل في تيم اللات بن ثعلبة وكان فيهم شيخ من الشراة له سمت وهيئة ، وكان الطرماح يجالسه ويسمع منه ، فرسخ كلامه في قلبه ودعاه الشيخ الى مذهبه فقبله واعتقده اشد اعتقاد وأصحه حتى مات عليه » . هكذا يقول صاحب الأغاني . ويقول ابن جرير الطبري [1] ان القعقاع بن قيس عم الطرماح كان يرى رأي الخوارج . فلا يبعد ان يكون الطرماح كتم

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٣

مذهبه وهو في الشام خوفاً من الخلفاء فلما ذهب الى الكوفة أعلنه . ويقول صاحب الأغاني انه كان يعتقد مذهب الازارقة من الشراة ويجعله الجاحظ [1] من الصفرية وكلتا الفرقتين من الخوارج وأصولها واحدة واختلافهما في الفروع غير ذي بال [2] والازارقة اكثر تشدداً والصفرية ألين جانباً . ولعل ما قاله الجاحظ هو الصحيح لأنه لم يرو عن الطرماح انه قاتل مع الخوارج بل مدح بعض امراء العراق من قبل بني أمية وذكر خلافتهم بخير . وشعره يدل دلالة واضحة على انه يعتقد مذهب الخوارج اصح اعتقاد من ذلك قوله :

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له ... ان لم أفز فوزة تنجي من النار
والنار لم ينج من روعاتها أحد ... الا المنيب بقلب المخلص الشاري

وقوله :

لله در الشراة انهم ... اذا الكرى مال بالطلا أرقوا
يرجعون الحنين آونة ... وان علا ساعة بهم شهقوا
خوفاً تبيت القلوب واجفة ... تكاد عنها الصدور تنفلق
كيف ارجي الحياة بعدهم ... وقد مضى مؤنسي فانطلقوا
قوم شحاح على اعتقادهم ... بالفوز مما يخاف قد وثقوا

ولكنه لم يكن خشناً ولا متزمتاً وصداقته للكميت بن زيد الشيعي دليل على دماثته ولين جانبه .

شعره

الطرماح من فحول الشعراء الاسلاميين تغلب عليه الجزالة حتى تنتهي به في كثير من شعره الى الغريب والعويص ، ويظهر على شعره أثر الاسلام والايمان بما أتى به والرغبة فيما دعا اليه والخوف مما نهى عنه فهو من هذه الجهة يشبه الفرزدق ويزيد عليه بالجد والتعاون وخلو شعره من العبث والمجون والغزل الفاحش . تقرأ شعر الطرماح فترى نفس شاعر فارس جم المروءة حمي الأنف كبير النفس

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٦ (٢) انظر كتاب الفرق بين الفرق ص ٦٣ و ص ٧٠

حسن الايمان لا يكاد يصرف شعره في سبيل التكسب والزلفى بل يرسله معبراً عما يختلج في نفسه من بواعث الشعر فيصف ويتغزل ويفتخر ويهجو ويرسل المثل وينطق بالحكمة والموعظة . وتكاد تكون جميع قصائده الطويلة من هذا النوع لم يمدح بها أحداً ولم يرث بها أحداً فاذا توجه الشعر فشق نفسه في زمن كثر فيه المداحون المستجدون

أما وصفه فهو أشبه بوصف شعراء الجاهلية يصور البادية وحياتها وطبيعتها وما في أرضها وسمائها على انه حضري نشأ في الشام ودخل بلاد فارس وأقام بها ولكن إلهام البادية في وصفه أظهر وعزيف جنها اوضح يعبق فيه الشيح والقيصوم ويلمع السراب وترغو الابل وهو في جملته وصف دقيق فيه حياة متحركة يتناول الدقيق والجليل ولكن غرابة اللغة في كثير منه تجعله غريباً عن الأذواق.

وأما غزله ففيه حنين يبعث الحنو وتشوق يثير الوجد ولوعة تتنزى وعاطفة شريفة يرسله أنفاساً حرى من غربته في بلاد فارس الى سلمى التي ملكت قلبه وشغلته عمن سواها ، وسلمى هذه هي امرأته وما أعجب قوله فيها :

كأن فؤادي بين أظفار طائر ... اذا سنحت ذكراك من غير مسنح
وذكراك ما لم تسعف الدار بيننا ... تباريح من عيش الحياة المبرح
أيا سلم ان ارجع اليك فربما ... رجعت وامري للعدى غير مفرح
أصمصام ان تشفع لأمك تلقها ... لها شافع في الصدر لم يتبرح
هل الحب الا انها لو تعرضت ... لذبحك يا صمصام قلت لها اذبحي

«وصمصامة هذا ابنه» ولا شك في ان الغربة ارهفت عاطفة حب الأهل والبنين والوطن في نفسه وجعلته مشفقاً من حوادث الزمان يخشى ان تغتاله المنية وهو بعيد عنهم قال :

أحاذر يا صمصام ان مت أن يلي ... تراثي واياك امرؤ غير مصلح
اذا صك وسط القوم رأسك صكة ... يقول له الناهي ملكت فأسجح
وناصرك الأدنى عليه ظعينة ... تميد اذا استعبرت ميد المرنح

مفجعة لا دفع للضيم عندها سوى سفحان الدمع من كل مسفح
اذا جئتها تبكي بكت وتذكرت مع الحزن صولات امرئ غير زمح

وأما فخره فمن ابواب شعره الجيدة ينم على اعتداده بنفسه وزهوه بها وافتخاره بفضائله الخاصة وكرم قبيلته ومآثرها واحتقاره للطبقة الدنيا من الناس وعدم احتفاله بالعامة وما أعرف فخراً احلى عنجهية من قوله :

« لقد زادني حباً لنفسي أنني » الأبيات

يتبع

خليل مردم بك

كلمة (فنْد شمع)

(من أين جاءت ؟ وكيف استعملت ؟ وشيءٌ من تاريخها)

أضع اليوم رسالة بعنوان (مكتبة آل المغربي بطرابلس الشام · وصفها وتاريخ جمعها وذكريات عنها) وقد كفتني الكتابة في هذا الموضوع رصيفي الاستاذ الفيكنت فيليب دي طرازي · لأنه مزمع تأليف كتاب باسم (خزائن الكتب العربية) وهو الكتاب الذي نوّه به الاستاذ رئيس المجمع في الجزء الأول من السنة الماضية ·

وبينا انا استعرض كتب خزانتنا اذا كتاب من مخطوطاتها عنوانه (كتاب شرح ديوان ابي العلاء المعري لابن الدرة) (كذا بالهاء ذات النقطتين في آخرها) وتحت هذا العنوان عنوان آخر هذا نصه (سَفَط العقيان والحلَى لعروس ديوان ابي العلا · بل ضوء الفند · من سقط الزند · للمرحوم الشيخ محمد الدرا (كذا بالألف في الآخر بدل الهاء) وهو أحسن شروحه اه وقد قال المؤلف في مقدمة شرحه ما نصه (وقد كنت حين الشروع في هذا الشرح سميته (سفط العقيان والحلى لعروس ديوان أبي العلا ثم اني بعد الفراغ منه والاتمام · رأيت في عالم الخيال والمنام · أني استقدح زنداً · واستصبح منه فنداً · فعبرت ذلك ان سميته : ضوء الفند · من سقط الزند) ثم قال المؤلف في خاتمة الكتاب إنه فرغ من تأليفه في جدّة سنة ١٠٦٤ هـ وبيض المؤلف منه اربعة كراريس الى ان قدم بلده دمشق · وتوفي فيها سنة ١٠٦٥ هـ وقام بعده ابن اخته عبد الحق بن علي الدرّا فأكمل بياض الشرح في سنة ١٠٩٥ هـ ولعل مخطوطة خزانتنا هي نفسها التي كتبها عبد الحق · وقد بحثت عن نسخة أخرى سواها لدى آل الدرا وفي المكتبة الظاهرية وفي فهرست دار الكتب المصرية فلم اظفر بشيء · والسفط بالفاء المفتوحة وعاء الطيوب والجواهر ونحوها · اما تسمية الكتاب بالاسم الثاني اعني (ضوء الفند) فهو موضع تساؤل : من اين جاءت

كلمة (فند) الى لغتنا العربية واذا لم تكن عربية بل دخيلة معرَّبة فكيف جاز لمؤلف ان يستعملها منذ ٣٠٠ سنة ؟

عهدي بكلمة (فند) وتضاف الى الشمع فيقال (فند شمع) — أنها عامية محضة وكنت من يوم نشأت اسمع الناس في طرابلس يقولون (فند شمع) ويريدون بالشمع الشمع الذي يستضاء به بل اذا انعمنا النظر في كلامهم نراهم يريدون به في اكثر الأوقات عدة شمعات تباع في غلافها المتخذ من الورق الثخين الازرق . ويقال احياناً (دَزدينة شمع) مكان (فند شمع) وقد راجعت عن كلمة (فند) كل ما عندي من كتب اللغة فلم اعثر عليها كما راجعت معجم شمس الدين سامي ومعجم لاروس والمعجم الانكليزي فلم أرها بين كلمات هذه اللغات وسألت اخواننا اهل دمشق عما اذا كانوا يستعملونها في لهجتهم اليومية فقالوا انهم لا يعرفونهـا . ولا سمعوا بها . فمن أين وصلت الى مؤلف (ضوء الفند) وهو دمشقي النشأة والوفاة حتى سمى كتابه بها منذ ثلاثة قرون . ثم خطر لي ان اراجع معجم اليسوعيين (الفرائد الدرية) فوجدته يقول (فند الشمع وجمعه فنود Bougie. Cierge) وضبطاه (فند) بالكسر وعهدي بالطرابلسيين انهم ينطقونها بالفتح . وجمعها في الفرائد على فنود والاقيس ان تجمع على افناد اذا صح انها مكسورة الفاء . وقد وُضعت أمامها العلامة التي تفيد ان الكلمة عربية عامية وان اكثر استعمالها بين عامة لبنان . لكنه (اي صاحب الفرائد) لم يشر الى المعدن التي منه نبتت . وعنه اغتربت . فمن أين جاءتنا اذن ؟

وأخيراً رجعت الى الحاج علي أكبر الشيرازي وهو شيخ معمَّر من النزلاء الايرانيين بدمشق وقد اعتدت ان استفتيه في الكلمات الفارسية او الايرانية الحديثة فلعل (فندا) من هذه الكلمات وقلت له انها تَدل على معنى الشمع فقال انه لا يعرفها وانما يعرف كلمة (فندك) ويتذكر أنه وهو صغير في شيراز كان يرى اهله يتخذون اناء صغيراً من زجاج يملؤونه ماء ويصبون على الماء مذوب الشحم وعلى الشحم شمعة او فتيلة صغيرة يستضيئون بها في الليل مكان البترول وانهم يسمونها (فندك)

هذا ماقاله فلعل كلمة (فندك) جاءتنا مع السلع التي كانت ترد الينا من ايران في القرن الماضي وما قبله ثم حرفت الى كلمة (فند) واطلقناها على الشمع . واناء الاستصباح الذي ذكره الحاج علي اكبر يسمى في دمشق (ادارة) وفي طرابلس الشام (نوّاسة) و (إرّابة) واذا لم يصح ان (فند) ايرانية وان اصلها فندك ، كان لنا ان نتبنّاها نحن معشر العرب وندّعي عروبتها حتى تقوم لغة أخرى فتستلحقها . ونقيم الدليل على نسبتها اليها :

* * *

(الفند) بكسر الفاء لها في اللغة العربية عدة معان لا يمكن ان يكون معنى (الفند) جاء منها . اللهم الاّ من معنيين :

(الأول) ان الفند يكون بمعنى (الطائفة من الليل) كما في نهاية ابن الأثير . فهل يسمح لنا أن نقول ان استعمال (فند الشمع) جاء من هذا المعنى على تأويل ان الظلمة تنجاب وتنكشف بنور هذا الشمع . ولا انكر ان في هذا التوجيه تكلفاً : لأن الظاهر ان يقال : شمع الفند اي شمع الظلام لا فند الشمع اي ظلام الشمع

(الثاني) ان (الفند) في اللغة يكون ايضاً بمعنى الغصن من اغصان الشجر . وفند الشمع او شمعاته هي شبيهة بأغصان تغرس ليلاً في المجالس . فيُجنى منها بدل الثمار نورٌ يطرد الحنادس . فهل يوافقني قارئي الكريم على ان معنى (الفند) جاء من هذا المعنى المجازي ثم تنوسي بالمرّة ان الفند بمعنى الغصن وصار يفهم منه معنى الشمع حتى صار الشمع معنى حقيقياً له . ومثله كثير في كلمات اللغة العربية : تكون الكلمة مجازا ثم تصبح بسبب تواتر الاستعمال حقيقة .

نرجع الى عبارة المؤلف (الدرّا) في مقدمة كتابه وهو قوله (استقدح زندا . واستصبح منه فندا) فمعناه : استوري من الزند نوراً كنور الشمع . وقوله (صيته ضوء الفند من سقط الزند) السقط الشرر المتناثر من الزند . فيكون المعنى : صيته ضوء الشمع المستخرج من شرر الزند . مريداً بذلك ان شعر ابي العلاء كالشرر

فهو (اي المؤلف) استخرج منه نوراً . ازداد به الشرر ظهوراً . لكن المؤلف لو قال (عن سقط الزند) مكان (من سقط الزند) لكان احسن

وقال ناسخ المخطوطة عبد الحق الدرا في آخرها ما نصه (ولم تزل هذه اللؤلؤة (يعني كتاب خاله) في صدفة المسودة . تمضي عليها مدة بعد مدة . وهي كالعنقاء . يسمع اسمها . ولا يرى جسمها . حتى كادت تخفى . ونور هذا الفند يطفى . إلى أن يسر الله تبييضها الخ

فانظر كيف ان كلمة (فند) قد مرنت عليها ألسنة الدماشقة في ذلك العهد الى هذا الحد . ويزيدك دلالة على ذلك ان المؤلف لم يفسر في كتابه لمن جاء بعده معنى كلمة (الفند) مع انه فسر نحو الف كلمة من عويص الكلمات . ونسي هذه الكلمة الواحدة التي جعلها اسماً لكتابه . ولا سيما انه سنحت له الطف المناسبات لتفسير معنى (فند الشمع) . وذلك انه فسر لنا في تأليفه قول (ابي العلاء) يخاطب الدهر:

(تستأثر العقبانَ في جوها وتُنزل الأعصمَ من فنده)

ففسر كلمة (الفند) بالقطعة من الجبل لكنه لم يفسر لنا كلمة الفند بمعنى الشمع . ومن أية لغة جاءت ؟ ومن أيّ جانبٍ على لغتنا دَمَرَتْ ؟ ألا يكون هذا من مواضع العجب ؟

ولقائل ان يقول ان المؤلف رأى كلمة (الفند) معروفة المعنى مألوفة الاستعمال بين اهل زمنه ومثلها لا يحتاج الى تفسير . وهذا كما اذا قام احدنا والف رسالة في تكذيب ما تناقله العرب من أخبار الغيلان وسمى رسالته (إيقاد البترول على اخبار الغول) أتراه يفسر لنا معنى كلمة (البترول) الأعجمية ؟ . وهكذا اشتهرت كلمة (الفند) بمعنى الشمع بالنسبة الى الدماشقة في زمن المؤلف فأصبح تفسيرها مما لا حاجة اليه

على ان كلمة (فند) ان كانت عادت فماتت في دمشق . فانها لم تزل حية — فيما أظن — في طرابلس الشام وما يليها من مدن الساحل .

وتتبع تاريخ كلمات اللغة وتطورها بحث لغوي جديد يحتفل له علماء اصول اللغات من علماء اوربا . فينبغي للمشتغلين منا في علم اللغة ان ينحوا هذا العلم الطريف جانباً من عنايتهم واهتمامهم

وبهذه المناسبة نقول : انه كان قديماً لصنع الشمع والمتاجرة به سوق رائجة في دمشق : أيام كان ركب الحج والحجاج يغدون ويروحون بين الشام والحجاز وكان الحجاج واهلوهم ومودعوهم يهدون وينذرون الشموع للمسجدالنبوي والأضرحة الشريفة . وكان في دمشق معامل وعمّال وعائلات ترتزق من صنع فنود الشمع . وما زال الى اليوم يسمى بعض هذه العائلات بالشماع . ففي هذا المحيط تولدت كلمة (الفند) بمعنى الشمع وكذلك تولدت مثل هذا التولد بين النصارى بالنسبة إلى الشمع الذي يهدى من مزارات القدس وإليها كذا أخبرني لفيف من قساوسة الروم الأرثوذكس .

* * *

والشيخ محمد مؤلف ضوء الفند ترجمه المحبي في (نفحة الريحانة) وفي (خلاصة الأثر (جزء٤ص ٢٤٩) وتكرر اسمه فيه بلفظ (الدرا) بالألف لا (الدرة) بالهاء . وقال عنه : إنه حضر دروس الشيخ عبد الرحمن العمادي والنجم الغزي . ورحل الى القاهرة . وجاور بمكة . وعمل فيها شرحاً على (سقط الزند) ثم ادركه المرض ولم يكمل الشرح ! ! وجعل كتابه برسم خزانة الشريف (زيد بن محسن) وقال : إنه ولد سنة ١٠٢٨ ﻫ وتوفي بدمشق سنة ١٠٦٥ ﻫ ودفن بجبانة باب الصغير اﻫ غير ان المحبي اخطأ في قوله : ان المؤلف لم يكمل شرحه على سقط الزند بل نقول إنه اكمله تأليفاً . لكنه لم يكمله تبييضاً . فأكمل تبييضه ابن اخته (عبد الحق) كما نقلناه عن مخطوطتنا في صدر مقالنا هذا .

لما ان اسم المؤلف (الدرة) بالهاء او (الدرا) بالألف فأذكر خلاصة ما سمعته من الاخوان الدمشقيين في التفرقة بينهما قالوا : في دمشق اسرتان بهذا الاسم احداهما مقيمة في دومة احدى مدن الغوطة . والاسرة الأخرى وافدة من حمص واوطنت دمشق منذ القديم . وزاد آخر فقال والأسرة الدومانية هي التي تكتب (الدرة) بالهاء

على اسم الطائر المعروف الذي يسمعنا صوتاً يحكي كلام الناس . اما الأسرة الحمصية فيكتب اسمها (الدرّا) بفتح الدال وبالألف المقصورة وزاد ثالث ان اصل (الدرّا) (الدرّاء) بهمزة في آخرها على وزن غرّاء فقصرت قال : وإنما لقبت هذه العائلة بالدرّاء لأن رجالها اشتهروا بخاصة جزيلة النفع إلهية الصنع : ذلك ان المرضع من النساء اذا خانتها درّتها . وخافت على طفلها . قصدت كبير بيت الدرّا فيضع يده المباركة على ثديها . ويتلو دعاء عجيباً توارثوه بينهم فيستدر لبنها . وتصبح (درّاء) غزيرة اللبن . بعد ان كانت (جدّاء) لا لبن في ثديها .

اقول : لكن اهل اللسان لايعرفون كلمة (الدرّاء) بمعنى المرأة ذات الدر وانهم ربما يقولون في صفتها (درور) لا (دراء) فقولهم (الدرا) اذن من مخترعاتهم وعلى هذا يكون معنى (بيت الدرا) العائلة المنسوبة الى المرأة (الدراء) التي ردّوا لهفتها . وأرجعوا إليها درّتها . وهناك احتمال آخر وهو أن تكون كلمة (الدرّا) محرفة عن (الدرّة) بمعنى لبن المرضع الذي يسيل من ثديها . ومؤلف (ضوء القند) من هذا البيت على ما يقال .

المغربي

المكثرون من التأليف والمجوِّدون فيه (١)

من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتابان عظيمان : كتاب الكواكب الدراري في تبويب مسند الامام أحمد على ابواب البخاري لجامعه ابي الحسن علي بن عروة الحنبلي من أهل القرن التاسع ، وكتاب تاريخ دمشق الكبير لواضعه الحافظ ابي القاسم ابن عساكر من أهل القرن السادس .

هذان السفران الجليلان آيتان ناطقتان على طول نفس القدماء في التأليف ، وجد من الأول مجلدات كثيرة ضخمة الموجود منها اربعة وأربعون مجلداً متفرقة ، ومما وجد منها المجلد الثاني والعشرون بعد المئة فلا يظن ان الكتاب بلغ أقل من مئة وخمسين مجلداً في التفسير والحديث والاصول والفقه وتراجم الحنابلة ومباحث في الفلسفة والكلام والتاريخ والأدب ، فهو معلمة اسلامية حقيقية ضمت بين جوانحها اشهر كتابات علماء الحنابلة وكبار مجتهدي الأمة مثل شيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن رجب وغيرهم من الاعلام .

وأما تاريخ دمشق فمنه الآن نسختان نسخة في عشرين مجلداً ونسخة وقعت في عشرة مجلدات ضخمة وهي تامة وكان كتب في ثمانين مجلداً . ولقد جرى ذكره في مجلس حافظ مصر زكي الدين المنذري وطال الحديث في امره واستعظامه فقال الحافظ : ما أظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت ، والا فالعمر يقصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبه . قال ابن خلكان : ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها وله غيره تواليف حسنة . ويعتبر ابن عساكر على كثرة ما كتب من المجودين في تأليفه افتح اي كتاب من كتب التراجم ولاسيما تراجم أهل القرون الستة الأولى للاسلام ،

---

(١) من مسامرة للاستاذ محمد كردعلي القاها في مذياع الشرق في بيروت راجع المجلد الخامس والمجلد الثامن من مجلة المقتبس

تسقط على مبلغ عناية رجالنا بالتأليف وتوفرهم على النفع ، وقد يظن ان معظم ماخلفوه من كتبهم هو ديني محض ولا أثر لهم في العلوم الدنيوية ، ولكن بعضهم جمعوا الدين والدنيا وكانوا يعتقدون بأن العلوم بأسرها نافعة .

هذا ابو محمد بن حزم الظاهري ، وأهل الظاهر نفاة القياس والتعليل ، وهو معدود في الطبقة الأولى بين علماء الدين ومع هذا تجد له تآليف ممتعة فيما نعتبره من علوم الدنيا فقد ذكر غير واحد من علماء الاندلس ان تصانيفه في الفقه والحديث والاصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الادب والرد على المخالفين نحو من اربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة . وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان قبله الا لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ، فانه أكثر أهل الاسلام تصنيفاً فقد ذكر ابو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بالصلة وهو الذي وصل به تاريخ ابي جعفر الطبري الكبير ان قوماً من تلاميذ ابي جعفر لخصوا ايام حياته منذ بلغ الحلم الى ان توفي في سنة ٣١٠ وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة ، ومن جملة تآليفه التفسير الكبير والتاريخ الذي هو أصح التواريخ وأثبتها وكلاهما مطبوع متداول وهو الذي قال لتلاميذه : هل لكم أن أملي عليكم كتاباً في التاريخ قالوا وكم يكون حجمه فقال : ثلاثون الف ورقة فاستعظموا ذلك وارادوه على الاختصار حتى أملاه عليهم في ثلاثة آلاف ورقة فجاء كما رأيناه اليوم احد عشر مجلداً ضخماً أملاه بهذا القدر وهو يحوقل ويقول : ماتت الهمم . لأن تلاميذه لم يوافقوه على جعل تاريخه ثلاثين الف ورقة . ومن أهم تآليف ابن حزم : كتاب « طوق الحمامة » وهو من أجمل ما كتب اديب في العشق والغرام ، وما كان من المستغرب في عصره وعصره عصر زهو العلم في الأندلس ان يتحدث العالم الى الناس بشعوره وعاطفته .

وابن جرير في نظري وابن حزم في إكثارهما من التآليف كانا غاية الكمال

في الإجادة المجمع عليها مثل ابن تيمية من أهل القرن الثامن فقد قال فيه أحد واصفيه ان له من المؤلفات والقواعد والفتاوى والأجوبة والرسائل والتعاليق مالا ينحصر ولا ينضبط ولا أعلم أحداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمع مثل ماجمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريباً من ذلك ، مع ان تصانيفه كان يكتبها من حفظه وكتب كثيراً منها في الحبس وليس عنده ما يحتاج اليه ويراجعه من الكتب . وقال غيره : كان الامام يكتب في اليوم والليلة من التفسير او من الفقه او من الأصلين او من الرد على الفلاسفة الأوائل نحواً من أربعة كراريس او أزيد ، وما يبعد أن تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد ، وجمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى فجاءت نحو ثلاثين مجلداً وقيل ان تآليفه تبلغ ثلثمائة مجلد . وكل ما كتبه وأملاه مجيد فيه للغاية كان على الأيام موضع اعجاب اوليائه واعدائه .

ومثله ابو الفرج ابن الجوزي الواعظ من علماء القرن السادس صنف في فنون عديدة وكتبه أكثر من أن تعد وكتب بخطه شيئاً كثيراً والناس يغالون في ذلك حتى يقولون انه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ماخص كل يوم تسع كراريس . وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل ويقال انه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث الرسول فحصل منها شيء كثير ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها . وهو من المعدودين في المجودين .

ومن المكثرين من التأليف المجودين للغاية ابن الهيثم الرياضي الطبيعي فقد عدد ابن ابي أصيبعة مصنفاته في زهاء اربع صفحات هذا عدا ما ضاعت دساتيره منه لما فارق البصرة والاهواز وانتقل الى مصر قال : وما أظنها تنقص عن مئة مجلد . ومثله الفارابي احد فلاسفة الإسلام كان مكثراً من التأليف ، وقد اضاع أكثرها لأنه كان يكتب في رقاع كيفما اتفق ويختار الفلاة ومجاري الأنهار

للتأليف فنطير الاوراق التي يكتبها . والفارابي أحد فلاسفة الاسلام ذو فنون شتى وفكر بديعة مخترعة .

ومثلهما ابو الريحان البيروني له في الرياضيات والنجوم اليد الطولى ، وكان مكباً على تحصيل العلوم منصباً على التصنيف ، لا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر ، دخل عليه بعض اصحابه وهو يجود بنفسه فقال له في تلك الحال : كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة فقال : أفي هذه الحال قال : ياهذا أودع الدنيا وأنا عالم بها أليس خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها قال : فذكرتها له وخرجت ، فسمعت الصريخ عليه وانا في الطريق . قال ياقوت : واما تصانيفه في النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوت الحصر ورأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في ستين ورقة . وقال بعض مترجميه : ان كتبه زادت على حمل بعير . ولم يبق منها سوى أربعة كتب طبعت في اوربا . وكل ما وضع من تآليفه في العلوم مما ترتفع به رؤوس أبناء هذه الأمة على كر الدهور والاعصار .

والبيروني أحد كبار فلاسفة العرب يجيء في طبقة ابن سينا وابن رشد وابن زهر والفارابي ومثلهم الكندي فيلسوف العرب وكتبه في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والارثماطيقي والموسيقى والنجوم وغير ذلك وقدعدد اسماءها ابن النديم في ست صفحات . ومثله ابو بكر بن زكريا الرازي صاحب المصنفات الممتعة في الطب والعلوم العقلية والادب وهو الذي استنار الغربيون لأول نهضتهم بمصنفاته وأول ماطبع عندهم من تآليف العرب كتبه واجادته في تآليفه على كثرة ما كتب منها مما تتفاخر بهذه الملة . ومن المكثرين من التأليف والمتفوقين فيه حنين بن اسحق وثابت بن قرة وتآليفهما فلسفية علمية وهما مع الكندي من أئمة النقل من اليونانية الى العربية ومن المحسنين في تواليفهم

ومن المكثرين من التآليف الغزالي والماوردي وعمرو بن بحر الجاحظ والزمخشري وهذان الأخيران من أئمة المعتزلة قيل في الأول ان تآليفه تعلم العقل وفي الثاني ان تآليفه يكتفى بها في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان والأدب .

ولا يظن أن أحداً ألف من الكتب المنوعة أكثر مما الف الجاحظ ولا اجاد اجادته في

كل ما خاض عبابه وتآليفه بلغت ٣٥٠ أكثرها من المفقود ويا للأسف. ومن المكثرين من ائمة المعتزلة القاضي عبد الجبار قيل ان تآليفه التي وضعها في كل فن اربعمائة الف ورقة . ومن ائمة المعتزلة كثيرون من جاوزت مؤلفاتهم المئة والخمسين الف ورقة .

وكتب المعتزلة بادت كلها بتعصب خصومهم عليهم ولم يبق منها سوى كتب تعد على أصابع اليد من ألوف ألفوها. وكان خلف بن احمد (٣٩٩) كما قال العتبي في تاريخه مغشيّ الجناب من أطراف البلاد لسماحة كفه وغزارة سيبه ، وأفضاله على أهل العلم وحزبه ، وقد مدح على ألسنة الشعراء والعلماء بما هو سائر وذكره في الآفاق طائر . وقد كان جمع العلماء على تصنيف كتاب في تفسير كتاب الله تعالى لم يغادر فيه حرفاً من أقاويل المفسرين وتأويل المتأولين ونكت المذكرين ، واتبع ذلك بوجوه القراءات وعلل النحو والتصريف وعلامات التذكير والتأنيث ، ووشحها بما رواه الثقات الاثبات من الحديث . وبلغني أنه انفق عليهم مدة اشتغالهم بمعونته على جمعه وتصنيفه عشرين الف دينار ونسخته بنيسابور موجودة في مدرسة الصابونية لكنها تستغرق عمر الكاتب وتستنفد صبر الناسخ الا ان يتقاسمها النساخ بالخطوط المختلفة .

قال شارح التاريخ المذكور الفاضل الكرماني : تفسير خلف مشهور مذكور وهو مائة مجلد وبعض مجلداته نقل الى خزانة الكتب بالمسجد المنيعي من مدرسة الصابوني بعد خرابها وهي الآن فيها فلله من ملك يعتني بأمر العلم دون من العلم ما يبقى له تذكرة على وجه الأيام .

ومن المؤلفين الأول المكثرين من التأليف هشام الكلبي العالم بالنسب واخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها المتوفى سنة ٢٠٦ وكتبه تزيد على مئة وخمسين . ومنهم المدائني المتوفى سنة ٢١٥ جاءت أسماء كتبه في نحو اربع صفحات . ومنهم المرزباني من أهل القرن الرابع قالوا ان تآليفه بلغت ألوفاً من الاوراق . ومن الفقهاء والحفاظ المكثرين من التأليف محمد بن ادريس الشافعي ، وداود بن خلف الاصفهاني ، وابو العباس بن سريج المعروف بالباز الاشهب من ائمة الشافعية ، كانت فهرست كتبه تشتمل

على أربعمائة مصنف ، وقيل ان تصانيف الحافظ أبي بكر ابن البيهقي تبلغ الف جزء · ولأبي بكر ابن الخطيب صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة ٤٦٣ قريب من مئة مصنف وهو من المجيدين على اكثارهم · وللنسفي من كتب الاصول والفقه والحديث والأدب والتاريخ ما يقرب من مئة مصنف · وكان ابن سبعين ممن صنف تصانيف كثيرة · وللأشعري خمسة وخمسون تصنيفاً وهو بالقليل الذي انتهى الينا من كتبه يعد في رأس المصنفين والمفكرين ·

وكان ابو حاتم البستي من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ قال ياقوت : وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته وروى عن ابن ثابت ان من الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها واصفها مصنفات ابي حاتم محمد بن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر الشجري ووقفني على تذكرة باسمائها ولم يقدر لي الوصول الى النظر فيها لأنها غير موجودة بيننا ولا معروفة عندنا وانا اذكر منها ما استحسنت سوى ما عدلت عنه واطرحته · وهنا عدها فجاءت زهاء مائتين وخمسين جزءاً والنموذج الذي انتهى الينا منها يعد غاية الكمال في التفكير الجيد والاحاطة العظيمة بأطراف الموضوع · وبلغت مصنفات ابي بكر بن فورك المتكلم الاصولي الاديب النحوي الواعظ قريباً من مائة مصنف ·

ولأبي الحسين الراوندي صاحب المقالة المشهورة في علم الكلام ، وهو الذي ينسب اليه اليوم ظلماً كل كلام فيه سفسطة ومغالطة وكفر ، من التآليف نحو مائة واربعة عشر كتاباً مع انه لم يتجاوز الاربعين من عمره ·

ولمحيي الدين بن عربي تآليف كثيرة ذكر في اجازة كتبها للملك المعظم أنه اجازه ان يروي عنه مصنفاته ومن جملتها كذا وكذا حتى عدّ نيفاً واربعمائة مصنف ، والف رسالة عدد فيها كتبه كما جرت عادة بعض المؤلفين ان يترجموا انفسهم ويذكروا مؤلفاتهم في رسائل خاصة مخافة ان يدس عليهم بعضهم ما لا يروقهم ويقول فيهم ما ليس فيهم ·

وابن سعيد الأندلسي المؤرخ من المكثرين من التأليف ومنها الموضوعان الغريبان

المتعددا الاسفار وهما المغرب في حلي المغرب والمشرق في حلي المشرق وغير ذلك قال لسان الدين حدثني الوزير ابو بكر بن الحكيم انه خلف كتاباً يسمى المرزمة يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية والاخبارية الا الله تعالى ·

ومن المكثرين من التأليف لسان الدين بن الخطيب وابو العلاء المعري ولهذا كتاب سماه الأيك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف يقارب المئة جزء في الأدب قال ابن خلكان : وحكى لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف قال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد · ومن المكثرين القاضي الفاضل قال ابن خلكان : اخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة امره ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت مـا تقصر عن مائة مجلد · وكان الحاجب المنصور ابو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المدعو بالافطس أديباً جليلاً ومن تآليفه الكتاب المظفري المسمى بالتذكرة في خمسين مجلداً · وكتب عبد اللطيف البغدادي الفيلسوف نحو مئة وخمسين كتاباً وذلك في سياحات له طويلة دامت نحو اربعين سنة في العراق والشام ومصر والروم وليس لنا منها اليوم سوى أوراق قليلة وكلها ممتعة ·

ومن المكثرين من التأليف والمتوسعين فيه احمد بن ابان بن السيد اللغوي الاندلسي يعرف بصاحب الشرطة ، وهو مصنف كتاب العالم في اللغة نحو مئة مجلد مرتب على الاجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة وله في العربية واللغة كتب أخرى · ومثله ابن سيدة الضرير صاحب المخصص والمحكم وغيرهما وهو من المكثرين من التأليف والحفظ المبرزين في تآليفهم وكتابه المخصص آية في بابه ·

ومن المكثرين ابو اسحق ابراهيم بن الاعلم البطليوسي له نحو خمسين تأليفاً · وبلغت تآليف محمد ابي طالب القرطبي المتوفى سنة ٤٣٧ — ٧٧ تأليفاً والف عيسى ابن عمر النحوي نيفاً وسبعين مصنفاً في النحو قال سيبويه : جمعها بعض اهل اليسار وأتت عنده عليها آفة فذهبت ولم يبق في الوجود سوى كتابين ·

ومن المكثرين من التأليف عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة ٢٣٨ قال المقري رأيت في بعض التواريخ ان تواليفه بلغت الفاً ومن اشهرها كتاب الواضحة في مذهب مالك · ولأبي عمرو الداني القرطبي من علماء القرآن مئة وعشرون مصنفاً · وكان يقول : ما رأيت شيئاً قط الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته ، طبع علماء المشرقيات بعض ما عثروا عليه من تآليفه فرأينا فيها عجباً من ابداعه · وآخر من له التآليف الكثيرة من ائمة الأندلس ابو الحسن القلصادي المتوفى سنة ٨٩١ واكثر تصانيفه في الحساب والفرائض ·

وممن عرفوا بسعة التأليف احمد بن ابي عبد الله من الامامية فان ما كتبه بلغ مائة تصنيف · ومن فقهاء الامامية ابو النصر العياشي ذكر ابن النديم اسماء كتبه في نحو صفحتين · ومنهم الاسكافي بلغت تآليفه سبعين كتاباً وكلها جيد مفيد ·

ويقال ان تواليف ابي جعفر بن النحاس تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب وذكروا ان محمد بن جماعة من أهل القرن الثامن كان اعجوبة زمانه في العلم وليس له في التأليف حظ مع كثرة مؤلفاته التي جاوزت الألف فان له على كل كتاب اقرأه التأليف والتأليفين والثلاثة واكثرها من شرح مطول ومتوسط ومختصر وحواش ونكت الى غير ذلك وكان يعرف علوماً عديدة منها الفقه والتفسير والحديث والاصلان والجدل والخلاف والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والهيئة والحكمة والزيج والطب والفروسية والرمح والنشاب والدبوس والثقاف والرمل وصناعة النفط والكيمياء وفنون أخر وعنه انه قال : اعرف ثلاثين علماً لا يعرف اهل عصري اسماءها ·

ومن الذين اكثروا من التأليف احمد بن مكتوم من اهل القرن الثامن وعبد الرحمن الانباري من أهل القرن السادس وعيسى اللخمي الاسكندراني من أهل القرن السادس وتقي الدين السبكي من أهل القرن الثامن وله مئة وخمسون تصنيفاً والجلال السيوطي من اهل القرن العاشر اطلعنا على فهرست كتبه في سبع ورقات

وربما لا تقل عن اربعمائة مجلد وفيها الجيد ، واتهم بأنه سلخ او مسخ بعض المؤلفات وادعاها . ومنهم الصلاح الصفدي والمقريزي وابن فضل الله وابن المكرم صاحب اللسان وكلهم من المكثرين من التصنيف والذين بلغوا غاية في الاجادة . ومنهم علي ابن زيد البيهقي من أهل القرن السادس ألف نحو ثمانين كتاباً بالعربية والفارسية .

وأعجوبة المؤلفين ابو موسى جابر بن حيان قال : الفت ثلثمائة كتاب في الفلسفة وألفاً وثلثمائة كتاب في الحيل على مثال كتاب تقاطر (؟) والفاً وثلثمائة رسالة في صنائع مجموعة وآلات الحرب ، ثم الفت في الطب كتاباً عظيماً والفت كتباً صغاراً وكباراً ، والفت في الطب نحو خمسمائة كتاب الى ان قال : ثم الفت كتباً في الزهد والمواعظ والفت كتباً في العزائم كثيرة حسنة ، والفت كتباً في النيرنجيات ، والفت في الاشياء التي يعمل بخواصها كتباً كثيرة ، ثم الفت بعد ذلك خمسمائة كتاب نقداً على الفلاسفة ثم الفت كتاباً في الصنعة (الكيمياء) يعرف بكتب الملك وكتاباً يعرف بالرياض .

* * *

التآليف في الأمم كالأشخاص منها العاطل والجيد والاجود ، والعاطل يقضى عليه ولا يبقى لأنه ساقط بطبعه ، والجيد قد يدوم لفائدة قليلة فيه ، اما الاجود فباق بقاء الأيام ، وكلما ذكر اسم صاحبه حلا في الأفواه وتطلعت نحوه العيون . كان المجودون من المؤلفين في القرون الأولى للإسلام اكثر من المجودين في القرون الاخيرة ، لأن العلوم كانت أرقى والملوك يحرصون عليها ويأخذون بأيدي أهلها والأمة تبع لملوكها في باب العناية بها وبأهلها .

وانا اذا قلبنا صفحات التاريخ ، نجد في كل عصر العشرين والثلاثين من الرجال المبرزين ، وهؤلاء يجب أن يشاد بذكرهم كل حين . فمنهم ابو بكر بن مجاهد العارف بالقراآت وعلوم القرآن وهو آخر من انتهت اليه الرئاسة بمدينة السلام (توفي سنة ٣٢٤) ومنهم الخليل بن احمد (١٧٠) وهو أول من استخرج العروض وغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس . ومنهم صاحبه سيبويه قال ابن النديم وعمل كتابه الذي

لم يسبقه الى مثله أحد قبله ولم يلحق به بعده . قرأت بخط أبي العباس ثعلب اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان واربعون انساناً منهم سيبويه والاصول والمسائل للخليل . ومنهم ابو عبيدة (٢١٠) والاصمعي (٢١٠) وابوحاتم السجستاني (٢٥٥) والمبرد (٢٧٩) والزجاج (٣١٠)ومنهم ابن دريد (٣٢١) وابو سعيد السيرافي (٣٦٨) وابو الحسن الرماني وابو علي الفارسي (٣٧٠) والكسائي(١٩٧) والفراء (٢٠٧) والمفضل الضبي وابن الاعرابي (٣٣١) وابو عبيد القاسم بن سلام . وابن السكيت (٢٤٦) وابن قتيبة قال صاحب الفهرست انه كثير التصنيف والتأليف وكتبه في الجبل مرغوب فيها . وابو حنيفة الدينوري وابن خالويه ٣٧٠ وابن جني ٣٩٢ وابن اسحق صاحب السيرة قال ابن النديم وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه اهل العلم الأول (١٥٠) وهشام الكلبي قال اسحق الموصلي : كنت اذا رأيت ثلاثة يرون ثلاثة يذوبون علوبه اذا رأى مخارقاً وابا نواس اذا رأى ابا العتاهية والزهري اذا رأى هشاماً (٢٠٦) والواقدي وهو الذي خلف بعد وفاته ستمائة قمطر كتباً كل قمطر منها حمل رجلين وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار وقبل ذلك بيع له كتب بألفي دينار(٢٠٧) والمدائني (٢٢٥) والبلاذري صاحب كتاب البلدان واحد النقلة من الفارسي وابو الفرج الأصفهاني (٣٦٠) وعبد الله بن المقفع .

قال ابن النديم الكتب المجمع على جودتها عهد ازدشير وكليلة ودمنة ورسالة عمارة ابن حمزة الماهانية واليتيمة لابن المقفع ورسالة الحسن لأحمد بن يوسف الكاتب وسهل ابن هرون وكان ابو عثمان الجاحظ يفضله ويصف براعته وفصاحته . وقدامة بن جعفر والمرزباني (٣٧٨) والصابي وابو زيد البلخي كان فاضلاً في العلوم القديمة والحديثة تلا في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الفلاسفة الا انه بأهل الأدب أشبه . واسحق الموصلي وبشار بن برد وابو نواس وابن الرومي والبحتري ومالك ابن أنس والشافعي وابوحنيفة وابن حنبل وابو يوسف والمزني وداود بن علي وابو عبد الله البخاري وابن جرير الطبري ويحيى النحوي ومتى بن يونس ويحيى بن عدي وابن زرعة وبنو موسى بن شاكر وثابت ابن قرة وابراهيم بن سنان وعمر بن الفرخان ومحمد بن موسى الخوارزمي قال ابن النديم

وكان منقطعاً الى خزانة الحكمة للمأمون وهو من اصحاب علوم الهيئة وكان الناس قبل الرصد وبعده يعولون على زيجيه الاول والثاني ويعرفان بالسند هند. وبنو الصباح محمد وابراهيم والحسن قال في الفهرست والجميع من حذاق المنجمين بعلوم الهيئة والاحكام والبتاني صاحب الزيج وحنين بن اسحق العبادي ، وقسطا بن لوقا البعلبكي ويوحنا بن ماسويه واسحق بن حنين وجابر بن حيان .

ومنهم ابن وحشية وابن السيد البطليوسي قال ابن خلكان وهو مجيد في كل ماصنفه وكمال الدين بن يونس (٦٣٩) قال ابن خلكان تبحر في جميع الفنون وجمع من العلوم مالم يجمعه أحد وتفرد بعلم الرياضة وكان أهل الذمة يقرؤون عليه التوراة والانجيل وشرح لهم هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله وكان في كل فن من الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوته فيه . واحمد بن الطيب السرخسي كان متفنناً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب حسن المعرفة جيد القريحة بليغ اللسان مليح التصنيف والتأليف (٢٨٦) وثابت بن قرة لم يكن في زمانه من يماثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع اجزاء الفلسفة وله تصانيف مشهورة بالجودة وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريته ومنهم ابو سعيد ابنه سنان وابو الحسن ثابت بن سنان . وابو علي بن زرعة وعلي بن العباس المجوسي مصنف كتاب الملكي في الطب وابو الفرج بن الطيب وابو الحسن بن بطلان وابن الشبل البغدادي وابن رضوان وسعيد بن هبة الله وابن جزلة وامين الدولة بن التلميذ والبديع الاسطرلابي وابو الخير الحسن بن سوار وابو الفرج ابن هندو والرئيس ابن سينا وابو الفرج بن الطيب احيا من علوم الحكمة والمنطق مادثر وابان منها ما خفي وقد تلمذ له جماعة سادوا وأفادوا منهم المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان . قال ابن بطلان : ان شيخنا ابا الفرج بن الطيب بقي عشرين سنة في تفسير مابعد الطبيعة ومرض من الفكر فيه مرضة كاد يلفظ نفسه فيها وهذا يدلك على شدة حرصه واجتهاده وطلب العلم لعينه . ولعلهم لقبوه بالمفسر لاستغراقه في تفسير ما بعد الطبيعة .

وفخر الدين الرازي وابن جلجل والغافقي الاندلسي قال ابن ابي أصيبعة وكتابه في الأدوية المفردة لا نظير له في الجودة ولا شبيه له في معناه . وامية بن الصلت

وابن باجة وابو العلاء بن زهر وابن رشد وابن الرومية والمبشر بن فاتك وله تصانيف جليلة في المنطق وغيره من اجزاء الحكمة وهي مشهورة فيما بين الحكماء · والخطيب التبريزي والقطب الشيرازي والامام القزويني والجوهري وابن الحاجب ونصير الدين الطوسي وابن دقيق العيد وسيف الدين الآمدي والبيضاوي وابن البيطار وهؤلاء الثلاثة خلدوا بما صنفوا وأجادوا وأفادوا · وابن مجلي الموصلي وابن فلوس الماردبني وابن مسكويه والمسعودي وابن خلدون وابن الاثير وابو الفدا وهؤلاء الخمسة اكبر الدعائم في تاريخ العرب كتبت لهم الاجادة التي ليس بعدها اجادة · وافضل الدين الخونجي قال ابو الفرج بن العبري وفي هذا الزمان اي في النصف الأول من القرن السابع كان جماعة من تلامذة الامام فخر الدين الرازي سادات فضلاء أصحاب تصانيف جليلة في المنطق والحكمة كزين الدين الكشي وقطب الدين المصري بخراسان وافضل الدين الخونجي بمصر وشمس الدين الخسروشاهي بدمشق واثير الدين الابهري بالروم وتاج الدين الأرموي وسراج الدين الأرموي بقونية · وعبد المنعم الجلياني وابن الصلاح وموفق الدين ابن المطران وشرف الدين بن الرحبي والصاحب امين الدولة السامري وابن عبد ربه والبديع الهمذاني والحسن بن رشيق القيرواني · وابو هلال العسكري وابن جني وما طبع من كتبهما يأخذ بمجامع القلوب لما حوى من تحقيق وتدقيق ·

وعمل حسان بن مالك بن ابي عبدة الوزير احد ائمة اللغة والآداب ومن اهل بيت جلالة ووزارة مثل كتاب ابي السري سهل بن ابي غالب الذي الف في أيام الرشيد كتاباً سماه بكتاب ربيعة وعقيل قال ابو محمد ابن حزم وهو من اصلح ماالف في هذا المعنى وفيه من اشعاره ثلثمائة بيت وكان سبب تأليفه إياه انه دخل على المنصور ابي عامر محمد بن ابي عامر وبين يديه كتاب ابي السري يعجب به فخرج من عنده وعمل هذا الكتاب وفرغ منه تأليفاً ونسخاً وتصويراً وجاء به في مثل ذلك اليوم من الجمعة الاخرى وأراه اياه فسر به ووصله عليه ·

ومنهم صاعد بن الحسن الربعي وكان عالماً باللغة والآداب والأخبار . ومنهم الراغب علي بن الحسين الاصبهاني والشريف المرتضى والقاضي الجرجاني وعلي بن عبيدة وابو حيان التوحيدي وابن القفطي والقلقشندي والنويري والحصري وابو علي الفارسي وابو العلاء المعري وابن العديم والحريري . وابن الصائغ والقاضي ابو الفرج المعافى قال ابن خلكان كان فقيهاً أديباً شاعراً عالماً بكل فن وله عدة تصانيف ممتعة في الأدب وغيره وكتاب الجليس الانيس تصنيفه أيضاً (٣٩٠) وواصل بن عطاء وياقوت الحموي ويحيى بن اكثم وابن السكيت وابن عبد البر وابن ابي الحديد شارح نهج البلاغة . وابن الانباري وعبد القاهر الجرجاني وابو اسحق الاسفراييني قال ابن خلكان اخذ عنه الكلام والاصول عامة شيوخ نيسابور وأقر له بالعلم اهل العراق وخراسان وله التصانيف الجليلة (٤١٨) وابو اسحق الشيرازي قال ابن خلكان انه صنف التصانيف المباركة المفيدة (٤٩٦) وابو حامد الاسفرايني (٤٠٦) وابن زيدون وابو الفضل الميداني (٥١٨) والثعالبي صاحب اليتيمة والقاضي عياض قال ابن خلكان: صنف التصانيف المفيدة قال وبالجملة فكل تواليفه بديعة . والقاضي الباقلاني وابو الحسين البصري له التصانيف الفائقة في أصول الفقه وانتفع الناس بكتبه والحاكم النيسابوري قال ابن خلكان امام اهل الحديث في عصره والمؤلف فيه الكتب التي لم يسبق الى مثلها (٤٠٥) وابن دريد صاحب الجمهرة . وابو بكر الانباري (٣٢٨) والمسبحي (بالباء لا بالياء) صاحب التاريخ المشهور وغيره من المصنفات (٤٢٠) وابو العباس القرطبي انتفع الناس بكتبه واجاد فيها وعيسى بن دينار الاندلسي صاحب كتاب الهداية الذي يقول فيه ابن حزم انه ارفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم واجمعها للمعاني الفقهية ومالك بن علي الفهري صاحب التقصي وابو عبد الرحمن بقي بن مخلد صاحب التفسير الذي قال فيه ابن حزم انه الكتاب الذي اقطع قطعاً لا استثني فيه انه لم يؤلف في الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره وان تآليفه قواعد الاسلام لا نظير لها .

ومن الاندلسيين أيضاً القاضي منذر بن سعيد وابو محمد قاسم بن اصبغ ومحمد ابن عبد الملك بن أيمن ويوسف بن عبد البر وابو الوليد الفرضي وابن سعيد المؤرخ والقاضي محمد بن لبانة والقاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق واسماعيل بن القاسم وابن القوطية وابن التياني واحمد بن فرج وابو الحسن الكاتب واحمد بن محمد بن موسى الرازي وحسين بن عاصم واسحق بن سلمة الليثي وابو مروان بن حيان صاحب التاريخ الكبير في أخبار اهل الأندلس نحو عشرة أسفار قال ابن حزم هو أجل كتاب ألف في هذا المعنى وله كتاب المتين في التاريخ وهو في ستين مجلدة ومحمد ابن عاصم . قال ابن حزم وأما الطب فكتب الوزير يحيى بن اسحق وهي كتب حسان رفيعة وكتب محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني وهي كتب رفيعة حسان وكتاب التصريف لأبي القاسم خلف بن عباش الزهراوي ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن . وفي الفلسفة كتب سعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار وابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي . وفي الأزياج مسلمة وابن السمح واحمد بن نصر ومحمد بن عطية الغرناطي والحميدي والباجي وابن بشكوال وابن بسام صاحب الذخيرة . وابو القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي وعريب بن سعيد القرطبي وابو محمد عبد الله بن ابراهيم الحجاري صاحب كتاب المسهب في فضائل المغرب لم يصنف في الأندلس مثل كتابه . وابو عبد الله بن ابي الخصال الشقوري صاحب سراج الأدب وابن عصفور الاشبيلي النحوي . وابن الطراوة والسهيلي وابن خروف وابو عبيد البكري الاونبي صاحب كتاب معجم ما استعجم والمسالك والممالك . وابو علي الشلوبين وابن طفيل صاحب رسالة حي بن يقظان المقدم في علم الفلسفة وابن جبير صاحب الرحلة وابو علي القالي صاحب الأمالي قال الضبي وكانت كتبه على غاية التقيد والضبط والاتقان وقد الف في علمه الذي اختص به (اللغة والأدب) تواليف مشهورة تدل على سعة روايته وكثرة اشرافه وقالوا لئن كان كتاب ابي العباس المبرد (اي

الكامل) اكثر نحواً وخبراً فان كتاب ابي علي (النوادر) اكثر لغة وشعراً ومن كتبه في اللغة البارع كاد يحتوي على لغة العرب وكتابه في المقصور والممدود والمهموز لم يؤلف في بابه مثله وتوفي سنة ٣٥٦ .

هذا ما أمكن جمعه من أسماء المؤلفين من العرب والمجودين فيه وما ذكرناه نموذج يتيسر التوسع فيه فيكون منه جزء مهم يقرأ دليلاً على سعة فضل العرب وبعد نظرهم في خدمة الدين والدنيا .

مخطوطات ومطبوعات

كتاب الذخيرة في علم الطب

تأليف

ثابت بن قرة

هو ابو الحسن ثابت بن قرة الحراني المولود يوم الخميس في ٢١ صفر سنة ٢١١ هجرية الموافقة للسنة ٨٢٥ مسيحية والمتوفى سنة ٢٨٨ هجرية الموافقة للسنة ٩٠٠ مسيحية عن سبعة وسبعين عاماً في زمن الخليفة العباسي الموفق بالله . وكان طبيباً شهيراً من أعاظم أطباء العصر العباسي كثير التصنيف والتأليف فوضع من الكتب الطبية ما يزيد عن الخمسة والثلاثين مجلداً . وكان فيلسوفاً كبيراً من اعظم فلاسفة عصره ورياضياً بارعاً وفلكياً قديراً وله في الفلك والرياضيات عدد من المخطوطات التي لا تزال محفوظة في المكتبة الاهلية بمصر . وكان يحسن اللغة السريانية وسواها من اللغات الشائعة في عصره فترجم منها شيئاً كثيراً الى اللغة العربية . وروى ابن أبي أصيبعة عنه في كتاب طبقات الأطباء انه وعى في صدره شتى العلوم فألف في الفلك والدين واللغات والموسيقى وغير ذلك .

وكان من صابئة حران حيث اشتغل في اول عهده جابياً للضرائب . ثم انه صحب محمد بن موسى حين ترك بلاد الروم فرآه وافر الذكاء وقدمه الى جماعة المنجمين الذين كان جلهم من الصابئين في بغداد مدينة السلام . وتروى عنه حكايات كثيرة وردت جميعها مفصلة في كتاب طبقات الأطباء لابن ابي أصيبعة . وكان من أخص تلامذته عيسى بن اسيد المسيحي فلازم هذا أستاذه ونقل باشرافه عدداً من الكتب السريانية الى اللغة العربية .

وكتاب الذخيرة ألفه ثابت بن قرة لولده سنان الذي كان طبيباً عالماً نظير أبيه . وذكر ابن القفطي في كتابه تاريخ الحكماء ما نصه « وفي ايدي الناس

كناش عربي جيد يعرف بالذخيرة » وقال عنه ابن ابي أصيبعة « كناشه المعروف بالذخيرة ألفه لولده سنان بن ثابت » . ويبدأ الكتاب بهذه العبارة : هذا كتاب الذخيرة الذي يشتمل على ما يحتاج اليه من علم الطب في وصف الداء والدواء على اوجز ما يتهيأ ان يكون تجربة امام زمانه (ثابت بن قرة) في العلوم الطبيعية جمعه أيام حياته (لابنه سنان بن ثابت بن قرة) وهو واحد وثلاثون باباً .

والكتاب الذي بين يدينا طبع في مصر ونشره الدكتور ج . صبحي أحد أساتذة الجامعة المصرية نقلاً عن مخطوطته الاصلية بتاسبة الاحتفال المئوي لمستشفى قصر العيني في القاهرة وقد صدره بمقدمة باللغة الانكليزية ليستطيع الأطباء الانكليز ممن حضروا الاحتفال المذكور الاطلاع على موضوع الكتاب والوقوف على اساليب المداواة التي كانت شائعة عند العرب . ثم ان الناشر اتبع المقدمة بمعجم عربي انكليزي حوى جميع ما ورد في الكتاب من الألفاظ الطبية وأسماء العقاقير فسهل مطالعته على الأطباء العرب والمستشرقين . وذكر الناشر ان وضع هذا المعجم كان على جانب عظيم من الصعوبة لأسباب منها ان العدد الكبير من اسماء الأمراض والنباتات الواردة في الكتاب معرب من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية وان تحقيق اللفظة الواحدة كان يتطلب في كثير من الأحيان مراجعة عدد كبير من المؤلفات . وأعلن الناشر انه تمكن من الحصول على مخطوطة الكتاب من خزانة كتب المغفور له كيرلس الثامن بطريرك الاقباط وان هذه المخطوطة ذات شأن كبير لأنها الفريدة الباقية . ولأنها لم تنشر قبلاً باللغة العربية ولم تترجم الى احدى اللغات الأجنبية .

وأورد الناشر في مقدمته لمحة موجزة عن تاريخ الطب العربي فذكر ان العرب نقلوا جله عن اليونانيين وأضافوا اليه بعد ذلك شيئاً يسيراً مما اخذوه عن الفرس والمصريين وانهم وان لم يزيدوا من عندهم شيئاً مما اقتبسوه من الأمم الأخرى فلهم الفضل في أنهم تمكنوا من الاحتفاظ بالتراث القديم فصانوه من الضياع . وهم

الذين تناولوا من يد اليونانيين مشعل الطب الذي أخذ بالانطفاء فلم تخمد ناره في أيديهم بل صانوه طيلة خمسة قرون ثم سلموه الى من جاء بعدهم وهو اشدّ اشتعالاً وتألقاً .

وعقبت الفتوحات العربية في القرن السابع نهضة فكرية عجيبة بلغت اوجها في القرنين الثامن والتاسع حين امتدت الدولة العربية من الدجلة الى ضفاف الوادي الكبير في الأندلس وأولع الخلفاء باقتناء المخطوطات النفيسة القديمة فكانوا يبذلون كل ما في وسعهم للحصول عليها لنقلها الى العربية ، حتى ان احد الفاتحين منهم حين املائه شروط الصلح على خصمه الامبراطور البيزنطي طلب ان يكون من حقه جمع المخطوطات اليونانية .

ثم ان الناشر يحاول ان يثبت ان اليونانيين نقلوا الطب عن العلوم المصرية حتى ان بعض الروايات تشير الى ان جالينوس تلقى علومه في مصر . على ان الأقدار شاءت ان لا يصل الينا من العلوم المصرية الا النزر اليسير ولو ان ما بلغنا منها كافٍ اذن لكان تاريخ الطب القديم غير ما هو عليه ولكننا نجد بين صفحاته من أسماء الأطباء المصريين القدماء غير اسم جالينوس وابقراط اليونانيين . واذا كانت مصر الحديثة تأخذ علومها عن اوربة فان هذه ترد اليها الآن ما اقتبسته منها في الازمنة الخالية حين كان العلم مستقراً في هليوبوليس والاسكندرية .

وقسم ثابت بن قرة كتابه واحداً وثلاثين باباً بعض منها يتناول حفظ الصحة ولا يزيد عن اربعة ابواب والباقي يبحث في ما كان معروفاً من الأمراض الباطنة والظاهرة والجراحية وهي مرتبة بحسب اسبابها او بحسب الأعضاء التي تصيبها . ويلي كل مرض كيفية معالجته وفقاً للنظريات الشائعة في ذلك الحين ، والوصفات الطبية المستعملة في مداواته ومعظم هذه الوصفات مأخوذ عن جالينوس . والقليل منها عن ابقراط او سواه من قدماء المؤلفين .

ويذكر المؤلف في بعض المواضع نتائج تجاربه ومشاهداته الخاصة . وفي الجملة

فان كتاب الذخيرة مؤلف طبي كتب للطبيب الممارس ليكون مرجعاً له في اعماله اليومية وهو مبني على النظريات الطبية اليونانية وتسيطر عليه نظرية الاخلاط والارجح ان هذه النظرية وضعت في مدرسة الاسكندرية ثم تبناها جالينوس ونقلها عنه اطباء السريان الذين نقلوها بدورهم الى اطباء العرب ·

وخلاصة هذه الفكرة كما كانت تفهمها العرب ان الجسد مركب من الجواهر الأربعة وهي الأرض والنار والماء والهواء ونسبها فيه مختلفة · والادوية مركبة من هذه الجواهر الاربعة ذاتها وتكتسب منها العناصر الاربعة البرد والحر والرطوبة واليبس · ومن النادر ان تتوازن الجواهر الاربعة في الجسد ليحافظ على اعتداله بل ان احدها او اثنين منها يتغلبان فيصبح بارداً او رطباً أو يابساً او حاراً ، او انه قد يكون في الوقت ذاته يابساً وحاراً او رطباً وحاراً · وقد لا تتساوى درجات هذه الصفات في الجسد فيصبح الشخص خليطاً لاتحادها فيه بدرجات متفاوتة او ان يتغلب فيه العنصر الواحد على سائر العناصر · وهكذا الحال في الأدوية فالمسك حار ولكنه اقل من الثوم والخردل ، والخبازى باردة ولكنها أقل من النيلوفر · ولكل من الحر والبرد والرطوبة واليبس اربع درجات ولكل من هذه الدرجات المختلفة طائفة من الأدوية · فيقال ان كذا او كذا دواء حار في بدء الدرجة الثانية او يابس في نهاية الدرجة الثالثة وقس عليه · فالصفات العامة للأدوية تتألف اذن من اجتماع طبائعها الأولية · وفضلاً عن ذلك فللأدوية بعض الطبائع الخاصة · ثم ان أسباب الأمراض تستنتج أيضاً من هذه العقيدة العنصرية فيكون سببها الحر او البرد او الرطوبة او اليبس فتداوى بالأدوية ذات الطبائع المعاكسة ·

ومع ان ثابت بن قرة عاش في القرن التاسع فان المخطوطة التي نقل عنها الناشر مكتوبة في السنة ١٢١٠ بعد المسيح اي بعد وفاة المؤلف بثلاثمائة وعشر سنين وهي تنتهي بهذه العبارة «تم كتاب الذخيرة بحمد الله ومنه والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه الإكرمين وقع الفراغ من نسخه يوم السبت سابع جمادى الأولى سنة سبع وستمائة» انتهى

مرشد خاطر

المختار

أحب الدكتور طه حسين بك في تقديمه الجزء الثاني من كتاب «المختار» ان يجعل بين الشيخ عبد العزيز البشري وبين صاحب الأغاني نسباً في اللغة ، اما انا فاني أحب ان أذهب مذهباً أبعد ، اني أحب ان أجعل هذا النسب بين صاحب «المختار» وبين الجاحظ نفسه ، فالشيخ عبد العزيز البشري قد انسحب على أذيال الجاحظ في بعض فنه ، فان له تصرفاً في مفردات اللغة غير يسير ، ولقد زاد في محاسن تصرفه صفاء ذوقه ، واذا شئت ان أجمل الرأي في فن الشيخ عبد العزيز البشري فلا أجد عبارة أصح من عبارته في الشيخ سيد درويش ، فهو يقول فيه : وللرجل أذن موسيقية ، وله حس مرهف ، وفيه ذوق تام دقيق .

ولئن صدقت هذه الصفات في الشيخ سيد درويش فانها في الشيخ عبد العزيز البشري أصدق ، ولعل هذه الأذن الموسيقية هي التي مكنت صاحب «المختار» من إرسال ما أرسله من الكلام في فريق من رجال الموسيقى ، الذين حضر مجالسهم ، حتى استطاع ان يذوق محاسنهم ، وان ينبه على مقابحهم ، وان يذهب في الاشارة الى ترديدهم وترنيمهم ، والى ترجيعهم وتنغيمهم هذا المذهب الذي ذهبه ، وما أظن ان قلماً من الأقلام في هذا العصر يستطيع أن يجري في وصف رقيق الاصوات وأجشها ، أو في وصف فنون النغم بمجامعها مجرى قلم الشيخ عبد العزيز البشري .

ولا ريب في أن هذه الأذن الموسيقية التي خلقها الله لشيخنا البشري هي التي أعانته على تهذيب ذوقه اللغوي ، واذا جعلت بينه وبين الجاحظ نسباً في اللغة فاني لا أرمي الكلام على عواهنه فان له مقاطع في كلامه على الشيخ علي يوسف او على الشيخ سيد درويش ، او في مواطن غير هذه المواطن ، تظهر عليها آثار بلاغة الجاحظ .

واذا كان الشيخ عبد العزيز البشري نسيج وحده في شيء ، فانه نسيج وحده في تصوير الرجال ، فقد أعطاه الله كثيراً من خصائص التصوير ، فلا يكاد يتعاظمه

شيء من الكلام على هيآت المصورين ، وعلى عقولهم وعلى قلوبهم ، وله في هذا الباب لهجة خاصة تباغت القارئ فتسليه وتسره ، وهذه اللهجة انما هي سر الصنعة في التصوير فلا يكاد يتفلت منه لفظ في هذا المجال ، ولو انصرف الشيخ عبد العزيز البشري ، وقد اختصه الله بما اختصه به من دقة البيان وطبعه على مثل ماطبعه عليه من التهكم ، الى مراقبة أخلاق أهل عصره ، على نحو مافعله الكاتب الفرنسي « لابرويير » : في القرن السابع عشر ، ودوّن نتائج هذه المراقبة في كتاب منفرد ، غير كتابه : في المرآة ، من دون أن يشتت رأيه في طائفة من الرجال لما ذهب أثر كتابه سجيس الليالي !

ولقد حملته مقدرته في بيانه على التجوز في بعض الأحيان في أمر من أمور النحو أو اللغة وهذا شأن كثير من أكابر الكتاب ، فانهم يتجوزون في طائفة من مواضع بيانهم في مذاهب النحو واللغة اعتقاداً منهم ان هذا التجوز تغطي عليه حسناتهم .

فهل يضر شيخنا الجليل ان يقول في بعض كلامه : قد لا يكون ... وهو يعلم العلم كله ان « قد » هذه متصلة بالفعل المتصرف ، الخبري ، المثبت ، المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس ، لا يفصل بينها وبينه فاصل ، اللهم الا القسم .

وهل يضر شيخنا الجليل ان يدخل : مهما ، على الفعل الماضي ، فيقول : مهما كان ، ومهما استحدث ... وهو يعلم العلم كله ان « مهما » من الجوازم ، ويحيط الاحاطة كلها بمعانيها الثلاثة : مهما تأتنا به من آية ... على ان البحتري أغضى قديماً على دخول « مهما » الفعل الماضي ، ولم يذهب هذا الإغضاء بسحر شعره !

أم هل يضره ان يأتي بالتوكيد المعنوي قبل المؤكد ، فيقول في بعض كلامه : في نفس اليوم ، بدلاً من ان يقول : في اليوم نفسه ، وهو يعلم العلم كله ان التوكيد المعنوي يأتي بعد المؤكد !

ام هل يضره ان يستعمل فعلاً يتعدى بالحرف ، فيستغني عن هذا الحرف ، فيقول : ثم تقبل على صينه ، تفتشها وتفرّها ، وهو يعلم انه يقال : فرّ الدابة ، كشف عن أسنانها لينظر ما سنها ، وفرّ عن الأمر ، بحث عنه .

ان هذا كله لا يذهب بحسنات الشيخ عبد العزيز البشري ، فله أن يجمع صديقاً على صدقان اذا شاء ، وله أن يستغني عن جمعها على أصدقاء وصدقاء ، وله أن يقول : مضعوف البدن من أضعفه الله ويعدل عن : ضعيف البدن ، ان هذا كله صحيح ، وكله فصيح ، غير ان تباعد الشيخ الجليل عن أشباه هذا المألوف من الجمع ، واسرافه في تنخله بعض ألفاظه ، مثل قوله : زلت له هذه الخلة ، بدلاً من قوله : جاءته . يقحمانه في الذي نسميه التنطع في الكلام وقد نزهه الله عن كل تنطع وتنطس .

على اني ارجو ان اكون قد أخطأت في هذه النظرات العجلة ، فان الشيخ عبد العزيز البشري يغرف في البلاغة من بحر لا تكدره امثال هذه المكدرات .

شفيق جبري

كتاب السلوك

لمعرفة دول الملوك

طبع في القاهرة بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٩

قيل ان المؤرخ الكبير تقي الدين احمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ مؤلف هذا الكتاب قد زادت تصانيفه على مئتي مجلد كبار . ومهما كان هذا العدد مبالغاً فيه فالمقريزي بلا جدال من المكثرين من التأليف والمجودين فيه . وقد طبع بضعة منها حتى الآن وأهمها « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » وهو السفر الذي اصبح اكبر مرجع لكل من يريد البحث في عمران مصر وتاريخها منذ القديم الى عصر المؤلف . ومما طبع له « التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم » (ليدن) « ذكر ما ورد في بني أمية وبني العباس (فينا) « الدرر المضية في تاريخ الدولة الاسلامية » (كمبردج) النقود الاسلامية (الاستانة) « اتعاظ الحنفا

بأخبار الخلفا » (القدس) وطبع في مصر « البيان والاعراب عما في ارض مصر من الأعراب » « الأوزان والمكاييل الشرقية » « الطريقة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة »

ومما أبقت عليه الايام من كتب المقريزي « كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » وهو تاريخ مفصل لملوك الاكراد الايوبية والسلاطين المماليك التركية والجركسية . وفيه تراجم مختصرة لبعض المشاهير الذين توفوا في كل سنة . وقد كتبه مؤلفه على نظام الحوليات وتنوّق فيه واخذ من المصادر المعتبرة التي يكاد بعضها يكون الآن في حكم المفقود . ولم يحاول ان يربط بين الحوادث فيجعل المتماثلات في ناحية معينة كما فعل ابن خلدون وابن الأثير بل اطلق عنان قلمه في التدوين على السنين والشهور .

ويقع الباحث في هذا السفر الجليل على حوادث مهمة قد لايجدها في الكتب المطبوعة في فن التاريخ العربي ، ويقرأ في حوادث الايوبيين والمماليك واخبار ملوكهم وأمرائهم وما تخلل تلك العهود من الوقائع ما يظن نفسه معه امام قصص وروايات سرد فيها الدقيق والجليل من الحوادث بحيث لم يبق قول لمستزيد .

لاجرم ان في نشر السلوك تتميم سلسلة اخبار دولتين حكمتا مصر والشام وما اليهما اعواماً ، وكان لها طابعها الخاص وميزاتها واذا أحب المؤرخون بعد الآن التوسع في الكلام على تينك الدولتين فيجدون المواد اللازمة لهم في كتاب السلوك مما كان بعضه مجهولاً .

ويقول الناشر الاستاذ محمد مصطفى زيادة من اساتذة التاريخ في الجامعة المصرية : ان كتاب السلوك على ايجازه احياناً قد حوى من الحقائق والاشارات ما لم تحوه مطولات المعاصرين كابن الأثير وأبي شامة وابن شدّاد وابن واصل وابن أبي الفضائل والنويري وبيبرس المنصوري وابي الفداء ، وان المقريزي كتب كتابة مستوفاة وزاد على هؤلاء المؤرخين ما انتقاه من مراجع أخرى . واستخدم الناشر تاريخي ابن واصل وبيبرس المنصوري من المخطوطات للتصحيح في جملة ما استخدمه من التواريخ والمظان

وذكر ان المقريزي انفرد بأشياء لم يسبق أحد اليها ومنها كلام السلطان العادل الأول بشأن وراثة الملك في الدولة الأيوبية (ص ١٥٢) ومنها الاشارة المبهمة الى لفظ « البحرية » (٢٢٣) اذا قرنت الى المماليك ، وقد ظنه جميع المؤرخين مشتقاً من بحر النيل وان فرقة المماليك البحرية التي تفرعت عنها دولة المماليك الأولى بمصر قد سميت بذلك الاسم ومنها غير ذلك ٠

ولاحظنا ان الاستاذ الناشر اعتمد على بعض علماء المشرقيات الذين خدموا كتاب السلوك او نقلوا عنه او نشروا قسماً منه اكثر من اعتماده على الأصول العربية ، ويشير في حواشيه المفيدة الى ذلك مكتفياً بالاسم الافرنجي كأن المفروض ان يكون كل من يطالع كتاب السلوك ملماً باللغات الأجنبية ، وكان الأولى ان يترجم الاسم العربي كل مرة ويضع بحذائه الاسم الافرنجي ٠

* * *

صدر القسم الثالث من الجزء الأول من كتاب السلوك هذه السنة وقد صدر القسمان الأولان (في سنة ١٩٣٤ و ١٩٣٦) مطبوعين في مطبعة دار الكتب المصرية وبنفقة لجنة التأليف والترجمة والنشر ٠ وبلغ مجموع صفحات الأقسام الثلاثة مع الفهارس الممتعة ١١٧٨ ص بالحجم الكبير ٠ ولأول نظرة في الكتاب يتبين للقارئ مبلغ عناية ناشره وما عاناه في رد هذه المخطوطة الى الصواب وما رجع اليه من المراجع العربية والافرنجية ، وما علقه في أسفل الصفحات شرحاً وبياناً لما ورد في المتن من الغوامض والمشكلات فدلّ بذلك على مبلغ تحقيقه واستحق ثناء الباحثين ٠

ويقول الاستاذ انه صرف ثماني سنين في احياء هذا الكتاب وتأسف ضمناً أن صده هذا العمل عن التأليف في ابحاث تروقه وتهمه ونحن نقول له ان نشر مثل هذا الكتاب الجليل بمثل هذا التحقيق من الاستاذ زيادة هو تأليف وزيادة ٠ ونرجو ان يطول به العمر ويدوم له التوفيق ليتم الكتاب على مايحب ويحب له كل محب للتاريخ

وقد وقعت للصديق الناشر بعض هنات في الاعلام الشامية لاتقدح في كتاب ضخم كهذا اذا عرفنا كيف كان الأصل المنقول عنه من السقم والخلل ، وما خلا كتاب للقدماء حتى الآن من اشياء كثيرة من هذا القبيل ، عدت على ناشره فما قللت مكانة عمله ، والكامل من عدت سقطاته .

من ذلك (ص ٨٤) حسان (هكذا شكلها وقال في الهامش انها بغير ضبط في س) والصحيح انها حُسبان بالضم قال ابو الفداء في تقويم البلدان (طبعة رينو ودي سلان بباريز) والبلقاء احدى كور الشراة وهي خصبة وقاعدة البلقاء حُسبان بضم الحاء وسكون السين المهملتين وفتح الباء الموحدة ثم الف ونون في الآخر وهي بلدة صغيرة .

(ص ١٧٤) صفية خاتون ابنة العادل شقيقة الكامل — ضيفة خاتون سميت ضيفة لأن أمها ولدتها بيتا كانت أمها ضيفة في غير بيتها ، ومدرسة ضيفة خاتون ملزالت باقية الى اليوم في الفردوس من ربض حلب . وضيفة خاتون كانت كشجرة الدر من النساء اللاتي حكمن في مصر والشام في الدولتين الأيوبية والمماليك

(ص ٢١٩) ابو المظفر يوسف بن كزوغلو — ابو المظفر يوسف بن قزاوغلو اي ابن البنت اي السبط

ص ٢٣١ تبنين وهي الصواب وما ورد في الفهرس بثنين غلط

ص ٣١٣ نهر قزل ايرمك — ايرمق)

ص ٥٣٢ بيزين — اظنها تيزين (بعد الزاي ياء ساكنة ونون) قرية كما قال ياقوت في المعجم من نواحي حلب كانت تعد من أعمال قنسرين وصارت في أيام الرشيد من العواصم مع منبج وغيرها

ص ٥٤٦ جسر يعقوب — جسر بنات يعقوب

ص ٧٣٥ قرية حرزما — فسرها الناشر بأنها بليدة بين ماردين ودنيسر من

أعمال الجزيرة والصحيح أنها حَزْرَما بتقديم الزاي ثم راء وهي قرية لا تزال معروفة في أول المرج مرج دمشق على مقربة من أقصى حدود الغوطة الشرقية

ص ٧٦٩ قرية شعرعمر — قرية شفرعمّ ، وهي قرية بينها وبين عكا بساحل الشام ثلاثة أميال وكانت منزلة صلاح الدين في حروب الافرنج كما قال ياقوت . وفيها تل المبشوح — تل المفشوخ نسبة لنهر المفشوخ شمالي شرقي عكا . وفيها قرية الفرح — قرية الفرج شمالي عكا وهي على مقربة من قرية القديسة . ومنها قرية طبرنية — نرجح أنها الطيرة

ص ٨١٧ جوسية قرية على مسافة ستة فراسخ من حلب — الصحيح من حمص لا من حلب .

ص ٨٧١ فأقامت الأفراح في الأُردوا — تكررت لفظة الأُردوا بهذا الرسم في القسم الثالث وحقيقتها الأُردو اي الجيش بدون الف في آخرها كما وردت في ص ٥٦٩ وقال انها لفظة مغولية معناها المعسكر

ص ٨٧٥ وافليس وبلادها — وابو قبيس وبلادها ، وهو حصن مقابل شيزر ويقال لها اليوم سيجر قرب حماة

وفي الصفحة نفسها — كفردنين — كفردُبين ، حصن بنواحي أنطاكية كما في ياقوت وأقرب الى الوضوح ما أورده ياقوت في مكان آخر وصف به هذه القلعة قال : شقيف دُبين : قلعة صغيرة قرب أنطاكية ودبين ضيعة كالربض لها

ص ٩٠٢ الدرزية او الدروز قال الناشر انهم احدى فئات أهل لبنان وهم منتشرون أيضاً في جبل كسروان المتصل بسلسلة جبل لبنان — نقول ان جبل كسروان داخل في جبال لبنان وهو منها في الصميم والدروز يسكنون فيه قليلاً ويكثرون في الشوف والمتن من عمل لبنان كما ان منهم ألوفاً في اقليم البلان من سفوح جبل الشيخ (جبل الثلج او حرمون) ووادي التيم تيم الله بن ثعلبة (حاصبيا وراشيا) وفي جبل حوران وبعض قرى عكا وقرى حلب وقرى دمشق

ص ٩٣٣ عقبة شجورا — وفي تقويم البلدان الشحورة عقبة بين دمشق والكسوة

ص ٩٢٣ و ٩٢٨ ارواد (جزيرة رودس) والصحيح ان ارواد جزيرة صغيرة تجاه طرابلس وقرب انطرطوس كما يظهر من المتن نفسه اما جزيرة رودس فالغالب انها هي التي رأيتها في بعض المصادر «رود»

ص ٨٧٥ وقراها الرحلية والجبلية — فسر الناشر الرحلية بقوله ولعل المقصود بالقرى الرحلية ما كان منها على طريق القوافل والرحلة . وهو تخريج بعيد والصواب : السهلية والجبلية .

ص ٩٦٨ و ٩٨٧ شقيف تلمنّس وهو حصن قرب معرة النعمان

ص ٩٧٦ وعيدوا واعمالها — وعيذو واعمالها وعيذو قلعة بنواحي حلب

ص ٩٨٧ قسمون — قسطون ، حصن كان بالروج من أعمال حلب

ص ١١٤٩ قصر ام الحاكم — ام الحكيم وهو بمرج الصُّفَّر من أرض دمشق

ص ٢٨ ١ باب الفراديس — باب العمرة — الصحيح باب العمارة وهو معروف الى اليوم .

محمد كرد علي

كتاب شرح أسماء العقّار

تأليف الشيخ الرئيس ابي عمران موسى بن عبيد الله الاسرائيلي القرطبي

نشره وصححه وراجعه على النسخة الوحيدة الدكتور ماكس مايرهوف« المجلد الحادي والاربعون من مذكرات المجمع العلمي المصري »

لعلماء العرب والعربية عشرات من كتب مفردات الأدوية ضاع معظمها على تعاقب الأيام والسنين ، وأشهر ما طبع منها مفردات ابن البيطار . ومما ظل مجهولاً الى زمن قريب مفردات الغافقي التي كانت أكبر مصدر نقل عنه ابن البيطار ، ومفردات الشريف الادريسي ، وكتاب شرح اسماء العقار لموسى بن عبيد الله المعروف بابن ميمون القرطبي .

وقد عثر الدكتور مايرهوف ، أحد اعضاء المجمع العلمي المصري ، في خزانة جامع أياصوفيا في اسطنبول ، على نسخة من الكتاب الاخير هي حتى اليوم وحيدة في بابها ، فاستنسخها وترجمها الى الفرنسية وحقق موادها الأربع مائة والخمس ، مع مترادفات كثيرة لتلك المواد من عربية وسريانية ويونانية واسبانية وغيرها . ونص على الأسماء العلمية والفرنسية لهذه العقاقير ، وأشار الى الصحائف التي ذكرت فيها في ترجمة كتب ديوسقوريدس وابن سرابيون وابن البيطار ، وتحفة الاحباب في ماهية النبات والأعشاب ، وكشف الرموز في شرح العقاقير والاعشاب لعبد الرزاق الجزائري ، وفي معجم أسماء النبات للدكتور احمد عيسى ، وغيرها من كتب النباتات الطبية القديمة والحديثة .

وذكر المدلولات القديمة والمدلولات الحديثة لأسماء النباتات الواردة في الكتاب ، ورد كثيراً من تلك الأسماء الى أصولها فقال عن بعضها انها من أصل عربي ، وعن أخرى انها من أصل يوناني او فارسي او سنسكريتي او سامي مع ذكر اشباهها في الآرامية والآشورية والعبرية والسريانية . والذين عانوا بحث اسماء هذه العقاقير يدركون الصعوبة في ضبط تلك الأسماء ومدلولاتها .

وقدم الدكتور مايرهوف للكتاب مقدمة بالفرنسية جوّد بها كثيراً ، فبحث عن إجلال العرب لكتب ديوسقوريدس في المفردات الطبية ، وعن جعلها أساساً لأبحاثهم ، وعن اضافتهم عقاقير كثيرة عليها مما كان يجهله اليونانيون . ثم تكلم على أشهر المؤلفين العرب في مفردات الأدوية كابن ماسرجويه والرازي وابن سينا وابن ماسة والبيروني والغافقي وعبد اللطيف البغدادي وابن الصوري وكوهين العطار واسحق بن عمران والادريسي وابن البيطار وغيرهم كثير حتى بلغ داود الأنطاكي من علماء القرن العاشر فعبد الرزاق الجزائري من أطباء القرن الثاني عشر للهجرة . ولم ينس الاشارة الى اصحاب كتب النبات والمملات وكتب اللغة من غير الاطباء كابي حنيفة الدينوري والأصمعي والقزويني والنويري وابن سيده والفيروزابادي وغيرهم . وفي الحقيقة لقد جاءت هذه المقدمة التي بلغت ٤٠ صفحة كبيرة تاريخاً موجزاً او صورة جميلة لتاريخ النباتات الطبية عند العرب .

وبعد ان ملأ الناشر ١٣ صفحة في حياة ابن ميمون القرطبي وفي مؤلفاته الطبية ، انتقل الى ذكر النسخة الخطية من كتابه «شرح اسماء العقار» ثم الى الكتب التي استعان بها في تعيين المدلولات لأسماء العقاقير وفي فحص المترادفات وتثبيتها .

وعندما انتهى من ذلك تناول الأسماء المذكورة واحداً واحداً فملأ في شرحها اكثر من ٢٠٠ صفحة كلها من القطع الكبير ، ثم عقب عليها بفهارس او مسارد عديدة منها واحد بأسماء الأعلام الذين ورد ذكرهم في تضاعيف الكتاب ، وثان في الأسماء اللاتينية اي العلمية للعقاقير ، وثالث في الأسماء الفرنسية ، ورابع في الأسماء الايبرية اي التي كان العرب يسمونها (عجمية الأندلس) ، وخامس في الأسماء اليونانية ، وسادس في الأسماء المصرية القديمة والقبطية ، وسابع في الأسماء الأكدية والآشورية ، وثامن في الأسماء العبرية والآرامية ، وتاسع في الأسماء العربية والمعربة وهو بأحرف لاتينية ، وعاشر في الأسماء البربرية ، وحادي عشر في الأسماء السنسكريتية واللهجات الهندية ، وثاني عشر في الأسماء الفارسية .

أما القسم العربي من كتاب الناشر فقد اشتمل على نص كتاب « شرح أسماء العقار » وعلى فهرس في أسماء العقاقير المذكورة فيه . وطبع الكتاب في مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة ، على ان يكون المجلد ٤١ من المذكرات التي تقدم الى المجمع العلمي المصري ، فتنشر برعاية جلالة الملك فاروق .

ولا شك ان ابراز الكتاب الذي نحن في صدده على هذا الشكل الجميل ، وبهذه الحلة القشيبة ، وشرح مفرداته هذا الشرح العلمي الواسع المضبوط ، لهو دليل على ما لبعض المستشرقين من الأيادي البيض على لغتنا الضادية .

ولا بد لي من لفت نظر الدكتور مايرهوف المحترم الى بعض ملحوظات لاحظتها أثناء مطالعتي لكتابه الثمين وهي :

أولاً : استنكر ورود لفظة العقار مفتوحة العين في معظم المعاجم العربية (ص ٦٢ من المقدمة) ، واوجب ان تكون بالضم . ولا نرى وجهاً لاستنكاره لأن العرب عندما عربوا الألفاظ الاعجمية أياً كانت أصولها ، لم يتقيدوا بعدم مسها بل غيروا بعض حركاتها حتى بعض أحرفها . والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى .

وقد ذكر الدكتور كثيراً منها في تضاعيف كتابه . فيجب اذن قبول هذه الألفاظ على علاتها . أما مالا يجوز اليوم قبوله فهو ما يخالف العلم الحديث في تلك المعاجم . مثاله خلط بعض المواليد ببعض كتعريفهم الأرز والعرعر والصنوبر والسرو الواحد منها بالثاني ، على حين ان كلا منها جنس نباتي مستقل عن الآخر ، وكتعريفهم اللوز بالبندق ، والكرنب بالسلق ، والآس بالرند ، والأوز بالبط الخ . (انظر مقالي في عيوب المعاجم العربية في عدد اكتوبر ١٩٤٠ من المقتطف)

ثانياً . شك الدكتور في لفظة (القرينة) وهي نوع من الجلبان البري (ص ٤٣و٤٣) وظن انها من الكرسنة . قلت انها القُرَيناء لا الكرسنة فقد ورد في المخصص (م ١١ ص ٦٢) : «ومنها الجلبان واحدته جلبانة ويقال للبرية منها القريناء ولا تؤكل لمرارة فيها» وهي على ما أظن احد انواع Lathyrus الكثيرة التي تنبتها الطبيعة في بلادنا وفي الأندلس .

ثالثاً : ورد في القاموس التقدة والتقدة من اسماء الكزبرة . فلفظة التقدة اذن ليست خطأ خلافاً لما أشار اليه في حاشية الصفحة ٩١ .

رابعاً : تسمية الجنبة Groseiller بالريباس هو خطأ على ما اعتقد . فالريباس في كتب المفردات هو Rheum ribes ليس غير . وهو معروف تنبته الطبيعة في جبل الشيخ وجبل لبنان . وتجلب اضلاعه فتباع ويصنع منها شراب لذيذ . وقد وصف ابن البيطار الريباس وصفاً لا يدع مجالاً للشك فيه ، مع العلم بأن هذه اللفظة تطلق اليوم في الشام على النبات المذكور كما ألمعت اليه . ولم اعثر على دليل يجوز اطلاق لفظة الريباس على أنواع Groseiller وهي Ribes rubrum و R. nigrum و R. uva crispa فهذه الأنواع الزراعية الثلاثة لا تزرع في بلادنا ولا تنبت برية فيها . ولم يذكرها فورسكال ولا شوينفرث ولا بوست ولا تيبولت ولا احمد ندا . ومنابتها شمالي اوربة كما هو معروف . وعندما راجعت ما كتبته عنها في معجمي المسمى (معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية) الذي لا يزال مخطوطاً وجدت ان اسم الجنس العلمي Ribes ليس من ريباس العربية بل من Ribs

الدغركية او Risp السويدية ، على ما رجحه دوكندول في كتابه أصول النباتات الزراعية « ص ٢٢١ من الطبعة الخامسة » .

ويتضح من ذلك ان لفظة الريباس لم يطلقها العرب على هذه الجنبة . وهي في الاصطلاح الحديث تسمى الكشمش وان تكن هذه اللفظة في المعاجم تدل على عنب لا نوى له .

خامساً : جاءت لفظة الكنكر في القاموس (مادة حرشف) مفتوحة الكافين بينهما نون ساكنة فيجب قبولها كما جاءت سواء اكان أصلها الفارسي بالضم ام بالفتح . وهي تدل على البقل الذي نسميه بعامية الشاميين إنكنار وارضي شوكي Artichaut ومن أسمائه الحرشف البستاني وسقوليموس وقنارة وهما يونانيتان .

سادساً : من أسماء التمر الهندي الصُبّار بالتشديد والحَوْمَر (القاموس)

سابعاً : اعتقد ان Ononis antiquorum هو الشُبارِق المذكور في المخصص . اما تسمية الشاميين له بالشبرق فسببه اختلاط اللفظتين المتقاربتين على العامة .

ثامناً : وردت لفظة البَيْش بهاء ساكنة في القاموس المحيط وفي غيره . ولم أجدها مفتوحة الهاء . وهذه اللفظة العربية تطلق على نوع او اكثر من أنواع البلوط كما تطلق على المقل مادام رطباً .

تاسعاً : أورد لفظة الشنجار بالفتح على حين ان القاموس قد ضبطها بالكسر

عاشراً : ذكر القاقلة غير مشددة اللام . والصحيح انها بلام مشددة . وهي تطلق على انواع من الهال تنسب الى الأجناس الثلاثة Amomum و Aframomum و Elettaria . وقد ذكرت أهم هذه الأنواع في معجمي المخطوط

أما القاقُلَّى بألف مقصورة فهي نبات آخر ذكره ، فلا وجه إذن للالتباس بين اللفظتين . وهما منفصلتان في المعاجم .

حادي عشر : ذكر الكبابة Piper cubeba بياء مشددة . وفي القاموس الكبابة كسحابة الخ .

ثاني عشر : اورد لفظة الثلثان بالضم (وهي عنب الثعلب Solanum nigrum) وضبطها الفيروزابادي بقوله الثلثان كالظربان الخ .

هذا جانب من الملحوظات التي دونتها ولعلي مصيب في ذكرها . ومهما يكن فكتاب الدكتور مايرهوف يعد من خير الأعمال التي يأتيها العلماء المستشرقون في خدمة لغتنا العربية .

مصطفى الشهابي

كتاب ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة

تأليف الاستاذ سعيد الأفغاني

طبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٥٩ هـ سنة ١٩٤٠ م ص ٣٥٠ ماعدا الفهارس

دلّ ماخلفته القرون ، وغفل عنه الخصوم ، من مصنفات أبي محمد علي بن احمد بن حزم الظاهري أنه كان إماماً عظيماً ، مستقلاً مستدلاً ، مِعناً مِفنّاً ، قويّ العارضة ، شديد المعارضة ، بل كان مجدداً لعلوم الاسلام في القرن الخامس ، ولكنه رحمه الله تعالى — على سعة علمه ، وشدّة استحضاره ، وقوة استدلاله ، — كانت « تقع له المسائل المحررة ، والمسائل الواهية » كما قال الحافظ الذهبي ، فقد أخطأ في أول مسألة ذكرها في أول كتابه المحلى الذي قال فيه سلطان العلماء العز بن عبد السلام كلمته المشهورة : « ما رأيت في كتب الاسلام من العلم ، مثل المحلّى لابن حزم ، وكتاب المغنى للشيخ موفق الدين » — فجعل كلمة التوحيد دليلاً على موجد الكون وعلى نفي تعدّد الذات والتركيب ، كما تراه في (ص ٤٤٣) وانما يصح هذا في تفسير سورة الإخلاص ، وآيات غيرها لا في كلمة الشهادة ؛ أما معنى كلمة (إله) في لغة العرب وفي بيان القرآن ، فهو المعبود ، ولفظ الجلالة

علم على المعبود بحق ، فبين تعالى في هذه الجملة (لا إله الا الله) انه لا يستحق العبادة ، الا من تفرد بالايجاد والامداد ، وأهل الجاهلية مؤمنون بوجوده معترفون له بهذا التفرد ، فأقام عليهم الحجة بما أقروه من انفراده بالخلق والتدبير ، على ما أنكروه من تخصيصه بالعبادة ، فكيف خفي هذا المعنى على امام أهل الظاهر ؟

أما الكتاب فيدخل في قسمين (الأول) في حياة ابن حزم ، والثاني في مفاضلة بين الصحابة ، وفي الأول الكلام على عصره ، وأصله ونشأته وشبابه ، وطلبه وعمله ومصنفاته ، ومذهبه وأدبه وحبه ، وأخلاقه ومزاجه وحياته بين الناس ، ووفاته ، وهذه الترجمة — بقلم الأستاذ الأفغاني — قد استغرقت (١٥٠) صفحة وأما رسالة المفاضلة — التي هي القسم الثاني — فهي مجردة من كتاب « الفصل » المطبوع المشهور ، ومقابلة على نسخة خطية محفوظة في المكتبة الظاهرية ، وقد أشير الى ما فيهما من اختلاف وزيادة ونقص ، وهي تشتمل على ثلاثة أبواب وخاتمة (الأول) في بيان الفضل والمفاضلة وعرض الآراء المختلفة ، (والثاني) في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الصحابة ، وفيه رد شبه واعتراضات على على هذا التفضيل ، (والثالث) في أن أبا بكر الصديق أفضل الصحابة بعد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه تفضيل الخلفاء الراشدين على ترتيبهم في الخلافة ، (وأما الخاتمة) ففي بيان تسوية الاسلام بين الناس كافة ، وفيه بحث في القرابة ومناقشة في تفضيلها .

وقد زين الكتاب بتعليقات مفيدة ، وذيل بتراجم الأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة ، وختم بفهارس في الأعلام والجماعات والأماكن والكتب والآيات والأحاديث والأشعار والأيام المشهورة والموضوعات ومن ذلك كله تعلم ما بذله الأستاذ الناشر من جهد جهيد ، ووقت ثمين ، أثابه الله تعالى .

محمد بهجة البيطار

فهرس الجزء الاول والثاني

من المجلد السابع عشر

الصفحة

٣ اعضاء المجمع العلمي العربي . . . .

٤ 〃 〃 〃 〃 الراحلون . . . .

٦ هل تمدنا ؟ . . . . للأستاذ محمد كرد علي

١٥ ابو العلاء المعري والحشر . . . 〃 سليم الجندي

٢٩ المرأة في عهد النبوة وفي عصرنا الحاضر 〃 محمد بهجة البيطار

٤٨ الطرمّاح بن حكيم الطائي . . . . 〃 خليل مردم بك

٥٧ كلمة (قند شمع) . . . . 〃 عبد القادر المغربي

٦٣ المكثرون من التأليف والمجودون فيه . . 〃 محمد كرد علي

مخطوطات ومطبوعات

٧٨ الذخيرة في علم الطب لثابت بن قرة . . . .

٨٣ المختار للشيخ عبد العزيز البشري . . . .

٨٤ السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي . . . .

٨٩ شرح اسماء العقّار لابن ميمون القرطبي . . . .

٩٤ ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابة . . . . . .

I.F.
1998

الجزء الثالث والرابع — المجلد السابع عشر

مجلة المجمع العلمي العربي

آذار ونيسان ١٩٤٢ — ربيع الأول وربيع الآخر ١٣٦١

الشاميون والتاريخ (١)

كان من اهم العوامل في ولوع العرب بالتاريخ منذ كان الاسلام حرصهم على الانتفاع بالصحيح من احاديث رسول الله ﷺ وكلما كثر الوضاعون والكذابون والضعفاء من ادعياء الحديث زاد العلماء عناية بالرجال ، متوخين في التعريف بهم الطرق التي ابتكروها في معرفة صحيح الحديث من سقيمه والمبالغة في جرحه وتعديله . قال سفيان الثوري : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ ، وقال حسان ابن زيد لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ . ورأينا المؤرخين في القرون الثلاثة الاولى من البعثة يجرون في نقل الاخبار والآثار على طريقة المحدثين بالسند والرواية المتقنة ، بحيث يتيسر لطالب التاريخ ان يعرف من الاطلاع على رواته مبلغه من الضعف والقوة ، وقلما كان المؤرخون يتفلسفون في التاريخ السياسي وتراجم الرجال

واتفق ان نزل في الشام منذ الفتح اناس من كبار الصحابة وحلوا في حواضرها ونشروا حديث الرسول بين اهلها ، وتميز رواة الشاميين بفرط العناية بخدمة فنهم وعلمهم وعلو اسنادهم ، فكان من ذلك بعد القرن الثاني ان نبغ مؤرخون عظام كانوا اوفر عدداً ممن نبغ من أمثالهم في الأقطار العربية الأخرى . فاذا قلنا ان الشام اخرجت محدثين ومؤرخين وشعراء مجيدين اكثر عدداً وأعظم أثراً ممن ظهروا في الأقطار الاخرى لا نكون الى الغلو . ولذلك كان طلاب الحديث يقصدون رواة

(١) القاها الاستاذ محمد كرد علي في راديو فلسطين بالقدس يوم السبت ٦ رمضان ١٣٦٠ (ايلول ١٩٤١)

ARCHEOLOGIE

الشاميين من الأقطار البعيدة ليأخذوا عنهم ما يهمهم ويصلوا سندهم بسندهم كما يقصد اليوم طلاب الراحة والنزهة جبال الشام ليصطافوا وينعموا .

يعد أول من دوّن التاريخ في الشام أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان (رض) فانه استدعى من اليمن أيام خلافته عَبيد بن شَرْية الجرهمي ليحدثه بأحاديث العرب وأيامها وأمر ان يكتب عنه كل ما يقول كما أتى بأمد بن أبد الحضرمي من اليمن أيضاً يقص عليه أخبار ملوك العرب والعجم ، فكان ذلك أول تدوين للتاريخ في الاسلام بالشام . وقد أخذ عن عبيد كثيرون ومنهم علاقة بن عبد الكريم الكلابي من بني عامر بن كلاب أيام يزيد بن معاوية (رض) وعَبيد هذا أحد من أُخذت عنهم المآثر ، وحدث الناس بالمناقب ، على المثال الذي جرى عليه القصاص في التذكير بالمغازي والفتوح منذ جاء العرب فاتحين ، فكان في الجيوش القصاص يقصون على المحاربين في ساحات الوغى وفي المساجد والجوامع أحاديث من شأنها تقوية القلوب وجمعها على الطاعة للخليفة وآله ورجاله .

كان بعض ما يروى يدوّن في الأسفار منذ القرن الأول وفي القرن الثاني اشتدت العناية بالتدوين كثيراً . وممن أثر عنهم انهم كتبوا في التاريخ عبد الرحمن ابن عمرو الأوزاعي البيروتي (المتوفى سنة ١٥٧) نقلت عنه رسائل سياسية وغيرها وكان مع فقهه وانتشار مذهبه في الأقطار بعدّ كاتباً لا يجارى . وما بقي في الكتب من كلامه يدل على عقل راسخ ومعرفة بطبائع الامة والدول ، ويشهد له ببعد النظر في السياسة . واشتهر في هذا القرن الوليد بن مسلم الأموي (١٩٤) عالم أهل دمشق صنف التصانيف والتواريخ . قال الذهبي وعني بهذا الشأن أتم عناية وكان بارعاً في حفظ المغازي كما اشتهر مكحول عالم أهل الشام واسمه ابو عبد الله ابن مسلم الهذلي (١١٣) .

ولم يصلنا من أخبار أصحاب هذا الشأن سوى أخبار بعض من اشتهروا لقربهم من السلطان ، وقربهم منه يهيئ لهم سبيل الوقوف على الحقائق . ونبغ في القرن

الثالث محمد بن عائذ صاحب المغازي والفتوح والصوائف (٢٣٣) او (٢٣٤) وكان ولي خراج الغوطة في أيام المأمون والغالب ان كتاب الملوك وأخبار الأمم والمغازي من تأليفه وكذلك محمود بن سميع (٢٥٩) صاحب الطبقات . واشتهر ابو مسهر عبدالاعلى الغساني الدمشقي بمعرفة أيام الناس وأنساب الشاميين (٢١٨) وكان راوية لسعيد بن عبد العزيز التنوخي وغيره من أهل الشام .

وولد في الرقة محمد بن عبد الله بن أحمد ونشأ في مصر ومن كتبه التاريخ على السنين وتاريخ الصحابة . وقام حافظ الرقة علي بن سعيد القشيري الحراني (٣٧٢) وله تاريخ الرقة ، وجاء غيره ولكن لم تصلنا أسماؤهم . وفي القرن الرابع قام الحافظ شمس الدين ابو الحجاج يوسف الدمشقي (٣٥٤) وله تاريخ وجاء في هذا القرن المطهر بن طاهر المقدسي صاحب البدء والتاريخ المطبوع ، ومحبوب بن قسطنطين المنبجي وله كتاب في التاريخ ومحمد بن احمد بن أبي بكر البناء المقدسي (بعد سنة ٣٧٥) الجغرافي الرحالة صاحب أحسن التقاسيم جاء كتابه في التاريخ والجغرافيا .

ومعظم ما كتبه أهل القرون الأربعة الاولى دخل في الكتب التي وضعها المؤرخون في القرون التالية على ما نرى ذلك ظاهراً في تاريخ دمشق لابن عساكر وغيره من الكتب المبسوطة ، يروونها عنهم ويعتمدون على رواياتهم .

ومن مؤرخي القرن الخامس ابو الخير مبارك بن شرارة الطبيب الكاتب الحلبي النصراني كانت له جرائد مشهورة بحلب عند أهلها يحفظونها لأجل الخراج المستقر على الضياع وله تاريخ حلب توفي في حدود سنة ٤٩٠ وقام ابو غالب همام بن الفضل بن المهذب صاحب التاريخ المشهور وهو من تلامذة ابي العلاء المعري .

ومفخرة مؤرخي الشام في القرن السادس الحافظ ابن عساكر (٥٧١) فانه وضع تاريخ دمشق في ثماني مائة جزء تدخل في ثمانين مجلدة وذيل عليه ولده القاسم ولم يكمل ، وذيل عليه صدر الدين البكري وعمر بن الحاجب . ومن هذا القرن بدأت العادة بأن يذيل الخلف على ما وضعه السلف من التواريخ . ولتاريخ ابن عساكر

مختصرات منها ما اختصره ابو شامة الدمشقي (٦٦٥) وهو مختصران صغير و كبير ، وذيل عليه الحافظ علم الدين البرزالي (٧٣٨) وذيل عليه حمزة بن أسد ابو يعلى بن القلانسي وتاريخه مطبوع . وممن اختصر تاريخ ابن عساكر القاضي جمال الدين محمد بن مكرم صاحب لسان العرب (٧١١) والذهبي والعيني (٨٥٥) وانتقى منه السيوطي وغيره .

وهكذا الحال في تاريخ حلب فان كمال الدين ابن العديم (٦٦٠) اول من كتب في تاريخ حلب بعد مبارك بن شرارة قال اليونيني في الذيل انه يكون بياضه في اربعين مجلداً ثم ذيله الجبريني الشهير بابن خطيب الناصرية (٨٤٣) وسماه الدر المنتخب وذيل عليه الحافظ ابن حجر (٨٣٦) ثم ذيله ابو ذر الشهير بسبط ابن العجمي (٨٨٤) وسماه كنوز الذهب وهو ذيل المنتخب والذيل على كنوز الذهب المسمى بدر الحبب لابن الحنبلي (٩٧١) ولابن حبيب الحلبي (٨٠٨) تاريخ منتزع من تاريخ ابن العديم سماه حضرة الندبم من تاريخ ابن العديم ، ومن تواريخ حلب معادن الذهب لابن ابي طي يحيى بن حميدة (٦٣٠) وله طبقات العلماء وشعراء الشيعة ، ومعادن الذهب في الأعيان الذين تشرفت بهم حلب لابن عمر العرضي ، ومن تواريخ حلب كتاب ابي عبد الله محمد بن علي العظيمي ، وأخبار الدول لبدر الدين حسن ابن عمر بن حبيب الحلبي (٧٧٩) .

وفي القرن السادس كتب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (٥٩٦) تاريخه مرتباً له على السنين وهو من المفقود ، وفيه قام محمد بن طاهر المقدسي (٥٠٧) صاحب التصانيف والتعاليق . والعماد الكاتب صاحب الفتح القدسي والخريدة . وابن شداد صاحب سيرة صلاح الدين .

وكثر في القرن السابع عدد المؤرخين فقام فيه عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي ثم الدمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٨) وكتب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وذيل هو عليه وذيل عليه بعده الحافظ البرزالي سماه المقتفي وذيل عليه ابو بكر بن قاضي شهبة وكل هذه الذيول في مجلدات . وقام في القرن

السابع أيضاً ابن ابي أصيبعة الدمشقي (٦٦٨) فكتب طبقات الأطباء وقام في حلب ابن القفطي (٦٤٦) فكتب أخبار الحكماء وقام في طرابلس ابو الفرج بن العبري (٦٨٥) صاحب مختصر الدول، ولابن عنين الشاعر (٦٣٠) تاريخ العزيزي. وجاء فيه ابن منقذ صاحب كتاب الاعتبار وبعد في الشاميين ايضاً ياقوت الحموي (٦٢٦) صاحب المعجمين (معجم البلدان ومعجم الادباء) وغيرهما لأنه نشأ في الشام ومات فيه ونبغ في هذا القرن جمال الدين بن واصل الحموي (٦٩٧) وله كتاب مفرج الكروب في دولة بني ايوب، ولأحمد بن ابراهيم الحنبلي كتاب اسمه شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، ومن المؤرخين فيه شهاب الدين بن أبي الدم الحموي له التاريخ المظفري في الملة الاسلامية وقع في ستة مجلدات. والحافظ النووي وله طبقات الشافعية وتهذيب الاسماء واللغات.

ومن أقدر رجال التاريخ في هذا القرن ابن خلكان (احمد بن محمد بن ابراهيم) (٦٨١) صاحب وفيات الأعيان وكتابه من الكتب المنقحة الخالدة لا يستغني عنه باحث.

* * *

كان القرن الثامن من أبرك العصور على التاريخ في الشام قام فيه جلة المؤرخين الذين لا يستغني اليوم أحد عما خطته أناملهم ودونته في الصحف، منهم الحافظ الذهبي (٧٤٨) صاحب تاريخ الاسلام وقد جاء في اكثر من عشرين مجلداً وسير النبلاء وهو في بضعة مجلدات ودول الاسلام والمشتبه والعبر وقضاة دمشق وطبقات القراء وله ذيل على كل منها. وذيل على العبر ابن شهبة في ست مجلدات كبار وقام فيه علم الدين البرزالي (٧٤٠) وعماد الدين بن كثير (٧٧٤)، وجمع أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم بين رجال الحديث والحوادث فتقيل أثره ابوشامة في الروضتين والذيل عليه والبرزالي في الذيل والذهبي، وعماد الدين بن كثير في البداية والنهاية قالوا وقد صار الاعتماد بعدهم في مصر والشام في نقل التواريخ عن هؤلاء الحفاظ الثلاثة البرزالي والذهبي وابن كثير.

وقام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٧٢٨) الدمشقي، وقل أن كتب لأحد مثله من الأعلام استخراج عبر التاريخ اللهم الا أن يكون ابن حزم الأندلسي فان كتبهما تتم عما رزقا من معرفة ثاقبة في التاريخ الديني والمدني. أما ابن خلدون فصاحب الشأن الاول في فلسفة التاريخ.

وفي هذا القرن كان محمد بن محمود بن اسحق القدسي (٧٧٦) صاحب تاريخ القدس، وتواريخ القدس التي كتبت بأيدي المقادسة في عصور مختلفة كثيرة منها اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى وانس الجليل بتاريخ القدس والخليل والجامع المستقصى في فضائل المسجد الاقصى، وباعث النفوس الى زيارة القدس المحروس، وفضائل بيت المقدس، وفتوح بيت المقدس، ومثير الغرام الى زيارة القدس والشام. وللملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن ايوب صاحب حماة المضمار في التاريخ وله طبقات الشعراء. وقام في هذا القرن احمد بن فضل الله العمري الدمشقي (٧٤٩) صاحب مسالك الابصار والتعريف بالمصطلح الشريف، وهو آية من آيات الله في السياسة والتاريخ والادب وكثرة العلم. ونبغ الصلاح الصفدي (خليل بن ايبك) (٧٦٤) صاحب الوافي بالوفيات وفيه خمسة عشر الف ترجمة وقد جود فيه من وراء الغاية، وله مقدمة لا يكاد يعرف لمؤرخ ما يدانيها كما انه وضع كتاب نكت الهميان وجود في مقدمته ما شاءت له الاجادة الى غير ذلك من تآليفه.

ونبغ أيضاً الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماة (٧٣٢) مؤلف التاريخ المعروف ومحمد الاكمل بن مفلح (٧٦٤) ومحمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤) صاحب الذيل على وفيات الأعيان لابن خلكان سماه فوات الوفيات وله كتاب عيون التواريخ. وقام أيضاً عمر بن الوردي (٧٤٩) او (٧٥٠) وقام ابن ابي الشائر (٧٨٩) والف تاريخ تنسرين وكانت قنسرين مثل كفرطاب والمعرة مثابة علم وادب كما كانت طرابلس على عهد بني عمار، وحلب أيام سيف الدولة بن حمدان.

وجاء القرن التاسع فقويت ملكة المسخ والنسخ والسلخ في المؤرخين ، ومع ذلك لم يخل هذا القرن والقرن الذي بعده من محققين اتقنوا فنهم ، وعملوا له بعيدين في الجملة عن مؤثرات الامراء والملوك ، ومنهم ابو بكر احمد بن قاضي شهبة صاحب الطبقات وغيره (٨٥١) والحافظ احمد بن علاء الدين حجي الحسباني الدمشقي صاحب كتاب الدارس في أخبار المدارس ، ولعله الأصل لكتاب النعيمي في الدارس وله ذيل على تاريخ ابن كثير . وقام ابن الجزري (٨٣٣) فكتب طبقات القراء ، واحمد بن عربشاه ، فوضع عجائب المقدور في أخبار تيمور وكتب ابراهيم البقاعي في الرجال . وخليل بن جمال الدين الدمشقي عدة مصنفات في التاريخ (٨١٥) ومحمود العيني (٨٥٥) له عدة مصنفات في هذا الفن ، واحمد المقدمي المشهور بابن زوجة ابي عذيبة (٨٥٦) صاحب تاريخ دول الاعيان ، واحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢) صاحب الدرر الكامنة وانباء الغمر في ابناء العمر وعلاء الدين بن خطيب الناصرية الحلبي (٨٤٣) وزين الدين بن الشحنة الحلبي (٨٢٥) ومحمود بن الشحنة (٨٩٠) صاحب الدر المنتخب في تاريخ حلب . وصالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت (اواسط التاسع) .

وجاء القرن العاشر فنبغ في دمشق يوسف بن عبد الهادي (٩٠٩) وهذا على كثرة تآليفه عانى ناحية مهمة من التاريخ وهي تاريخ العمران ، فكتب في الجوامع والمساجد والحمامات والخانات وغيرها ، وجاء يطرس على أثره عبد القادر النعيمي (٩٢٧) الف في تاريخ مدارس دمشق واختصر عبد الباسط العلموي بعض كتبه وزاد عليها ، وجاء ابن سكيكر الدمشقي (٩٨٧) وله كتاب زبدة الآثار فيما وقع لجامعه في الاقامة والاسفار وجاء محمد بن يوسف الباعوني ومؤلفاته اراجيز تاريخية كمؤلفات عمه . ونشأ بدر الدين الغزي المؤرخ (٩٨٤) في دمشق وعبد الرحمن ابن فرفور الدمشقي (٩٩٢) ورضي الدين الحنبلي (٩٧١) صاحب تاريخ حلب ، ومن أعظم مؤرخي دمشق في هذه الحقبة ابن طولون الصالحي (٩٥٣) كتب كتاباً

سماه ذيل التمتع بالاقران وذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر وغيرهما كثير في الخطط والآثار والتاريخ على اختلاف ضروبه · وجاء حمزة بن احمد الفقيه العاليهي (نسبة لعاليه) المعروف بابن سباط (٩٢٦) وكتب تاريخاً في الرجال

وختم هذا القرن بالمؤرخ شرف الدين موسى بن يوسف بن ايوب الدمشقي (١٠٠٠) القاضي وله تاريخ في مجلد وتذكرة في مجلدين وغير ذلك ·

وما خلا القرن الحادي عشر من مؤرخين محققين في الجملة منهم النجم محمد الغزي (١٠٦١) صاحب الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة وذيله واحمد بن سنان القرماني (١٠١٩) صاحب آثار الدول وعبد الكريم الطاراني (١٠٤١) والحسن البوريني (١٠٢٤) له تراجم الأعيان في ابناء الزمان واحمد الصفوري (١٠٤٣) وابن العماد (عبد الحي) (١٠٨١) صاحب شذرات الذهب المطبوع · ونور الدين بن برهان الدين الحلبي صاحب السيرة الحلبية (١٠٤٤) وتقي الدين التميمي (١٠١٠) صاحب تراجم الحنفية ، واحمد بن محمد الخالدي الصفدي صاحب تاريخ الأمير فخر الدين بن معن ·

وظهر في القرن الثاني عشر محمد امين المحبي (١١١١) صاحب خلاصة الاثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر والدويهي صاحب تاريخ الطائفة المارونية (١١١٦) ومحمد الغزي المؤرخ النسابة (١١٧٦) وعبد الله البصروي (١١٧٠) ومحمد بن عيسى بن كنان (١١٥٣) ومكاريوس الحلبي صاحب الرحلة الى القسطنطينية وبلغاريا وروسيا · وابو المواهب بن ميرو الحلبي (المتوفى قبل المئتين بعد الألف) وابن شاشة (بعد سنة احدى عشرة ومائة وألف) ·

وفي القرن الثالث عشر كان المرادي صاحب سلك الدرر (١٢٣٢) والشدياق (١٢٧٦) صاحب أخبار الأعيان في جبل لبنان ومشاقة والامير حيدر احمد الشهابي (١٢٥١) وكمال الدين الصيادي (١٢٠٩) وكمال الدين الغزي صاحب التذكرة الكمالية (١٢١٤) ونقولا الترك صاحب تاريخ حملة الفرنسيين على مصر والشام ومحمد ارسلان صاحب التاريخ ·

وفي القرن الرابع عشر الأخير قام مؤرخون مختلفة جدا درجات معارفهم ومذاهبهم منهم فانديك وبورتر ولامنس من الغربيين المقيمين في الشام ومنهم أناس من اللبنانيين والدمشقيين والحلبيين والفلسطينيين كرفيق العظم ورشيد الدحداح ويوسف الدبس ونوفل نعمة نوفل وبطرس البستاني واسكندر ابكاريوس وسليم شحادة والجزائري وجرجي زيدان وشيخو والبرغوثي وطوطح والغزي والطباخ ومخلص والصابوني وبني والبيطار والقاسمي والبحري ومعلوف وشقير والزين وألوف وغيرهم .

سيداتي سادتي !

ربما لاحظتم من مجرى هذا الحديث ان معظم من نشأوا من المؤرخين في الاسلام كانوا من أبناء دمشق وممن سكنوا دمشق ، والسبب في ذلك ان مادة التاريخ ، الناس والجماعات والحكومات والمواصلات ، وهذه الامور لا تكون في غير العواصم ، وعاصمة الديار الشامية (دمشق) واذا قلنا الشام فهي البلاد الواقعة بين العريش او رفح ونهر الفرات وشبه جزيرة العرب من الجنوب وهذا مصطلح للعرب ساروا عليه منذ حلت ركابهم في هذا الوطن العزيز .

الاوهام العائرة

(١)

١ — تصدير

الأوهام العائرة هي من قولهم : عارت القصيدة اي سارت بين الناس · والقصيدة هنا للتمثيل والتنظير ، لا للتقييد ولا للحصر · — فالأوهام العائرة هي السائرة بين الناس ، ولا سيما بين حملة اليراع ، وأرباب الصحف والكتب والمجلات ·

وقد ألف كثيرون في هذا الموضوع منذ صدر الاسلام ، بل منذ تأثأته الى هذا العهد · وسوف يكتب بعدنا جماعات في نفس هذا البحث الى ان تقوم الساعة · وآخر من أحسن تثقيف مثل هذا الأود اللغوي الكبير الشيخ ابراهيم اليازجي · ثم جاء بعده من عني بطبع انتقاداته في كراسة قائمة برأسها فعم نفعها ؛ ثم جاء آخر فاختصر عبارتها وزاد عليها من عنده ، فكانت أقواله في بعض المواطن من تلك الكراسة كالرقعة البالية في الثوب الجديد ، وخبط فيها خبط عشواء ، بل خبطاً شنيعاً مدعياً ادعاءات فارغة تضحك الثكلى ، وتبكي الفرحى ، وسماها (مغالط الكتاب ومناهج الصواب) ثم ظهر بعد الاستاذ اليازجي كثيرون من الادباء وانتحلوا انتقاداته غير خجلين من هذه السرقة الدنيئة ، ونشروها بأسمائهم في طائفة من الجرائد والتآليف وهم أصلف من جوزتين في غرارة ·

ونحن ان كنا نعود الى هذا البحث ، فلأننا نريد ان ننبه هنا بعض من يهمهم الأمر على مُعقّد وعُجَر وبُجَر لم يذكرها احد قبلنا · فنقول :

٢ — الملاحظات لا الملحوظات

كنا نقرأ في كتب الادب قولهم : « فلان يلاحظ كذا وكذا في ما يقف عليه مثلاً · وله ملاحظات كثيرة على ما جاء في الكتاب الفلاني » — والآن نقرأ في صحف وكتب جمة قول بعضهم : « فلان يلحظ كذا وكذا في ما يقف

عليه نظره ، وله ملحوظات كثيرة على ماجاء في الكتاب الفلاني » — ونحن لم نعثر على مثل هذا الاستعمال لهذا الفعل عند حذّاق الكتاب وبصراء المؤلفين . والذي ألفناه من استعمالهم انهم يقولون لاحظ و لاحظة ولم نلف من جرى مجرى آخر ، مع ان نقل معنى لحظ الحقيقي الى المعنى المجازي غير محظور . قال في الكليات : « النظر ملاحظة المعلومات الواقعة في ضمن تلك الحركة » (ص ٥٠٥ من طبعة الاستانة) . وقال ابن جني : « ولو لاحظت اول احوالها لكانت قلقلت ... (الخصائص ج ٢ : ٢٥٤) .

٣ — المائة لا القرن ولا الطبق

كنا نستعمل (القرن) بمعنى المائة سنة ، ائتماماً بكثير من كتاب العصر . وقد لاحظنا قبل نحو من سنة او اكثر ، ان استعمال القرن بمعنى المائة سنة غير وارد في كلام فصحائنا الاقدمين ، فهو من أوضاع مولّدينا المتأخرين . أما لغويونا فقد شرحوا القرن بقولهم : « القرن : زمن معين ، او اهل زمن مخصوص . واختار بعض انه حقيقة فيهما . واختلف هل هو من الاقتران ، اي الأمة المقترنة في مدة من الزمان ، من قرن الجبل ، لارتفاع سنهم ، او غير ذلك . واختلفوا في مدة القرن ، وتحديدها ، فقيل : أربعون سنة ، عن ابن الاعرابي ودليله قول الجعدي :

ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المستآ سا

فانه قال هذا وهو ابن مائة وعشرين ، او عشرة [1] ، او عشرون ، او ثلاثون ، او خمسون ، او ستون ، او سبعون ، او ثمانون . نقلها الزجاج في تفسير قوله تعالى : الم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون . والأخير نقله ابن الاعرابي أيضاً . وقالوا : هذا مقدار المتوسط من أعمار اهل الزمان ، او مائة ، او مائة وعشرون . وفي فتح الباري : اختلفوا في تحديد مدة القرن من عشرة [1] الى مائة وعشرين ؛ لكن لم أرَ من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة [1] وما عدا ذلك فقد قال به قائل .

(١) كذا في الاصل ، ولعل الصواب [أو عشر] لأن المقدر [سنوات] وهي مؤنثة .

والاول من القولين الأخيرين اصحّ . وقال ثعلب : هو الاختيار لقوله ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، لغلام بعد ان مسح راسهُ : عِش قرناً ، فعاش مائة سنة . وعبارة المصنف مُوهمة لأن أول الأقوال التي ذكرها هو اربعون سنة . فتأمل . وبالاخير فسر حديث ان الله يبعث على رأس كل قرن لهذه الامة ، من يجدّد أمر دينها ، كما حققه الوليّ الحافظ السيوطي ، رحمه الله تعالى . وقيل : القرن : كل أمة هلكت فلم يبق منها احد ، وبه فسرت الآية المذكورة . وقيل : الوقت من الزمان ، عن ابن الاعرابي » اهـ بحروفه عن التاج .

ولما كان الشك قد طرق معنى القرن ، كان الاقدمون يقولون في مكانه المائة ، من باب الاطلاق . ومنه كلام المؤرخين : جرى هذا الحادث في المائة الاولى ، أو الثانية ، أو الثالثة للهجرة ؛ ولم يقولوا القرن الاول ، أو الثاني ، أو الثالث . ومنه أسماء بعض الكتب : كالدرر الرائعة في شعراء المائة الرابعة ، والدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة ، والحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة لابن الفوطي ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ، والكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة لمحمد بن محمد نجم الدين الغزي العامري الدمشقي . الى مالا يحصى عدّه . وقال الموّلدون مستعملين القرن لمائة سنة : انسان العيون في مشاهير سادس القرون [1] . والضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، والنور السافر في أخبار القرن العاشر ، وخلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر وغيرها .

والذي يظهر لنا ان القرون جمع قرن معرب من اليونانية قرونس *Khronos,ou* أي الزمان ، أو الوقت من الزمان . ولما عرّبوا القرون توهموا ان مفردها (قَرْن) لأن اغلب الجموع الواردة على فُعول يكون مفردها فعلاً بالفتح .

ومن الكتاب من حاول ان يقول في مكان القرن : الطبَق وذلك لأنه قرأ في كتب اللغة : الطبق ، كسبب ، .. القرن من الزمان ، او عشرون

(١) نظن أن هذا العنوان من وضع بعض المتأخرين ترويجاً للكتاب .

سنة ، (القاموس) . لكن الطبق أيضاً معرب من اليونانية ابق *Épokhé* بهذا المعنى عينه . بيد انهُ كيف (ابق) صارت (طبق) ، اي كيف حوّلت الهمزة الى طاء ، ذلك من أسرار اللغة العربية . فقد كان قوم من الناطقين بالضاد يجعلون الطاء في مكان الهمزة ، فقد قالوا : أرّ الدابة أي ساقها ، وأفر الظبي بمعنى وثب ، وأفلتِ الشمسُ بمعنى غابت ، وأزّ الابل اي ساقها ، وألا يألو أي قصر وابطأ . وكان آخرون يقولون بالطاء اي : طرّ الدابة ، وطفر الظبي ، وطفلت الشمس ، وطلّ الابل ، وطلا يطلو . إذن فالأبق والطبق من هذا القبيل .

٤ — فلان بن فلان لا فلانُ فلان

يقول المعاصرون مثلاً : محمد حسن حيدر ، وهم يريدون محمد بن حسن بن حيدر . وذاك لا يجوز في لغتنا ، لأن السلف الخلص في نسبهم والفصحاء في لسانهم لم يقولوه البتة ؛ لأن الاسم المضاف عندهم دون المضاف اليهِ شرفاً وقدراً . فقولهم كتاب الملك مثلاً ، يدل على ان الكتاب دون الملك قدراً وشرفاً . وكذلك بيت الملك ونحو ذلك . وأما الابن في نظرهم ونظر كل عاقل فهو بضعة من أبيه ، فهو في درجة القدر والشرف مساوٍ لأبيه دون أدنى فرق . ولهذا قال الأقدمون : محمد بن عبد الله ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب . ولم يضيفوا أسماءهم الى آبائهم . اما اذا اشتهر الرجل بلقب ، ذكروا اسمه واردفوه بلقبه ، فقالوا مثلاً : عامر ماء السماء ، والمنذر المغرور ، والنعمان الاكبر . او كنوه بالكنية التي اشتهر بها فقالوا : ابو يعفر علقمة ، وابو طالب شيخ الاباطح ، وابو بكر الصديق . وان لم يعرف الاب واشتهرت امهُ نسبوه الى امهِ فقالوا مثلاً : عيسى بن مريم او ابن مريم ، وابن الحنفية[1] ، وابن القوطية ، وابن حنزابة ، الى غيرهم .

أما اضافة أهل هذا العصر اسماءهم الى اسماء آبائهم ، فناشئ من اتصالهم بالترك العثمانيين وذلك ان مشاهير الترك كانوا في الغالب من المماليك ، أخذوا صغاراً ،

(١) [المجمع] لعل الاب المحترم واهم في ما قال لأن أبا ابن الحنفية أشهر من أن يعرف وانما نُسب الى امه ليتميز من أخوانه من ابناء فاطمة عليها السلام وربما كان غيره ممن ذكرهم كذلك .

ولم تُعرف آباؤهم ، فنسبوا الى مالكيهم ، ثم صاروا وزراء او باشوات . فقالوا سليمان باشا عتيق أحمد باشا ، وعليّ آغا مملوك أحمد باشا ، وعبد الله الخزنةدار ، مملوك سليمان باشا الكبير ، الى نظائرهم . ثم تركوا هذه التسمية الطويلة المملة ، واقتصروا على ذكر اسم الشخص نفسه مَرْدُوفًا بلقب شرفٍ ، فقالوا : حسن افندي ، وعمر بك ، وداود باشا ، وهذا هو الاكثر والأشهر ، لا سيما في الايام الاخيرة .

وأما الافرنج ، على اختلاف قومياتهم وعناصرهم ، فانهم يعدّون الأولاد أغصاناً لِدَوْحةِ نسبهم ، فيقولون : سلفستر دساسي Sylvestre de sacy وكوسن دي پرسفال Caussin de perceval وجورج ولهلم فريتغ G. W. Freytag وغستاف فلوغل G. Flügel ور . دوزي R. dozy وادورد لين Ed. lane ، الى غيرهم وليس في هذه الأسماء اضافة البتة .

٥ — الدهن لا الزيت

العرب لم تسمِّ (زيتاً) إلا دهن الزيتون . وسمّوا دُهنَ بِزْرِ الكتان (زيتاً حارّاً) وما عدا ذلك لم يقولوا مثلاً زيت الحجر ، ولا زيت البترول ، بل اطلقوا الدهن على كل مادة جمادية ، او نباتية ، او حيوانية . فمن الأول نقل ابن البيطار البتروليون (أي البترول) الى دهن الحجر . ومن الثاني قول الاطباء وعلماء النبات واللغويين : دهن البان ، ودهن الخردل ، ودهن الزنبق ، ودهن الخروع ، الى مالا يحصى عدّهُ . ومن الثالث قول اللغويين : « تخرّط الطائر : اخذ الدهن من مدهنه بزِمِكّاه » . فقول أصحاب الجرائد : الزيت بمعنى النفط ، او الدهن ، خطأ صريح لا شبهة فيه . فالدهن يقابل الفرنسية Huile ، والزيت Huile D'olive ، والنفط ودهن الحجر يقابل البترول Pétrole .

٦ — النَضَج لا النضوج

ويقول كثيرون من أرباب الصحف والمجلات : النضوج كالجلوس ، وهذا لم يرد على أسلة كاتب فصيح ، انما الوارد هو النَضَج بالتحريك ، لكنّ الكتاب اعتبروا النضوج مصدراً للازم فعدّوا مصدرهُ كمصدر قعد وجلس وبكر ، ولكن

نسوا ان هذه الأفعال وأشباهها مفتوحة العين في الماضي ، ونضج مكسورها ، وما كان من هذا الباب مصدره على فَعَلٍ بالتحريك ، كما قال ابن مالك :

وفَعِلَ اللازم بابُهُ فَعَلْ كفَرَحٍ وكجَوًى وكشَلَلْ

ويقال أيضاً النَضْج بفتح وسكون والنُضْج بضم وسكون ، وهما اسما مصدر . إذن لك أن تقول نَضْج ونُضْج ونَضَج وهذه بالتحريك . لكن لا نُضوج .

٧ – يحاربُ فلاناً لا يُحارب مع فلان

ومن غريب سوء تصرفهم في معاني الألفاظ العربية ، انهم يقولون مثلاً : المانية تحارب الآن مع روسية . وهذا خلاف ما يرمون اليه من المعنى . والصواب ان يقولوا : المانية تحارب روسية . وأما قولهم مع روسية ، فمعناه ان المانية قد صادقت روسية وهي الآن تحارب مع صديقتها هذه عدواً لها . ولهذا يقال : المانية تحارب مع ايطالية ، روسية او دولة الروس . وكذلك لا يقال : المانية هي في حرب مع روسية بل المانية في حرب لروسية واما المانية في حرب مع روسية فهذا كلام معناه ان المانية متفقة مع روسية لتحارب دولة أخرى هي عدوتها .

٨ – دولة كذا وكذا ، لا دولتا كذا وكذا ، ولا ما أشبه هذا التعبير

شاع اليوم بين الكتاب قولهم مثلاً : « ذكرت « دولتا » المانية وايطالية ، ان في « شهرَي » شباط وآذار ، يعقد في « مدينتي » برلين وروما ، مؤتمر يذكر فيه « قانونا سنتي » كذا وكذا » الى ما أشبه هذا التعبير المولد الممقوت ، اي انهم يثنون المضاف لورود متضمنين مفرقين بعده . وهذا لم يقرّهُ الاقدمون ، ولم ينطق به الفصحاء ، ولا البلغاء ، بل يبقون المضاف مفرداً في جميع هذه التراكيب وأمثالها ، كما قال الحذّاق من السلف في عصر العباسيين : جزيرة الرجال وجزيرة النساء ، وقال الصرفيون اسم المكان والزمان ، وظرف الزمان والمكان . ولم يقولوا : جزيرتا الرجال والنساء ، ولا اسما المكان والزمان ، ولا ظرفا الزمان والمكان . وفي سورة المائدة : « على لسان داود وعيسى بن مريم » ولم يرد « على

لساني داود وعيسى بن مريم » . واما اذا ثنيت المضاف فهذا معناه ان للمضاف المثنى مضافين اليه لا مضافاً اليه واحداً . فقولك كتابا الملك والأمير معناه ان للملك كتابين وللامير كتابين ، وأنت لا تريد هذا .

٩ — أيضاً فصيحة ولم تأتِ « كذلك » بمعناها

أخذ بعض الكتاب منذ نحو خمسين سنة يتحاشون عن قولهم « أيضاً » اعتقاداً منهم ان هذه الكلمة اعجمية الأصل ، ولم يستعملها فصحاء الكتاب في كلامهم ، وانّ أعجميتها هي *Item* ، وأما عربيتها فهي « كذلك » — قلنا : وهذا في منتهى الغرابة . لأن معنى الواحدة غير معنى الآخرة . فمعنى « أيضاً » : عَوْداً وتكراراً ، اوما أشبه هذا المعنى . والكلمة مفعول مطلق لفعل « آض يئيض » اي عاد يعود عوداً . قال في الكليات : « أيضاً ، مصدر آض ، ولا يستعمل الا مع شيئين بينهما توافق ، ويمكن استغناء كل منهما عن الآخر ؛ فخرج نحو جاءني زيد أيضاً ؛ وجاء فلان ومات أيضاً ؛ واختصم زيد وعمرو أيضاً ؛ فلا يقال شيء من ذلك . وهو مفعول مطلق حذف عامله وجوباً سماعاً ؛ كما نقل ومعناه : عاد هذا عوداً على الحيثية المذكورة ؛ او حال من ضمير المتكلم ، حذف عاملها وصاحبها ، اي أخبر أيضاً ، او أحكي أيضاً ، اي راجعاً . وهذا هو الذي يستمر في جميع المواضع » اهـ بحروفه . (وقد نقل هذه العباره بطولها وعرضها صاحب محيط المحيط بتصرف قليل ، ولم يشر الى مأخذه . وكذلك نقلها ابن عابدين في رسالته الفوائد العجيبة في اعراب الكلمات الغريبة في ص ٤ ولم يشر الى هذا المصدر نفسه) .

فأين هذا التعليل الفلسفي ، المنطقي ، النحوي ، من قول الأديب المصري انه معرب من اللاتينية ؟ وقد وردت الكلمة عشرات لا تحصى في كلام الجاحظ وهو من أقدم الكتاب ، وأفصحهم ، وأبلغهم . وُلد في سنة ١٦٣ للهجرة وتوفي سنة ٢٥٥ . (راجع مثلاً الجزء الأول من كتاب الحيوان . البابي . ص ٥٠ ، ٧٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٣٥ ، ١٥٨ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،

٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ الى غيرها . وزد على هذا ان معنى (كذلك) مثل ذلك ، لا أيضاً . فكيف تقوم الواحدة مقام الأخرى في معناها[1].

ثم لو اجتمعت (أيضاً) و (كذلك) في عبارة واحدة — وهذا ما يدل على أن معنى الكلمة الواحدة غير معنى الكلمة الثانية — فكيف تُنزَع (أيضاً) من مكانها وكيف يوضع في محلها كلمة أخرى . فقد جاء مثلاً في كتاب الحيوان المذكور (١ : ١١٥) هذه العبارة : « وقد توجد المرأة ذاتَ لحية ، وقد رأيتُ « ذلك » واكثر ما رأيته في عجائز الدهاقين ، و « كذلك » الغبب والشارب ، وقد رأيتُ « ذلك أيضاً » . فهذه الكلمات الثلاث لا تقوم الواحدة مقام الأخرى . وجاء في كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، وقد ألفه سنة ٣٩٥ للهجرة ، فذكر في ص ٢٢٥ من طبع القاهرة هذه العبارة : « والدهر « ايضاً » لا يكون إلا ساعات قليلة ، ويكون الحين « كذلك » انتهى .

وقد استعمل الجاحظ « كذلك » عشرات لا تحصى لمعنى كذلك راجع مثلاً كتاب الحيوان . البابي ١ : ٢١ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٩١ الى آخر ما هناك فهل يقال بعد هذا ان (أيضاً) غير عربية ، وان عربيتها (كذلك) ؟

يتبع : الاب انستاس ماري الكرملي

---

(١) قال الأديب المصري في ما قرأناه قبل نحو أربعين سنة أن الفعل آض أيضاً لم يرد في الآيات القرآنية .

قلنا : هذا صحيح لكنه وردَ في حديث الكسوف في قوله : [حتى آضت الشمس ، أي رجعت. يقال : آض يئيض أيضاً ، أي صار ورجع] (النهاية لابن الاثير) . وقد وردت أيضاً على يراعة سيبويه ، (المتوفى سنة ١٨٠ للهجرة) وهو تلميذ الخليل بن أحمد ، مراراً لا تحصى في كتابه من ذلك في ١ : ٤١١ من طبعة مصر : [ومن ذلك (أيضاً) قولك : إن تأتني ، إذن آتك] وفي ١ : ٤٨٢ : [ومن هذا (أيضاً) انه قد كثر في كلامهم حتى حذفوا فيه (إنه) و (إنه) لا تحذف في غير ذا] انتهى . ولا نريد أن نمعن في ذكر الشواهد ، إذ هذا من باب تحصيل الحاصل ، وليس هناك جدوى أكثر مما ذكرنا .

بقايا الفِصاح

أعني ببقايا الفصاح طائفة من الألفاظ التي استفاضت في العامة وأصلها فصيح، الا انها مع تعاقب السنين عليها تباعد عنها فريق من الكتاب فذهب وهمنا الى انها عامية، ولهذه الألفاظ على ما أعتقد قوة غريبة في حياتها، فقد خلفها الماضي وتداولتها العامة، فلم تفقد شيئاً من حياتها، على الرغم من اختلاطها بألفاظ أعجمية انحدرت اليها من الأمم التي انبسط سلطانها على هذه البلاد او على بلاد العرب عامة، ففي كل بلد من بلاد العرب طوائف من هذه الألفاظ، ولكل طائفة منها حياة قوية، ولقد عنيت بها من سنين فاجتمع لي مقدار منها أرجع اليه من حين الى آخر فتنطوي لي أحقاب بعيدة، فأرى في تضاعيف هذه الالفاظ حياة بلد بأجمعه، اذ أنها تفصح لي عن ناحية من نواحي الاجتماع او الاقتصاد او عن معنى من المعاني النفسية أو المادية او غير هذا كله، ولهذه الألفاظ في الادب منزلة رفيعة، وسلطان قوي لصلتها بالعامة على تراخي السنين، ولامتزاجها بألسنتهم، واذا لزمنا ان نخاطب الناس على قدر عقولهم حتى يكون لكلامنا تأثير في هذه العقول، فيلزمنا ان نخاطب العامة بألفاظهم التي يأنسون بها، فالكلمة التي تأنس بها تعمل في قلبك أو في عقلك أو في نفسك غير العمل الذي يعمله ما تستوحش منه من الكلام، وقد كان سيد الكتاب أي الجاحظ تغلغل الى روح العامة، فمال الى مصطلحاتهم وانبسط الى تعابيرهم، فما كان ينقبض عن استعمال ألفاظهم في اضعاف كتاباته، كالمخطراني والكاغاني والبانوان والقرمي والمشعب وما شاكلها، ولقد ذهب مذهباً أبعد، فما كان يستنكر الحكاية عن بعض الناس بقول ملحون، فانه يرى ان الإعراب يفسد نوادر المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الأعراب، وكان يقول اذا دخلت على هذا الأمر الذي انما أضحك بسخفه وبعض كلام العجمية التي فيها حروف الإعراب والتخفيف والتثقيل وحولته الى صورة الفاظ الأعراب الفصحاء وأهل

المروءة والنجابة انقلب المعنى مع انقلاب لفظه وتبدلت صورته ، وقال في مقام آخر : وان وجدتم في هذا الكتاب لحناً او كلاماً غير معرب ولفظاً معدولاً عن جهته فاعلموا انا انما تركنا ذلك لأن الإعراب يبغض هذا الباب ويخرجه عن حده ، الا ان احكي كلاماً من كلام متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء ، كسهل بن هارون وأشباهه .

على أنني لم استشهد بكلام الجاحظ للتحريض على استعمال الألفاظ العامية او على الخروج على قواعد الإعراب في بعض المواضع فما يجوز للجاحظ لا يجوز لي ولا لغيري في هذا الباب فهو سيد اللغة بجذافيرها ، لا تفلت منه لفظة منها ، وانما مدار كلامي على إحياء طائفة من الألفاظ العامية التي لها اصل فصيح ، فها أنا أورد في مقالي هذا فريقاً من بقايا الفصاح التي تدل على بعض معانٍ اجتماعية او اقتصادية أو مادية أو نفسية ، أو غير ذلك ، وأقتصر على ذكر يسير منها لأن المقام لا يتسع لذكرها كلها ، وقد حافظ قسم من هذه الألفاظ على معناه الأول ، فلم ينشأ تفاوت في المعنيين : اللغوي والعامي ، وقسم منها عدّل بعض التعديل ولكن النسبة بين المعنيين مستحكمة على الرغم من هذا التعديل .

* * *

من هذه الألفاظ ما يفصح عن معنى من معاني الاجتماع ، فمن الألفاظ الدمشقية قولنا : فتّكتْ فلانة ، بالتشديد ، فقد كانت سيدات دمشق لسنين خلت يسهرن في دورهنّ ، ويجتمع بعضهن الى بعض في هذه السهرات ، فيلعبن لعبات مختلفة كلعبة الترزيز مثلاً او تغني احداهنّ اذا كانت حسنة الغناء ، أو تُضحك رفيقاتها اذا كانت خفيفة الروح ، فاذا كانت هذه الخفيفة قد أضحكت أهل الدار حتى بالغت في اضحاكهنّ قالت رفيقاتها بعد انفضاض المجلس : ان فلانة فتّكت البارحة .

وفي القاموس المحيط للعلامة الفيروزابادي ، وعليه اعتمدت في شرح بقايا الفصاح :

فنكت الجارية ، مجنت ، فأنت ترى أن أصل هذه المادة فصيح ، اوردها الفيروزابادي مخففة ، واستعملت في دمشق بالتشديد ، وبين المعنيين ، اللغوي والعامي نسبة واحدة ، فلا فرق بين معناها اللغوي ومعناها العامي ، ولست أعلم كلمة تعمل عملها في هذا الباب ، فانها خصبة الدلالة ، شديدة التأثير ، ولو خيرت بين استعمال هذه المادة وبين استعمال أخواتها الدالة على معناها لما فضلت عليها واحدة منها ، لشدة حياتها ، وعظم وقعها ، وقد تخرج في بعض الأوقات من الحقيقة الى المجاز ، فيقولون : فنك هذا الشتاء ، أي اشتد .

ومن بقايا الفصاح الدالة على نمط من انماط اللعب قولهم في دمشق : فلان لعبه جماش ، فهذه المادة كنا نستعملها في مدارسنا من ثلاثين سنة للدلالة على تلميذ يلاعب رفيقه فيغلظ له في الملاعبة ، فقد يركله مثلاً ، أو يعضه ، او يهشم له عظماً الى غير هذا من انواع اللعب الغليظ .

فمن معاني هذه المادة في القاموس المحيط : الملاعبة ، فالجمش الملاعبة كالتجميش ، ورجل جمّاش متعرض للنساء كأنه يطلب الركب الجميش ، فلم يورد الفيروزابادي : لعبًا جماشًا ، وانما أورد المصدر الثلاثي الجمش ، وبين المعنيين نسبة قوية ، فالجمش في اللغة الملاعبة ، وهذا هو معناها عند العامة ، الا ان العامة وضحت طرز هذه الملاعبة وخصصته ، فهي ملاعبة شديدة ، غليظة والأصل اللغوي ليس فيه هذا التمييز ، وفي كل حال المادة واحدة ، ولكنها عدّل معناها هذا التعديل .

ومن بقايا الفصاح ما يدل على معانٍ نفسية مثل قول العامة : نغش له قلبي ، اي انبسط اليه وأنس به .

وفي القاموس المحيط : وهو ينغش اليه ، اي يميل ، فهذه مادة لم تفقد شيئاً من صلتها بأصلها اللغوي ، فما زالت على معناها الأول ، دون أن يدخل عليها شيء من التعديل .

ومن هذه الألفاظ ما يدل على معان اقتصادية مثل قول العامة : فلان يعزق

مال أبيه ، او فلانة بعزقت السمن في الطبخ ، وفي الأصل اللغوي : بعزق الشيء أي فرّقه وبدّده .

فهذه المادة حافظت أيضاً على أصل وضعها .

ومن بقايا الفصاح ما يدل على معانٍ مختلفة ، ومذاهب شتى ، مثل قولنا : فرتكها فلان ، أي أفسدها والضمير يرجع الى خطةٍ او الى سياسةٍ أو الى غير هذا ، وفي الأصل اللغوي : فرتك عمله أي أفسده .

فلم يتغير شيء من معنى هذه المادة في أصلها .

ومن كلام العامة في دمشق : المطمطة ، فاذا كان لوالدٍ ولد وترك هذا الولد داره في الليل أو في النهار ، وعاد في منتصف الليل مثلاً فيقول له أهله : أين كنت تعطعط ، على سبيل التوبيخ ، ومن معاني العطعطة في اللغة حكاية صوت المجّان اذا قالوا : عيط ، عيط ، وذلك اذا غلبوا قوماً .

فهنا لم تحافظ العطعطة على معناها اللغوي ، وانما تباعد المعنيان بعض التباعد ، ولكن على الرغم من هذا التباعد قد يكون معنى أصلها العامي نظير معنى أصلها اللغوي ، ثم دخل هذا المعنى تحريف على السنين فضاع الأصل اللغوي وبقي الأصل العامي .

ومن بقايا الفصاح ما يدل على لون من الألوان ، فمن كلام العامة : باخ الثوب ، وهم يريدون بذلك : ذهب بريقه ، وفي اللغة : باخت النار أي سكنت ، فالمعنيان متقاربان ، الا ان العامة عدلت عن حقيقة معنى هذه المادة الى المجاز فيها ، فالنسبة بين ذهاب بريق الثوب وبين ذهاب لهيب النار واحدة ، وقد وردت هذه المادة في شعر نهشل بن حرى :

ويوم كأن المصطلين بحرّه وان لم تكن نار وقوف على جمر
صبرنا لها حتى تبوخ وانما تفرج ايام الكريهة بالصبر

وقد رأيت قبل أن اختم هذا الاستشهاد ان أذكر مادةً عريقة في العامية وهي :

العراضة ، والمقصود بها اجتماع فريق من العامة في يوم عرس ، أو في يوم فرح ، أو في يوم عيد ، أو في أيام انقلاب سياسي ، كالانقلاب الذي جرى في دمشق سنة ١٩٠٨ ، ثم جولان هذه العامة في البلد ، يهزجون فيه وأمامهم وصاف يصف وهم يرددون ما يصف ، وفي أيديهم سيوف او خناجر أو عصي او ماشابه ذلك ، وقد كان هذا النوع من الاحتشاد فاشياً في دمشق ، ثم قلّ وُبدِّل بنوع آخر وهو المظاهرة .

ومن معاني العُراضة في اللغة : الهدية وما يحمل الى الأهل وما يعرِّضه المائر أي يطعمه من الميرة ، وجاء في الأغاني في كلام لصاحبه على ابن هرمة ان السري أمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه ومائة دينار يتجهز بها ومائة دينار يعرض بها أهله ، وقد فسر صاحب الأغاني قوله : يعرض بها أهله على هذا الوجه : يهدي لهم بها هدية ، والعراضة الهدية ، قال الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك :

كانت عراضتك التي عرضتنا يوم المدينة زكمة وسعالا

فهنا قد ضاعت النسبة بين العَراضة العامية ، بفتح العين ، وبين العُراضة اللغوية بضمها ، واتسع مجال التأويل فهل أصل هذه العراضات الدمشقية اجتماع فريق من الناس لتقديم هدية في عرس أو ماشاكل ذلك ؟

* * *

هذا آخر ما أحببت أن استشهد به من بقايا الفصاح ، على كثرة ما عثرت عليه من هذه البقايا ، ورغبتي في جمع هذه المواد التنبيه على قوة حياتها ، فالكلمات على نحو ماقال « اناتول فرانس » انما هي أفكار ، ولاسبيل الى الاصابة في الحكم الا بالتمكن من النحو والمفردات الصحيحة ، والشعب الأول في العالم هو الشعب الذي يملك أحسن الأصول في النحو وتنسيق اللفظ ، فقد يقع في أغلب الحالات ان الرجال يتناحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض لتعانقوا ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم يفضي ظلمة كل شيء !

شفيق جبري

الطِرِمّاح بن حكيم الطائي

(٢)

هجاؤه

الهجاء والفخر هما الفنان اللذان زخر بحرهما وتفنن الشعراء بهما في العصر الأموي ، وذلك لتيقظ روح العصبية بين القبائل ولاختلاف المذاهب السياسية . وهجاء الطرماح من لاذع فيه تهكم وسخرية وألمعية من غير فحش او اقذاع الا على الندرة . وهو في الهجاء اكثر لباقة وأوسع تصرفاً وأسلس لغة واحكم قافية وابرع تفنناً منه في جميع أبواب شعره . روى صاحب الأغاني بسنده عن الفضل قال : « اذا ركب الطرماح الهجاء فكأنما يوحى اليه ثم أنشد له قوله :

لو حان ورد تميم ثم قيل لها حوض النبي عليه الأزد لم تردِ

او انزل الله وحياً أن يعذبها إن لم تعد لقتال الأزد لم تعد

لا عزّ نصر امرئٍ أضحى له فرس على تميم يريد النصر من أحد

لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو اسد »

والغريب انه في غزله اكثر منه جداً في هجائه . وشعر الطرماح المشتمل على كثير من غريب اللغة وعويصها يكاد يخلو منها اذا كان هجاء كأنه أراد بذلك تقريبه من فهم الناس كلهم ليسهل حفظه وتعم روايته . ولقد مزّق بهجائه بني تميم — على كثرة شعرائها — تمزيقاً . وهجاؤه وفخره أجود ما قال من الشعر وهو فيهما اكثر براعة واحساناً وحسن تصرف منه في جميع ابواب شعره .

* * *

وأثر الدين واضح جلي في طائفة من شعره منها قوله : (١)

كل حي مستكمل عدة العمـ ـر ومودٍ اذا انقضى عدده

عجباً ما عجبت للجامع المـا ل يباهي به ويرتفده

(١) ديوان الطرماح ص ١١٢

ويضيع الذي يصيره الله اليه فليس يعتقده
يومَ لا ينفع المخوَّلَ ذا الثر وة خلاَّنه ولا ولده
يومَ يؤتى به وخصماه وسط الـ جن والانس رجله ويده
خاشع الصوت ليس ينفعه ثَمَّ امانيُّه ولا لدده

لغته

الطرماح من اكثر الشعراء الاسلاميين تتبعاً لغريب اللغة وعويصها ، ولغته في قسم كبير من شعره اشبه بلغة الرجّاز الذين كانوا يباهون بالغرابة مثل العجاج وابنه رؤبة وابي النجم . قال محمد بن حبيب : « سألت ابن الاعرابي عن ثماني عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف منها واحدة يقول في جميعها لا أدري لا أدري » .

ولعل السبب في ذلك ان الطرماح لم يكن بدوياً بل أخذ اللغة على سبيل الطلب والتلقي واشتغل بالتعليم زد على ذلك ان رواة الادب واللغة وقتئذ كان يعجبهم هذا النوع من الغريب يستشهدون به ويدونونه . فكأنه اراد ان يدل بسعة معرفته بلغة العرب وغريبها ، فجمع في كل قصيدة من غريب اللغة مالا تكاد تراه في ديوان ليتدارسه الطلاب ويستشهد به الرواة .

ولقد كان يسئل عن معاني شعره في مجالس اهل الادب ويحتج علماء اللغة به ويتحنون معرفتهم بمفرداته . وابياته المثبوتة في المعاجم اللغوية كأساس البلاغة للزمخشري والقاموس للفيروزابادي ولسان العرب لابن منظور كثيرة . وذلك بالرغم من حملة الاصمعي عليه فقد كان لا يحتج به ولا بصاحبه الكميت ويقول : « الكميت تعلم النحو وليس بحجة وكذلك الطرماح وكانا يقولان ماقد سمعاه ولا يفهمانه » .

ولقد اغرق الطرماح في تتبع الغريب واستعماله وسأل عنه وتكلفه قال العجاج : « كان الكميت والطرماح يسألاني عن الغريب فأخبرهما به ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير موضعه فقيل له ولم ذلك قال لأنهما قرويان يصفان مالم

يريا فيضعانه في غير موضعه وانا بدوي اصف ما رأيت فأضعه في مواضعه [١]».
بل زعم بعضهم ان الطرماح كان يجمع الفاظاً نبطية ويقيدها ثم يعربها ويستعملها في شعره حباً بالاغراب. قال الأصمعي: «ذكر الطرماح عند ابي عمرو بن العلاء فقال رأيته بسواد الكوفة يكتب الفاظ النبيط فقلت ما تصنع بهذه قال أعربها وادخلها في شعري» [٢].

ولكن الذي ينبغي التنبيه اليه ان الطرماح لا يتكلف الغريب في كل شعره وانما في قسم منه تعلق اغراضه بالشاعر نفسه ولا تعداه الى سواه فترى القصيدة تشتمل على غزل ووصف وفخر وآراء خاصة لا علاقة لها بممدوح يصعب عليه فهمها او مهجو يأمن سيرورتها لغرابة لغتها وهذا القسم من شعر الطرماح أشبه بالمقامات التي عني أصحابها بجمع الفصح والشوارد وجعلوها لطلاب الادب والخاصة دون العامة.
وهكذا نرى رواة الادب واللغة عنوا بهذا النوع من شعر الطرماح اكثر من غيره ولا يبعد ان يكون هو نفسه كان يرويه تلامذته لأنه اشتغل بالتعليم.

وهناك قسم آخر من شعر الطرماح لا تفرق لغته عن لغة الشعراء المعاصرين له كالفرزدق وجرير واكثره في الهجاء والفخر وبعضه في المدح والرثاء تغلب عليه الجزالة من غير اغراب ولا يحتاج القارئ في تفهمه لاكثر مما يحتاجه في تفهم غيره من الشعر في العصر الأموي. واغراض هذا القسم من شعر الطرماح تستدعي عدم التعمق والاغراب لأن الهجاء اذا لم تكن لغته سائغة لا يسير بين الناس ولا ترويه العامة، والمدح بالعويص والحوشي أشبه بالتهكم والسخرية وكذلك الرثاء والفخر.

وقبل ان انتهي من الكلام على لغة الطرماح أريد ان أدل على بعض كلمات من لغة طيء وردت في شعره ولا غرابة في ذلك فهو طائي. من ذلك قوله:

كجبة الساج لجا بابها صبح جلا خضرة أهدابها [٣]

لجا بابه اذا فتحه بلغة طيء. وقوله:

(١) الاغاني ج ٢ ص ١٧ (٢) الموشح للمرزباني ص ٢٠٨ (٣) ديوان الطرماح ص ١٦٢

قد اخضلّ منها كل بالٍ وعيّنٍ وجفّ الروايا بالملا المتباطن[1]

العيّن والعيّن الجديد في لغة طيّ . وقوله :

وغدا اذ بدت له الشمس يجتا ب كثيبا أخلى له عقدُه[2]

أُخلى له اي أخليَ له وهي لغة طيّ .

ديوان الطرماح

في سنة ١٩٢٧ ميلادية تم طبع ديوان طفيل الغنوي وديوان الطرماح بن حكيم الطائي[3] في مجلد واحد بعناية المستشرق الفاضل الاستاذ ف . كرنكو عن النسخة المكتوبة في الأندلس سنة ٤٣٠ هجرية والمحفوظة في المتحف البريطاني في القسم الشرقي رقم ٦٧٧١ .

ويقول الاستاذ كرنكو ان نسخة الديوان المخطوطة المشتملة على شعر الطرماح وشرحه غير تامة وغير مذكور فيها اسم جامع الديوان ولكنه يظن انه الطوسي احد من جمع شعر الطرماح . ولذلك فان الاستاذ كرنكو اردف الديوان بذيل جمع فيه ماعثر عليه من شعر الطرماح في كتب الادب واللغة والتاريخ . ثم بعد ان تم طبع الأصل والذيل عثر ايضاً على أشياء أخر من شعره في نسخة مخطوطة من كتاب معاني الشعر لابن قتيبة وغيره فألحقها بالذيل . وقد ترجم الديوانيين الى اللغة الانكليزية وجعل لهما مقدمة وفهارس للقصائد والمقطوعات والاعلام والمراجع ومعجما لمفردات الديوانين مع ترجمة المفردات الى اللغة الانكليزية بعناية وجهد وتدقيق تنم على علم وفضل وبراعة .

وهاك وصفاً موجزاً لقصائد ديوان الطرماح واغراضها :

القصيدة الأولى ومطلعها :

الا أيها الليل الذي طال أصبحِ ببمّ وما الإصباح فيك بأروحِ

نظمها في بم من بلاد كرمان بفارس وفيها حنين الى وطنه وتشوق الى زوجه سلمى وولده

(١) الديوان ص ١٦٨ (٢) الديوان ص ١٣٢ (٣) انظر مجلة المجمع م ١٦ ص ٤٦

صمصامة ووصف للفلاة والذئب والناقة والقطا وفيها فخر . ومن ابدع ما فيها عاطفته نحو زوجه وولده وخوفه من ان يموت بعيداً عنها فتتزوج سلى غيره فيسيء معاملة ابنه صمصامة . ولهذه القصيدة ملحقتان عثر عليهما الاستاذ كرنكو فأثبتهما في آخر الديوان . وعدد ابيات هذه القصيدة عدا الملحقين أربعة وخمسون بيتاً .

القصيدة الثانية ومطلعها :

قلّ في شط نهروان اغتماضي ودعاني هوى العيون المراض

وهي احدى القصائد المعروفة بالملحمات مذكورة في كتاب جمهرة اشعار العرب . وعدد أبياتها في الديوان ثلاثة وأربعون بيتاً وفيها كثير من غريب اللغة . وقد ذكر فيها الشاعر النهروان وتذكر أيام الصبا ثم قال انه تاب وأناب ووصف الفلاة والفخر .

القصيدة الثالثة وأولها ساقط من الديوان وما بقي منها اربعة وثلاثون بيتاً تبتديءُ بهذا البيت :

يمسي بمقوتها المجثّ كأنه حبشي حازقة غدا يتهدّدُ

ولكن ناشر الديوان عثر على ملحقين لهذه القصيدة اثبتهما في آخر الديوان . وفي القصيدة تلهف على الظاعنين ووصف الفلاة وما فيها من خشاش ونعام مع وصف ثور الوحش وصفاً حسناً ومطاردة الكلاب له ويختمها بالفخر وهي أقل غريباً من القصيدة الثانية الضادية .

القصيدة الرابعة ومطلعها :

شت شعبُ الحي بعد التئامْ وشجاك اليومَ ربعُ المقامْ

يفتتحها كما ترى بالتلهف على الراحلين وما تثيره منازلهم بعدهم من الحزن ويأتي فيها على ذكر الاطلال والدمن ويصف الظبي وامه كما يصف سفر النساء على الابل ويذكر محاسنهن ويصف الفلاة وما فيها من وحش وطير ثم يصف الناقة ويشبهها بثور الوحش ثم يسترسل بوصف هذا الثور وكيف لحقته الكلاب ثم يشبه ناقته بأتان وحشية ويسترسل بوصفها ووصف الصياد وعدد أبيات هذه القصيدة تسعة وسبعون بيتاً .

القصيدة الخامسة ومطلعها :

طال في رسم مهدد أبده وعفا واستوى به بلده

يفتتح بالوقوف على الطلل ثم يتخلص الى نظرات في الزمان فيها حكمة وعظة متأثرتان بالاسلام ثم يفتخر بالكرم والمقامرة ثم يذكر سفر أحبابه على الابل في الفلاة وان محبوبته من أهل الحضر لا من البدو (ص١١٦) ثم يصف الناقة ويشبهها بالنعام ويسترسل بوصف النعام ثم يصف ثور الوحش وكيف هاجته الكلاب وفيها كثير من غريب اللغة وعدد ابياتها خمسة وسبعون بيتاً ٠

القصيدة السادسة ومطلعها :

الا من لعين لا تجف سجومها تأوبها حاجاتها وهمومها

يفتتحها بالغزل ويتخلص الى الهجاء ولكن القصيدة غير تامة لم يبق منها الا احد عشر بيتاً ٠

القصيدة السابعة ومطلعها :

لمن ديار بهذا الجزع من ربب بين الأحزة من حوبان فالكثب

يفتتح بذكر الاطلال ثم يفتخر وعدد أبياتها خمسة وعشرون بيتاً

القصيدة الثامنة ومطلعها :

الا ان سلمى عن هوانا تسلت وبتت قوى ما بيننا وأدلت

يفتتح بالغزل ولا يعتم ان يتخلص الى الفخر ويهجو الفرزدق ويدل بقحطانيته وشآميته وهي من أحسن الشعر وعدد ابياتها ستة وثلاثون بيتاً وبها ينتهي الديوان في النسخة المخطوطة سنة ٤٣٠

ثم يأتي الذيل الذي جمعه الناشر وفيه طائفة صالحة من شعر الطرماح بعضها تكملة لما سقط من قصائد الديوان وبعضها قطع مستقلة تدخل في نحو من خمس وستين صفحة كبيرة ويلفت النظر في الذيل قصيدة يمدح في بعض أبياتها يزيد بن المهلب مطلعها :

قفا نسل الدمن الماصحه وهل في ان سئلت باتحه

فيها ذكر الطلل ووصف ثور الوحش وفيها كثير من الغريب ص ١٣٧ .

وأهم الاغراض التي في الذيل ما يأتي : فخره بقحطان ص ١٤٧ ما يدل على مذهبه ص ١٤٩ وص ١٥٧ وصف النخل ص ١٠٢ شجاعته ص ١٥٥ مدحه ليزيد بن المهلب ص ١٥٩ وص ١٦٢ اقذاعه في الهجاء ص ١٦١ رثاؤه الحسن ص ١٦١ اسفره الى فارس ص ١٧٤ و ص ١٧٥ فخره باليمن ص ١٧٥ اثر الاسلام ص ١٧٦ هجاؤه الموجع ص ١٩١ و ص ١٩٤ .

* * *

أمثلة من شعره

قال الطرماح يفتخر

لقد زادني حباً لنفسي انني بغيضٌ الى كل امرئٍ غير طائلِ
واني شقي باللئام ولا ترى شقياً بهم الا كريم الشمائل
اذا ما رآني قطع الطرفَ دونه ودوني فعلَ العارف المتجاهل
ملأتُ عليه الأرض حتى كأنها من الضيق في عينيه كفة حابل
أكلُ امرئٍ الفى اباه مقصراً معادٍ لأهل المكرمات الأوائل
اذا ذكرت مسعاة والده اضطنى ولا يضطني من شتم أهل الفضائل
وما منعت دار ولا عزَّ أهلها من الناس الا بالقنا والقنابل

وقال يرثي :

ولو ان غير الموت لاقى عذبّاً وجدك لم يسطع له ابداً هضما
فتى لو يصاغ الموت صيغ كمثله اذا الخيل جالت في تساجلها قدما
ولو ان موتا كان سالم رهبةً من الناس انسانا لكان له سلما

وقال يفتخر :

لولا فوارس مَذْحج ابنة مذحج والأزد زعزع واستبيح العسكرُ

وتقطعت بهم البلاد ولم يؤب منهم الى اهل العراق مخبر
واستضلعت عقد الجماعة وازدُري امر الخليفة واستحل المنكر
قوم هم قتلوا قتيبة عنوةً والخيل جانحة عليها العثير
بالمرج مرج الصين حيث تبينت مضرُ العراق مَن الأعز الاكبر
قحطان تضرب رأس كل مدجج تحمي بصائرهن اذ لا تبصر
والأزد تعلم ان تحت لوائها ملكاً قُراسية وموت احمر
فبعزنا نصر النبي محمد وبنا تثبت في دمشق المنبر

وقال يهجو الفرزدق :

بأي بلاد تطلب العز بعدما بمولدها هانت تميم وذلت
اقرت تميم لابن دحمة حكمه وكانت اذا سيمت هواناً اقرت
وكانت تميم وسط قحطان اذ سمت كمقذوفة في اليم ليلاً فضلت
ونجاك من اسد العراق كتائب لقحطان اهل الشام يوم استهلت
بهم ينصر الله الخليفة كلما رأوا نعل صنديد عن الحق زلت
بهم نصر الله النبي واثبتت عرى عقد الاسلام حتى استمرت
افخراً تميمياً اذا فتنة خبت ولؤماً اذا ما المشرفية سلت
ولو خرج الدجال ينشد دينه لزافت تميم حوله واحزألت
فراش ضلال بالعراق وحسوة اذا مات ميت من قريش أهلت
فأين تميم يوم تخطر بالقنا كتائبُ منا أظعنت وأحلت
فخرت بيوم العقر شرقي بابل وقد جبنت فيه تميم وقلت
فخرت بيوم لم يكن لك فخره وقد نهلت منك الرماح وعلت
كفخر الإماء الرائحات عشية برقم حدوج الحي حين استقلت
فما لقيت قتلى تميم شهادة ولا صبرت للحرب حين اشمعلت
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى جلال المخازي عن تميم تجلت

وقال أيضاً :

تميم تمنى الحرب مالم تلاقها وهم قصف العيدان في الحرب خورُها
وتلقى تميماً شيخها عند بابها ذليلاً ويُغذى بالهوان صغيرها
ولو كان يبكي القبر من لؤم حشره بكت من تميم كل يوم قبورها

وقال :

ومـا خلقت تيم وزيد مَناتها وضبةُ الا بعد خلق القبائل
عراقيب ضم الذل واللؤم بينهم كما انضم شخص ... المتضائل
وتوعدني الأقيان من آل دارم بكل لئيم من معد وخامل
ومن يلتمس في طيء نزرة له تكن كالثريا من يد المتناول

وقال يهجو الفرزدق :

لاعزّ نصر امريءٍ امسى له فرس على تميم يريد النصر من احدِ
اذا دعا بشعار الازد نفرهم كما ينفر صوتُ الليث بالنقد
لو حان ورد تيم ثم قيل لها حوضُ الرسول عليه الازد لم ترد
او نزّل الله وحياً ان يعذبها ان لم تعد لقتال الأزد لم تعد
وكل لؤم اباد الدهر اثلته ولؤم ضبة لم ينقص ولم يبد
لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو اسد
قوم اقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه جذمة الوتد
لا تأمننّ تميمياً على جسد قد مات ما لم تزايل أعظم الجسد

ويعجبني كثيراً قوله معللاً راحة المهموم في الصبح :

الا أيها الليل الذي طال أصبح بيم ومـا الاصباح فيك بأروح
على ان للعينين في الصبح راحة بطرحها طرفيها كلّ مطرح

انتهى

خليل مردم بك

صفحات مطوية

من مخطوطات خزانة كتبي كتاب «في فضل الجهاد وما يجب مراعاته على الملوك والعلماء وغيرهم» تأليف محمد بن احمد بن محمد المجاور بمكة المشرفة سابقاً كما يقول وسأتولى وصف هذا الكتاب الذي لم يذكر المؤلف تاريخ وضعه وجمعه كما أن الناسخ لم يشر الى تاريخ نسخه ٠

ويظهر ان هذه النسخة كانت لمحمد الدمشقي الحنفي الشهير بابن العطار فقد كتب بآخر صفحات الكتاب بخط يده ما يلي : « صورة كتاب وكلتُ فيه رجلاً من غزة بافتاء الشافعية فيها عن ولدنا السيد محمد نجيب لغيابه في مصر ٠ وقد كان الموكل قبل ذلك مفتياً فأكثر من رد المطلقات ثلاثاً بحيل شتى فلما بلغني طلبتها لولدي المذكور ووكلت فيها رجلاً أصلح من المفتي الأول فتوجه الأول الى الشام ونزل في بيت مفتيها جناب السيدخليل افندي المرادي فحرر لي جناب المذكوربرجو توكيل الرجل فكتبت له ما صورته :

جناب عمدة الأفاضل الكرام اخونا الشيخ صالح النخالة سلمه الله تعالى وأبقاه غب التحيات والتسليم بمزيد أنواع العز والتكريم نبدي انه اذنا لك بأن تكون وكيلاً عن ولدنا السيد محمد نجيب في افتاء السادة الشافعية في غزة المحمية بشرط ان لا تفتي بأن الطلاق الصريح يحتاج الى النية ولا بأن الفعل المضارع لا يقع به الطلاق للحال ولا بأن الاستثناء بالقلب يكفي ولا بأن المرأة التي لا تصلي لا يقع طلاقها المعلق بصحة ايمانها اذ المسألة الأولى تغيرت بعرف الزمان والمكان وعلى العرف مبنى الطلاق والايمان ولا يخطر الآن بخاطر احد قال لزوجته انت طالق الا طلاق من الوفاق الا ان كان يكون من العلماء عارفاً بالمسألة وقليل ماهم سيما في بلادكم ٠

وما يدين فيه الحالف عند المفتي لا يقضي به القاضي وليس للمفتي ان يأذن للقاضي بأن يقضي بما أفتى فيه بالديانة ولو قضى به القاضي لا ينفذ ٠

وأما المسألة الثانية : فالحق ان الفعل المضارع في صيغة تكوني او تروحي طالقاً يقع به الطلاق في الحال للعرف لأن اهل دياركم كما شاهدتهم لا يعرفون من صيغ الطلاق غير تلك الصيغة ولو كلف من أراد طلاق زوجته الى ان يقول لها انت طالق لا يجري ذلك على لسانه ولا يقول الا تكوني طالقاً كما وقع ذلك عندي غير مرة حين ابتليت بقضاء دياركم ثم بافتائها ٠ وأيضاً القرينة تمحض المضارع هنا للحال وهي قوله طالق اي مطلقة فهو اسم مفعول وحقيقته الاطلاق على من وقع عليه الفعل في الحال ٠ وما أفتى به المرحوم العلامة خير الدين الرملي من ان تروحي فعل مضارع ولا يقع به الطلاق في الحال بناء على ما قاله الكمال ابن الهمام رحمه الله تعالى فهو سهو لأن مراد المحقق ابن الهمام بالمضارع الذي لا يقع به الطلاق للحال المضارع المصوغ من مادة الطلاق كما اذا قال لها اطلقك والفرق بين الصورتين كالفرق بين الصيغتين ظاهر لا يحتاج الى تأمل ٠ ومع ذلك فالقرينة التي ذكرناها غير موجودة في هذه الصورة بخلاف الصورة الأخرى ٠ وما ذكره عمدة السادة الشافعية العلامة الرملي في فتاواه من هذه المسألة فهو محمول على ما قبل اشتهار العرف وأيضاً يضعفه تمحض المضارع للحال بالقرينة المذكورة ٠

وأما المسألة الثالثة : فان الاحكام في هذا المقام تدور على الكلام ٠ والكلام اذا لم يكن مسموعاً لا عبرة به ٠ وأيضاً لا تعتبر النية في الطلاق والايمان الا اذا احتملها اللفظ ٠

واما المسألة الرابعة : فقد رأيت من أفتى بها في دياركم فأوقع نساء تلك البلاد فيما اعتقدن ويقرب من الكفر وذلك انهن اعتقدن بأن من تصلي تكون الصلاة سبباً لصحة وقوع طلاقها المعلق بابرائها ومن لا فلا ٠ وهذا اعتقاد وخيم وقبح جسيم ينبغي الحذر منه ويجب على المفتي مراعاة الزمان والمكان والاشخاص ٠ وقد نبه الفقهاء العظام على مثل هذا المرام في المعتبرات من كتب الاحكام فليكن لك ذلك الاعتماد والسلام » ٠ اهـ

وأضاف الى الصورة المذكورة ما يأتي :

سئلت في اسلامبول عن حكمة اختصاص الصديق رضي الله تعالى عنه بالاستصحاب

في سفر الهجرة دون سائر الصحابة رضي الله عنهم فأجبتُ : الحمد لملهم الصواب . لما كان الصديق رضي الله تعالى عنه أفضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بسبب ما وقر في صدره الشريف بدلالة معنى ما ورد في ذلك والأمر الذي وقر في صدره رضي الله تعالى عنه انما هو المعرفة الإلهية التي رجح بها ايمانه على ايمان أهل الأرض وكسبه رضي الله عنه تلك المعرفة الفاضلة عن معرفة غيره من الصحابة رضي الله عنهم انما كان بسيره الى الله تعالى من طريق الخفاء وذلك باستعمال الذكر الخفي ومشاهدته بالبصيرة تجليات الحق تعالى في الظاهر ومشاهدة البصيرة أمر خفي عن الحواس الظاهرة وعن جميع الناس والانبياء عليهم الصلاة والسلام بدأ لسيرهم الى الله تعالى من حيث الباطن وكثيراً الى الخلق من حيث الظاهر والنبي صلى الله عليه وسلم لما اراد السير مهاجراً من مكة المشرفة الى المدينة المنورة على طريق الاختفاء ناسب استصحاب من كان سيره الى الله تعالى من طريق الخفاء ليتطابق المسيران ويتوافق الرفيقان ولهذا كان اختفاؤهما في الغار عن أعين المشركين في باطن الغار اشارة الى ذلك التطابق واطلاع سراقة [1] رضي الله تعالى عنه عليهما دون غيره فلخاصة في اسمه اذ هو مأخوذ من السرقة والخفية من مفهومها فبذلك انكشف له اختفاء النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله تعالى عنه فتأمل بهذا السر العجيب والأمر الغريب تعقيباً والله أعلم . وكتبه الفقير الى عفو ربه الستار محمد الدمشقي الحسيني ابن العطار خادم الكعبة والآثار .

ويظهر من صورة الكتاب المحرر بعاليه والتعليق الذي أضيف اليه ان الشيخ محمداً العطار من علماء دمشق المعروفين وانه ولي القضاء والافتاء في فلسطين حين كانت تابعة لولاية الشام او سورية باصطلاح العثمانيين . الا ان المرادي الذي كتب الى العطار يطلب منه توكيل الشيخ صالح النخالة بافتاء غزة لم يترجم له في كتابه سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر . وقد يرد على البال او يخطر بالخاطر ان يكون العطار قد عاش بقية القرن الثاني عشر ودخل في الثالث عشر فلم يترجم له المرادي الا

(١) سراقة بن مالك بن جشم بن مالك بن عمرو بن كنانة المدلجي هو الذي تبع اثر الرسول ليدل عليه ويأخذ الدية من قريش ثم تركه بعدما ادركه .

ان العطار قد توفي في ٣ شعبان سنة ١١٧٦ كما دوّن ذلك حفيده محمد العطار في تعاليقه على رحلته الموسومة برحلة العطار الشامي الذي ابتدأها في ٢ صفر سنة ١١٧٩ هـ من بيت المقدس وقصد الى استانبول عاصمة الملك العثماني فقد قال في بعض تعليقاته « انتقل الى رحمة الله تعالى السيد الشيخ محمد العطار جدّ الفقير في ٣ شعبان سنة ١١٧٦ » . اهـ ووجود صفة السيد في كلام الحفيد تثبت ان الجدّ من الاشراف كما وقع بذيل تعليقاته .

ومما يُستغرب حقاً ان يهمل المرادي شأن محمد العطار الجدّ فلا يترجم له ثم يشير الى محمد العطار الحفيد في ترجمته للشيخ عبد الوهاب تلميذ الشيخ عبد الغني النابلسي الذي كان يقيم في مدرسة جور ليلي علي باشا بالاستانة حيث قال :[١] ان أبناء دمشق كانوا يجتمعون عنده على مذاكرة ومداعبة وجاء في سياق ذلك اسم السيد محمد العطار الدمشقي بمناسبة لغز كتبه هذا وأرسله الى الشيخ ابراهيم الحلبي[٢] فأجابه عبد الوهاب بقصيدة جاء في أولها :

أيا فاضلاً حاز البراعة بالقلب ... وصاغ فنوناً في البلاغة كالقلب
وفاق بنظم الشعر سحبان وائل ... وقسّ أيادٍ في القريض على القرب
نظمت عقود الدر في سمط رقة ... وقلدتها جيد الخرائد من عرب
ولا عجب اذ أنت في الفضل سيدٌ ... كجدّك ذي التحقيق في الشرق والغرب
أتيت بلاد الروم ضيفاً وطارقاً ... من الشام من أرض مقدّسة الترب

الى آخر القصيدة .

لذلك نرجح ان المرادي أراد اغفال ترجمة العطار قصداً بسبب المنافسة ذلك الداء الوبيل الذي يتفشى عادة بين الأقران في كل زمان ومكان رحمة الله تعالى عليهم جميعاً .

عبد الله مخلص

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر جزء ٤ صفحة ١٤٤ وفيه ان الشيخ ابراهيم الحلبي شرح ذلك اللغز وهو في (حير) في رسالة (٢) ترجمة الشيخ ابراهيم المذكور في سلك الدرر ج ١ ص ٣٧ — ٣٩ وفيها انه من العلماء المحققين .

افتراء ابن بطوطة

على ابن تيمية

ذكرني ما جاء في الجزء الرابع من المجلد السادس عشر من مجلة المجمع العلمي في ص ١٩١ من قول رئيسه عن كتاب تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية تأليف صديقنا السيد هنري لاوست . نفذ مؤلف هذا الكتاب الى تاريخ شيخ الإسلام ابن تيمية وغاص كما يغوص العالم الذي لا مأرب له غير خدمة الحقائق في كتب هذا الامام الخ .

ان بعض من ينتقده ويطعن في عقيدته ويقول انه يذهب الى القول بالجهة يستند الى ما ذكره الرحالة ابن بطوطة في رحلته (في ص٥٧) « وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية كبير الشأن ويتكلم في الفنون الا ان في عقله شيئاً وكان اهل دمشق يعظمونه اشد التعظيم ويعظهم على المنبر (الى ان قال) وكنت اذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه ان قال ان الله ينزل الى السماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر » .

وقد تبين لي بعد البحث والتدقيق ولا اعلم احداً تنبه لذلك قبل الآن [1] ان هذه القصة من وضع ابن بطوطة وانها محض افتراء على شيخ الاسلام ابن تيمية واليك البيان

قد ذكر ابن بطوطة نفسه في ص ٥٠ من رحلته انه دخل دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان عام ستة وعشرين (وسبعمائة) ونزل بالمدرسة المالكية المعروفة بالشرابشية .

وقد جاء في الدر المنتخب في تاريخ حلب للقاضي علاء الدين ابن خطيب الناصرية [2] في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية ما نصه بعد كلام طويل . « وهذا الثناء عليه وكان

---

(١) كتب في هذا الموضوع الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار في مجلة دمشق ج ١٠ ص٣

(٢) من مخطوطات مكتبة المدرسة الاحمدية بحلب وقد تكلمت عليه في الجزء الرابع من المجلد السادس عشر (ص ١٨٤) .

عمره نحو الثلاثين سنة ثم جرت له محن بسبب فتواه في مسألة الطلاق الثلاثة وشد الرحال الى قبور الأنبياء والصالحين اوجبت القيام عليه وحبس مرات بالقاهرة والاسكندرية ودمشق وعقد له مجالس بالقاهرة ودمشق وحصل له في بعضها تعظيم زائد من السلطان وآخر الأمر ورد مرسوم شريف من السلطان في شعبان سنة ست وعشرين بجعله في القلعة فجعل في قاعة حسنة واجري اليها الماء الخ ثم قال في آخر ترجمته توفي معتقلاً ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة » .

وقال ابن شاكر الكتبي في تاريخه فوات الوفيات في أواخر ترجمة ابن تيمية ما نصه : « وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين بجعله في القلعة فأخليت له قاعة حسنة وأجري اليها الماء وأقام فيها ومعه أخوه [1] يخدمه (الى ان قال) واقبل (وهو بالحبس) على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين فلم يفجأ الناس الا نعيه وما علموا بمرضه (ثم قال) وكانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة » .

فقد اتفق هذان المؤرخان على انه اعتقل في شعبان سنة ٢٦ وظل معتقلاً الى ان أتاه اليقين وابن بطوطة يقول انه دخل دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان وانه سمعه يوم الجمعة العاشر منه يقول ما قدمنا ذكره عنه مع أنه باتفاق المؤرخين كان في شهر شعبان معتقلاً فكيف سمعه وهو معتقل وقتئذ . هذا ولا ريب محض افتراء . ويؤيد قولنا ان هذه القصة مفتراة من ابن بطوطة ما قاله الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة في ترجمته (ج ٤ ص ٨٠) « قال شيخنا ابو البركات ابن البلفيقي حدثنا بغرائب مما رآه فمن ذلك انه زعم انه دخل القسطنطينية فرأى في كنيستها اثنى عشر الف اسقف وقرأت بخط ابن مرزوق ان اباعبد الله بن جزي نمقها وحررها بأمر السلطان ابي عنان وكان البلفيقي رماه بالكذب فبرأه ابن مرزوق وقال انه بقي الى سنة سبعين ومات » .

---

(١) اخوه الذي حبس معه اسمه عبد الرحمن وترجمته في الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣٢٩)

والقاعدة عند علماء الحديث وأصوله ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والجرح مقدم على التعديل فتبين بهذه النقول التاريخية وبما ذكره الحافظ ابن حجر ان هذه القصة مكذوبة على ابن تيمية وانه بريء منها .

وقد ظفرت في مجموع مخطوط بقصيدة من نظم شيخ الاسلام ابن تيمية تعرب عن عقيدته فأحببت ذكرها هنا وهي :

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي رُزق الهدى من للهداية يسأل
اسمع مقال محقق لا ينثني عن قوله يوماً ولا يتحول
حب الصحابة مذهبي لي مذهب ومودة القربى بها أتوسل
ولكلهم قدر علا وفضائل لكنما الصديق منهم أفضل
وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو القديم المنزل
وصحيح أخبار الصفات أمرها حقاً كما ذكر الطراز الأول
وارد عهدتها الى نقالها وأصونها عن كل ما يتخيل
واقول قال الله جل جلاله والمصطفى الهادي ولا اتأول
قبحاً لمن نبذ القرآن وراءه واذا استدل يقول قال الأخطل[1]
واقر بالميزان والحوض الذي أرجو بأني منه رياً انهل
وكذا الصراط على جهنم مده فمسلم ناج وآخر مهمل
والنار يصلاها الشقي بحكمة وكذا التقي الى الجنان سيدخل
والمؤمنون يرون حقاً ربهم والى السماء بغير كيف ينزل
ولكل حي عاقل في قبره عمل يقارنه هناك ويسأل
هذا اعتقاد الشافعي ومالك وابي حنيفة ثم احمد ينقل
فان اتبعت سبيلهم فموفق وان ابتدعت فما عليك معول

محمد راغب الطباخ

(١) اشارة الى البيت المشهور المنسوب الى الاخطل وهو
ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

عشائر الشام (١)

-٢-

تاريخ البدو . — نشأت العشائر في الطبقات الثلاث المذكورة المنتشرة في بوادي العراق والشام ومصر وأريافها من أواسط الجزيرة العربية «الحجاز ونجد» وكانت تهاجر على هيئة موجات تتابع وزودها منذ مئات السنين ولا تزال حتى يومنا هذا . وتعزى هذه الهجرات الى انه في كل قرن او قرنين يزداد عدد سكان تلك الاواسط وتضيق بوفرة مواليدها فتصير مواردها ومعاطنها غير كافية لسد الحاجة ، او تأتي أعوام قحط جائحة او تحدث فتن شعواء بين أولئك السكان فتضطر موجة منها الى ان تنزح وتزحف نحو الشمال وتفتش عن بقاع اوسع وفياف أمرع ، فلا تجد ذلك الا في اطراف الاقطار المذكورة . فالموجة القادمة اذا وجدت أمامها عشيرة سبقتها في الهجرة تسعى لدفعها واحتلال مكانها بالقوة والغلبة . فاذا ظفرت تضطر السابقة المغلوبة الى مزاحمة الاسبق والاضعف منها ، وهكذا يزحم المتأخر المتقدم والقوي الضعيف كل في نوبته وينازعه على منزله ومرتعه . وحينما يحرم المغلوب مجال النجعة يترك رعي الابل ان كان من الطبقة الاولى وينصرف لرعي الغنم فيصير من أهل الطبقة الثانية ، ثم اذا ازداد الضغط وضاقت المراعي القريبة يترك الغنم وينصرف الى الحرث والزرع فيصير من أهل الطبقة الثالثة ، ومن هذه يتدرج الى التحضر والاستقرار التامين .

وقد ذكر المؤرخون ان البدو كانوا يفدون الى الشام (بلاد الخمر والخمير والديباج والحرير) منذ القرن الأول للميلاد وان أقدم من عرف من قبائلهم الوافدة الى شماله هم التنوخيون والى وسطه الضجاعم من سليح وهم بطن من قضاعة . ولم يزل هؤلاء سادة بوادي الشام حتى جاء الغساسنة في أواخر القرن الرابع الميلادي واستظهروا

(١) انظر مجلة المجمع م ١٦ ص ٢٦٧

على الجماعم وعظم شأنهم وحالفوا الرومان وصاروا عمالهم على أبناء قومهم العرب الضاربين في تلك البوادي كما كان اللخميون المناذرة حلفاء الفرس وعمالهم على عرب بوادي العراق ولم يأت القرن السادس للميلاد حتى وصلت القبائل العربية شمالاً إلى الجزيرة الفراتية واستقرت فيها على نحو ماعملته ربيعة ومضر وبكر فسميت تلك الديار باسمها حتى الآن ولما فتح المسلمون الشام وجدوا فيه من القبائل العربية المتنصرة قبائل لخم وجذام وكلب وعاملة وبهراء وغسان وتنوخ وتغلب ·

وقد زادت هجرات القبائل بعد الفتح الاسلامي إلى العراق والشام ومصر وانتشرت في هذه الأقطار · وإذ كان بحثنا منحصراً في اعراب الشام نقول ان قسماً من تلك القبائل تدير وقتئذ بعض بقاع الشام واختلط بالشعوب الشامية القديمة فادمجها في قوميته وانطقها بلغته ومن لم يتحضر وفضل عيش البداوة ظل يضرب في بوادي الشام وأريافه ويشترك في أحداثه وكوارثه مسيئاً تارة ومحسناً أخرى وقد ذكر المؤرخون أسماء بعض من كان من هؤلاء خلال القرون الثلاثة الأولى في عهد الأمويين والعباسيين كبني كلاب وبني القين وبني نمير وبني عقيل وبني مخزوم كما ظلوا يذكرون من حين إلى آخر في سياق الأخبار أسماء بعض الرجال من القبائل المتنصرة المذكورة وقد أسلم معظمها بعدئذ واشترك في الفتوح ·

ثم عظم شأن بعض هذه القبائل وأسس دويلات في زمن ضعف الخلفاء العباسيين والفاطميين · وكان أشهرهم بني حمدان التغلبيين في حلب · وقد عد ابن خلدون من القبائل التي كانت منتشرة في القرن الرابع مابين الشام والجزيرة بني طي· وبني كلاب وبني كعب وبني العجلان وبني عقيل وبني قشير « كانوا كالرعايا لبني حمدان أصحاب حلب يؤدون إليهم الاتاوات وينفرون معهم في الغزوات » · وقد شق بعض هؤلاء عصا الطاعة على سيف الدولة بن حمدان وعاثوا في اعماله وهو بداريهم لاشتغاله بحروب الروم وهم يتمردون شأن البدو كلما رأوا انشغال ذوي السلطان عنهم أو ضعفهم ولما عيل صبره منهم هاجمهم وأوقع بهم في مروج سلمية

ثم لحق بهم إلى القرقلس والفنتر والجباة « ثلاث قرى في سيف بادية حمص » وإلى تدمر وأرك والسخنة فبدد شملهم وردم آبارهم حتى استأمنوا وبذلوا له طاعتهم وللمتنبي الشاعر قصيدة رائعة في وصف هذه المواقع مطلعها : « طوال قنا تطاعنها قصار » . وله قصيدة أخرى يشفع بني كلاب في موقعة أخرى في نواحي بالس « شرقي حلب على الفرات » مطلعها : « بغيرك راعياً عبث الذئاب » .

ويظهر أن اعراض الخلفاء العباسيين والفاطميين عن بني قومهم العرب وخوفهم من عصبيتهم وشدة شكيمتهم واستخدامهم الترك والديلم في جيوشهم ومناصب دولتهم قد فت في عضد العرب عامةً والبدو خاصةً وأبعدهم عن المساهمة في الامرة والقيادة وصرف القبائل نحو البادية وخشونتها وجعلهم يثورون ويحتجنون الحكم والسيطرة في بعض الأماكن والأزمان كما احتبلوا الفرر . فقد استفحل أمر القبائل عند فشل دولة بني حمدان في القرن الخامس وتقاسموا مناطق السيطرة في الشام . فكان شماله من حصة بني مرداس الكلابيين ووسطه لبني عليان الكلبيين وجنوبه لبني الجراح الطائيين ، ثم ورث بنو عقيل ملك الشمال من بني مرداس إلى أن قضى عليهم السلجوقيون فانتهت بهم سيادة العرب الخضر في مدن الشام .

أما بقية القبائل التي ظلت بادية فقد ضعف شأنها وخمل ذكرها فمنها من ظل يضرب في فيافي الجزيرة العربية ومنها من اندمج في بني طيء لما عظم شأنهم في شمالي الشام وصاروا رؤساء البادية .

ويظهر أنه كان في عهود الدول الإسلامية الغابرة رئاسة عليا على بادية الشام باسم (أمير عرب الشام) ونالها بعضهم باسم (ملك العرب) ، وكانت هذه الوظيفة وكذلك إمارات بقية العشائر توجه بمراسيم شريفة ، ذكر القلقشندي في صبح الأعشى عدة نماذج منها ، وكان يطلب من أصحابها أن يقوموا بحفظ السابلة أيام السلم ويمنعوا أعرابهم من العيث والنهب وأن يتأهبوا للجهاد ويعاونوا العساكر السلطانية أيام الحرب وأن لايفارقوا البلاد ولا ينجعوا (حتى يعبس في وجهها السحاب ، ولا يعودوا حتى تؤذن زروعها المخيمة بذهاب)إلى آخر ماهنالك من الأوامر والقيود .

وهذا يدل على أن قبائل البدو في عهد الملوك الايوبيين والسلاطين المماليك كانت — على خلاف عهد العثمانيين التي أهملت فيه — مقيدة بتقاليد ومكلفة بواجبات إدارية وحربية تكافأ إذا برت بها وتعاقب إذا خترت .

وصارت الرياسة في طيّ إلى بني ربيعة . قالوا : وكان ربيعة امير عرب الشام في القرن السادس في عهد الأتابك طغتكين ، ثم خلفه في الامارة ابنه مراء بن ربيعة الذي ذكر له أبو الفداء (ج ٣ ص ٢٤٣) معركة مع الصليبيين انتصر عليهم فيها . ثم انقسم آل ربيعة إلى ثلاثة أفخاذ ، ولكل من الثلاثة أمير مختص به وهم آل فضل بن ربيعة وآل مراء بن ربيعة وهو أخو فضل وآل علي بن حديثة بن عقبة بن فضل وكانت منازل آل فضل في الشمال من حمص إلى وادي الفرات وأطراف العراق ومنازل آل مراء في حوران والجولان ومنازل آل علي في مرج دمشق وغوطتها ولكل من الثلاثة لواحق من أفاريق الأعراب في تلك الأزمان . أما المنزلة الكبرى والرئاسة العليا فقد كانت في يد آل فضل وهم كما قال القلقشندي (اتصلوا برجال السلطنة فولوهم على احياء العرب واقطعوهم على إصلاح السابلة بين الشام والعراق فاستظهروا برياستهم على آل مراء وغلبوهم على المشاتي ... الخ) .

وفي زمن الملك العادل أبي بكر كانت الأمرة على اعراب بادية الشام في يد أحد أمراء آل فضل واسمه مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . ولما توفي مانع سنة ٦٣٠ ولي عليهم ابنه مهنا فحضر هذا مع المظفر قطز قتال جيش التتار سنة ٦٥٨ في عين جالوت (غور بيسان) فأجازه قطز بسلمية نزعها من الملك المنصور بن الملك المظفر التقوي الأيوبي صاحب حماة وأقطعها له (أبو الفداء ج ٣ ص ٢١٤) ، ثم ولى الملك الظاهر بيبرس ابنه عيسى ووفر له الاقطاعات على حفظ السابلة . وعيسى هذا على ماذكره ابن اياس في تاريخه (ج ١ ص ١٠٢) هو الذي جاء بالإمام أحمد العباسي بعد حادثة هولاكو في بغداد وكان مختبئاً عند اناس من قبيله وأوصله إلى مصر إلى الملك الظاهر بيبرس وشهد هو وقومه أنه من نسل العباسيين فبويع له بالخلافة واستمرت هذه الخلافة الشكلية فيه

وأعقابه إلى أن استخلصها منهم السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣ . وقد كانت لعيسى هذا منزلة عظيمة عند الملك الظاهر بيبرس ثم تضاعفت عند الملك المنصور قلاوون وسماه ملك العرب وزاد في إقطاعه لحسن سيرته ولأنه في وقعة الملك المنصور مع التتار بحمص سنة ٦٨٠ جاء وقت الوقعة بعربه من سلمية واعترض التتار من خلفهم فتمت هزيمة التتار به . ولعل عيسى هذا هو الذي قال عنه كاتب جلبي المتوفى في سنة ١٠٦٨ في جغرافيته (جهان نما) انه كان في هذه المعركة العظيمة حاملاً ريشة على رأسه فلقب بأبي ريشة وأنه هو الذي نال من الملك المنصور قلاوون عطاءً عظيماً فاشترى به عبيداً ومماليك اعتقوا بعد حين ودعوا بالموالي وبقيت أعقابهم إلى يومنا هذا ملتفة حول هؤلاء الأمراء آل أبي ريشة وانضم إليهم بعد عدد من شذاذ الأعراب اندمجوا في لفيفهم وحلفهم . فكان من مجموعهم (عشيرة الموالي) المستقرة في قضاء المعرة .

وبعد أن توفى الأمير عيسى ودفن في مقبرة الشيخ فرج شمالي سلمية على ماجاء في شذرات الذهب (ج٦ ص ٢٣) انقسم آل فضل إلى عدة أفخاذ أشهرها فخذ عيسى المذكور ، ولي الملك المنصور قلاوون من اولاده مهنا في الامارة فصار كبير آل عيسى النازلين في براري سلمية وحماة وتدمر بل امير بوادي الشام والعراق كلها .

وقد ردد ابو الفداء وابن الوردي في تاريخيهما والمقريزي في خططه ما كان للأمير مهنا بن عيسى في اواخر القرن السابع وأوائل الثامن من المكانة لدى سلاطين مصر ونوابهم في الشام وذكروا تدخله في بعض أمور الدولة ، وان من حسناته شفاعته للإمام احمد بن تيمية وسعيه لإخراجه من سجنه في قلعة مصر ثم التماسه نصب ابي الفداء ملكاً على حماة ، وعدوا من سيئاته وثباته وغاراته العديدة وانحيازه إلى ملوك العراق المغوليين . ثم فصل المؤرخون الخراب والدمار اللذين أتى بها اولاده (آل مهنا) وأولاد اخوته واعقابهم في القرن الثامن مما أدى لخراب سلمية واعمال حماة والمعرة وحلب وكان له أثر كبير في تاريخ تلك الحقبة وما بعدها .

وكان حيار احد ابناء مهنا بن عيسى المذكور — وهو ممن لقيهم الرحالة ابن بطوطة في طريقه إلى الحج وضبط اسمه بالحاء المهملة — تقلد امارة البادية مدة ثم أورثها لأبنائه وأعقابه فعلا اسم آل الحيار وخمل اسم غيرهم من ابناء عمومتهم آل مهنا أو آل عيسى أو آل الفضل ، شأن العشائر التي تتبدل أسماؤها في كل قرن او قرنين تبعاً للمتأمر عليها ، وقد تسمى باسم اميرها او شيخها ثم باسم كل من أبنائه بعد وفاة الأب إذا انفصلت عن الأرومة وتفرعت كما جرى بآل فضل وآل عيسى المذكورين .

وقد ظلت الأمارة في يد آل الحيار طوال القرنين التاسع والعاشر وكان لهم سلطان على العشائر ، وقد ترجمهم القلقشندي في صبح الأعشى وابن تغري بردي في المنهل الصافي إلى أن ظهر في القرن الحادي عشر اسم آل أبي ريشة من فرق الحياريين ثم ظهر اسم الموالي . وقد وصل بعض المؤرخين كحيدر الشهابي والمحبي والمرادي وكاتب جلبي ونعيا الحلبي سلسلة أمراء الموالي الحاضرين والمعروفين الآن باسم آل أبي ريشة بالحياريين . واذن يكون هؤلاء الأمراء من أعقاب حيار بن مهنا بن عيسى آل الفضل الربيعي الطائي ، لا كما يزعمون ويزعم لهم بعضهم أنهم من نسل العباسيين . ومثلهم في هذا الزعم أمراء عشيرة الفضل في الجولان فهم من أعقاب (آل فضل) المذكورين ، لا من العباسيين وقد احتفظوا فيا يظهر باسم الجد الأعلى بعد ان نزحوا من انحاء سلمية وفارقوا أبناء عمومتهم وتديروا الجولان منذ قرون .

هذا وآخر الهجرات البدوية الكبيرة من أنحاء نجد نحو العراق والشام هي هجرة قبائل شمر في أواسط القرن الحادي عشر ، ثم هجرة قبائل عنزة في أواسط القرن الثاني عشر .

أصناف البدو . — إن العنصر الأول في المجتمع البدوي هو (البيت) ويعنون به العائلة . فالبيت يتألف من الرجل وامرأته وأولادهما العزب . لأن الولد إذا تزوج يضرب لنفسه خيمة جديدة على مقربة من أبويه أسوة أنه

يؤسس بيتاً حديثاً يسمى باسمه . والعائلات او البيوت القريب بعضها من بعض تؤلف (الآل) أو (الرهط) مثل آل المشهور من فندة الشعلان في الرولة ومثل آل مهيد من فندة المانع في الفدعان . وتجتمع الأرهاط فتؤلف (الفرقة) أو (الفندة) وجمعها فرق أو افناد مثل فندة الشعلان وفندة المانع المذكورتين . والفندة في الأصل عدة ارهاط من جد قريب لايكاد يتجاوز الخامس في الغالب . وتجتمع الأفناد فتكون (العشيرة) او (الفخذ) مثل عشيرة الرولة وعشيرة الفدعان في عنزة . وتجتمع العشائر فتكون (البطن) او (الضنا) مثل ضنا مسلم وضنا بشر في عنزة .وتجتمع البطون فتؤلف (القبيلة) مثل شمر وعنزة . وقد يتساهل في التعبير فتسمى العشيرة قبيلة . ويزعم رواة البدو ان القبيلة إنما تنشأ من جد عام يورث اسمه إلى قبيلته كبني صخر وبني خالد وغيرهم . والعشيرة تعترف بشيخ واحد . على أن اعترافها لايتجاوز القضايا العامة . وعدد بيوت العشيرة يختلف كثيراً . فقد يكون الفي بيت او ثلاثة آلاف بيت كما هو الحال في الرولة والاسبعة ، وقد يهبط هذا العدد إلى مئه وربما إلى خمسين كما هو الحال في بعض عشائر الطبقة الثالثة . وكلمة ضنا اختصت بقبيلة عنزة دون غيرها وقد رتبنا العشائر ووصفناها بحسب المناطق الجغرافية في الشام فبدأنا بأنحاء دمشق وانتهينا بأنحاء الجزيرة .

المشيخة وشروطها . — ويكون على رأس كل عشيرة رئيس يدعى شيخاً . وقد يكون هذا صغير السن دون العشرين ولا يرث ابن الشيخ المشيخة اذا لم تتوفر فيه الشروط . ولا ينال هذه إلا من كان ازكى رجال العشيرة واكثرهم معرفة وبلاغة وافرسهم يوم النزال واغناهم بالرزق والمال وابسطهم يداً بالكرم واقراء الضيف واوفرهم بعدد الأقارب والأنسباء . وتشمل سلطة الشيخ إعلان الحرب او عقد الصلح بعد أخذ رأي شيوخ العشيرة والأمر بالرحيل او النزول حين النجعة والظعن وحل الخلافات والمنازعات التي لاتحتاج لمراجعة القاضي (العارفة) وإدامة الوئام والألفة بين أبناء العشيرة واسترداد الأشياء المسلوبة وحماية الضعفاء والموافقة على عقود الزواج والطلاق وسلطة الشيخ مها كانت بعيدة المدى ليست مطلقة بل محدودة بحقوق الملكية الشخصية .

يتبع وصفي زكريا

طاغور شاعر الهند

لو أن نبياً من أنبياء العصور الأولى قد حلّ في هذه الأرض في عصرنا المتأخر، ما اختار من بقاع المعمورة موطئاً لقدميه غير هذا الشرق الذي لا يزال مبعث السحر ومصدر الروحانية والإيمان، وما تقمص شكلاً إلا جسد طاغور بطلعته المهيبة، وملامحه الوادعة الرزينة، وشعره المتهدل، ولحيته الكثة، وعينيه الواسعتين اللتين تشعان ببريق غريب يغمر النفوس خشوعاً ويستهوي الألباب.

ذالكم وابندرانات طاغور شاعر الهند الأكبر الذي أدركته منيته في اليوم السابع من شهر آب في كلكتة من أعمال البنغال، وكانت هذه المدينة نفسها قد شهدت مولده منذ ثمانين سنة في اليوم السادس من أيار سنة ١٨٦١.

نشأ الفتى طاغور في كنف أسرة جمعت الجاه واليسار إلى العلم وحب الإصلاح فكان جده وأبوه من زعماء البراهمة الذين إدركوا جمود الهندكية فسعوا جهدهم لتهذيبها وابراز لبابها دون قشورها واعادتها إلى الينبوع الصافي الذي تحدرت منه. وقد ملكت هذه النزعة الإصلاحية مشاعر الصبي النابغة، كما أشربت نفسه مبادئ الصوفية البرهمية التي تقدس مظاهر الطبيعة وتدمج الكون بالقوة المبدعة العظمى. وكيف لا تكون هذه العقيدة المنتزعة من صميم الروح الهندية جبلة في هذا الفتى المتحدر من اعرق الأرومات البرهمية، وهو قد درج في هذه البيئة التي توحي بالعظمة والخشوع وتجذب المخلوق نحو الخالق، في هذه الأراضي المترامية الأطراف، الطافحة بالمياه الغزيرة المتدفقة، المتموجة بالألوان الزاهية الخلابة، الخاضعة لعناصر الطبيعة الهوج من مطر وابل وحر لافح، الزاخرة بالحياة النباتية والحيوانية الوافرة؟

شد الفتى طاغور رحاله الى الربوع الانكليزية لينهل من علومها وعمره لا يتجاوز الستة عشر ربيعاً، لكنه لم يصبر على دراسة القانون فيها كما أريد على ذلك، بل اكتفى باتقان لغتها والتزود من أدبها. ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث أكب على

التبحر في علوم الهند وآدابها ، وأخذ يكتب وينظم ، فلم يلبث أن ابتكر لنفسه طريقة في الشعر طريقة اقتبسها من صميم البرهمية وأسبغ عليها من روحه صفة خاصة ميزتها وحببتها إلى النفوس . وأسس في سنة ١٩٠١ مدرسة على مقربة من كلكتة أطلق عليها اسم « مغنى السلام » تخرج النشء البنغالي على أسلوب جديد يقرب بين الماديات والروحيات ويجمع العمل إلى نزعات التصوف والتأمل . وكانت حياة الشاعر بعد ذلك ملأى زاخرة ، فوضع التآليف والدواوين العديدة ، وجاب انحاء اوربة وأميركة والمشرقين . وقد نقلت أشعاره إلى الانكليزية وسواها من اللغات الحية ، فافتتن العالم الغربي الغارق في حضارته المادية بهذه الأناشيد الروحية الساذجة المنبعثة من أعماق الشرق البعيد . وطبقت شهرة قائلها الآفاق وخلعت عليه القاب العلم والشرف ومنح جائزة نوبل العالمية للآداب ، وهي جائزة لم ينلها من الأدباء الشرقيين سواه .

وقد زار طاغور بغداد في شهر أيار ١٩٣٢ بدعوة من الملك فيصل الأول طيب الله ثراه ، فأتيح لي شرف التعرف به والتحدث اليه ، إذ انتدبت لاستقباله بالنيابة عن وزارة الخارجية ، واجتمعت به أثناء مكوثه في العاصمة العراقية مرات .

احتفت عاصمة الرشيد بشاعر الهند أيما احتفاء ، وأقامت له المآدب والحفلات وكان شاعر العراق المرحوم جميل الزهاوي على رأس اللجنة التي تولت اكرام وفادته ، فكان اجتماع الشاعرين مثيراً لأرق المشاعر في نفسيهما على الرغم من افتقارهما إلى أداة التفاهم اللسانية . واذا كانت مأدبة عاهل العراق العظيم لضيفه الشاعر قد رمزت إلى جلال الملك وكرامة القريض ، فإن حفلة أدباء العاصمة في مساء ٢٣ أيار قد مثلت تكريم مدينة السلام للشعر والأدب في شخص هذا الشاعر الزائر . ولقد ظفر شهود تلك الحفلة برؤية شاعر الهند وشاعر العرب مجتمعين إلى مائدة واحدة ومعاً ينشدان قصيدهما كل بلسانه المختار . وأي بون بين هذين الشيخين الملهمين ، التقيين بروحيهما ، المتشابهين بشعرهما المسترسل المشتعل شيباً ! لقد مثل الأول الوقار والرزانة ، فوقف يلقي شعره وكأنه قد غاب روحاً

وجسماً في مناجاته حتى لم يبد حراكاً ، وانبعث صوته من قرار ذاته هادئ النبرات ، رتيب النغمات ، رقيق الخلجات . اما شاعر العراق فمثل الطموح والاندفاع فانطلق جسده المبتلى بالشلل في حركات متدافعة متعاقبة ، وارتفعت عقيرته بصرخات ساميات يضبطها إيقاع الوزن ورنين القافية . ولئن كان الشيخ الهندي قد رمز بسكونه الى وقار الشرق الخالد وحكمته ، فقد كان الشيخ العراقي رمزاً الى انعتاق الشرق المتوثب واشتياقه إلى النهضة والحياة .

إن العراق قد عرف لشاعر الهند قدره كما عرفه له العالم الغربي . ولعلنا نتساءل عن السر في هذا التقدير الاوربي والأميركي للنبوغ الشرقي ، فجدير بنا أن نعلم أن الهند تكبر طاغورها وتعظم شأنه لعوامل تختلف اختلافاً بيناً عن تلك التي تحدو بالغرب إلى اكباره والاعجاب به : فالهند تحترم شاعرها قبل كل شيء لمنزلته في العالم المتمدن ، كما تكبر فيه نزعته الاصلاحية . فهو قد رمى في القول والعمل الى تهذيب الشوائب العالقة بالبرهمية التي يدين بها القسم الأكبر من الهنود ، ورفع مستوى الحياة الشعبية وانقاذها مما يخيم عليها من جهل وخمول ، وازالة الفوارق التي تباعد بين الطبقات الهندية فتجور على أدناها وتشل الحياة القومية والوطنية . وقد حاول هذا الشاعر الفيلسوف ان يطلق دين آبائه وأجداده من قيود التنافر والجمود ، وان يترع به نزعة جديدة تفسح لأتباعه مجال الاخذ بالحضارة العملية الحديثة وتسمو بهم في الوقت نفسه إلى مراقي التأمل الروحي والانطلاق الفكري . وحاول هذا الشاعر العامل بعد ذلك أن يحسن معيشة أبناء وطنه من حيث الصحة والعلم والرفاهية ، ليقضي على الآفات التي تنخر جسم الأمة من مرض وجهل وبؤس مدقع ، فعرف له أبناء وطنه هذه المنة ، وترنموا بشعره الذي يعرب عن هذه الرغبات الاصلاحية الجياشة وينصح عن سعادة النفس بالطبيعه الساذجة ، الراضية بوداعتها ، المطمئنة الى الحياة .

أما الغرب المسحور بطاغور فقد أخذ بترانيم غير مألوفة غمرت اجواءه بفيض

من الهدوء والسكينة في وسط هذا العالم المضطرب ، المصطخب ، المتلاطم الأمواج .

ولعلّ النغمة التي خلب بها الغرب لم تكن من ابداع طاغور وان أوقعها على قيثارته : فهذه النغمة تمت الى الصوفية البرهمية بسبب وثيق ، وقد انتزعها الشاعر الهندي من آيات دينه القديم ، واستلهمها من خوالج روحه الثملة ، فكساها حللا قشيبة زاهية تقرب من أذهان الغربيين المعاصرين وتحبب الى نفوسهم الظامئة .

إن البرهمية دين قديم تطورت عقائده وشعائره على مرّ الأزمان ، وقد ألّه منذ أحقاب بعيدة قوى الطبيعة الخارقة متشخصةً في كائنات سامية تشرف من عليائها على هذا الكون الذي اقتطعته من ذاتها المعبودة وبسطت عليه أجنحة هيمنتها وسلطانها . واذا كان الدين الهندكي قد قسم أشياعه الى طبقات عالية وسافلة ، فإنه قد خصّ اعلاها مرتبة — وهي طبقة البراهمة — برفعة كان لزاما أن تنزع بها الى مثل أعلى ، وسيلته التسامي بالنفس وكبح جماح أهوائها والتبحر في المعرفة الإلهية بالدرس والتأمل والتقشف ، وغايته تطهير النفس من ادرانها والانفلات من قيود المادة والفناء في الذات الصمدانية . وقد وعد المختارون الاولون الذين يبلغون في هذا المسلك مرتبة الكمال بالتحرر من العودة الجسمانية الى الحياة الدنيا وفاقاً لمبدأ التناسخ ، والاندماج بالكون الأعظم حالما ينطلقون من أسر الجسد الفاني .

وقد انتزع طاغور فلسفته وتصوفه من هذه العقائد بعد تعديل وتنقيح ، واستطاع أن يصبّ تلك الفلسفة وهذا التصوف في ألحان عذبة ساذجة أخاذة . فتغنى بشوق المخلوق الضعيف الى المبدع الأعظم ، وظمأه الى استكناه الحقيقة الازلية ، ونزوعه الى الانطلاق من عقال المادة التي تربطه بالحضيض الأوهد والسمو الى عالم الروح الخالص حيث النشوة الخالدة والسعادة السرمدية . وأفصح الشاعر في أغاريده أيضاً عن العواطف الجائشة بين جوانح الإنسيّ الواهن ، من حب وبغض ورغبة ورهبة وطموح وقصور وشك ويقين وحيرة وطمأنينة وشقاء وهناءة ، ووصف الطبيعة في حاليها من الحركة والسكون ، حين تضطرب بعناصرها

وهوامها وطيرها وحيوانها أو حين يغشاها هدوء الوجود الاعظم فتملكها الدعة والخشوع ...

لكن شعر طاغور لم يقتصر على تلك المنازع الصوفية والفلسفية بل تعداها الى موضوعات عديدة أوثق وشائج بالحياة البشرية ، فصور القرية والمدينة والطفولة والكهولة وغير ذلك من الشؤون التي لاتحصيها هذه العجالة . وآمن طاغور بتآلف البشر وتآخي الشعوب ، فدعا الى التعارف والتآزر وتوسل بالأدب الى إزالة الضغائن والقضاء على الفوارق وتوحيد الكلمة على التعاون والتقارب . فلا بدع أن أصبح هذا الشاعر الهندي شاعراً انسانياً تردد ألحانه بمختلف اللغات واللهجات ، وتستعذب أشعاره في المشرق والمغرب ، ويقترن اسمه في حياته بالأقلية المختارة من النوابغ العالميين الذين استطلعوا خفايا الوجود ورتلوا أناشيد الخلود .

إن الحضارة الغربية الرازحة تحت أعباء المادة قد شخصت ببصرها نحو الشرق منزل الوحي ومبعث الالهام ؛ فلما بلغت مسامعها أشعار طاغور ، أرهفت أذنيها مصغية الى هذه الأنغام الروحية المستلذة ، الآتية من عالم بعيد .

بغداد : صبري العاري

جامع التواريخ [1]

— أو —

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي

— ١٣ —

حدثنا أبو الحسين الحارثي النهرسابسي [2] قال حدثني شيخ من شيوخنا: أن أبا جعفر بن الشلمغاني كان في نهاية الاختصاص بحامد بن العباس، فلما وزر أخذ به معه الى بغداد، وكان يدخله في آرائه ويشاوره في مهماته ويوسطه كبار الأمور. قال فلما جرى من حامد على المحسن بن الفرات تلك القضية الشديدة، كتب الى ابن الشلمغاني يسأله مسألة حامد الرفق به والتقدم الى المستخرج [3] بالتوقف عن ضربه واذلاله ليؤدي على مهل، فتكفل ابن الشلمغاني بأمره وخاطب حامد بن العباس في ذلك، فردّه، فعاوده في مجلس حافل، ولجّ حامد، ولجّ ابن الشلمغاني، الى أن قال حامد: هاتم [4] المحسن ابن كذا وكذا وهاتم الغلمان والمقارع، قال فقبّل ابن الشلمغاني يده، فلم

---

(١) قدم عهد القارئ بما نشر من هذا الكتاب في المجلة فليراجع المجلد الثاني عشر ص ٣٦٧ من هذه المجلة حيث كانت البداءة بنشر هذا الجزء الثاني من النشوار بتحقيق المستشرق الانكليزي المرحوم الاستاذ د. س. مرجليوث. (٢) نسبة إلى (نهرسابس) وهي قرية بنواحي الكوفة كما في انساب السمعاني و: ٥٧٣.

(٣) المستخرج هو الموكول اليه أمر تحصيل المال ممن صودر.

(٤) هاتم بمعنى هاتوا وهي عامية.

يقنع وحلف انه لابد أن يصفعه ويضرب به في ذلك المجلس . وتوجه الغلمان ليجيئوا به، فلما عدوا ومعهم المحسن، قام ابن الشلمغاني من قبل ان يدخل المحسن وانصرف، فاستشاط حامد وجن وكاد أن يقبض على ابن الشلمغاني ويوقع به ثم استرجع، وأخرج غيظه على المحسن وصفعه الصفع المشهور - الذي كان سبب قتل المحسن له لما ولي أبوه الوزارة الثالثة - قال ونهض ابن الشلمغاني فدخل الى دار حجبة حامد مغموماً وأخذ يشكو مايجده الى الحاجب ويتشاكيان ويقول: هذا الرجل يريد أن يقتلنا كلنا بعده وأن لايبقي لنا باقية، ياقوم ! أي شيء نعمل بنفسه؟ قال فهو كذلك؛ اذ دعا حامد بحاجبه وقد قام عن مجلسه ورد حامد المحسن الى محبسه بعد ماجرى . وقال للحاجب : ويحك أين ابن الشلمغاني؟ فقال عندي في الحجرة ، قال فما قال؟ قال لم يقل شيئاً . فأمسك كالخجل، ثم قال: هاته ؛ فلما جاء قال ياأبا جعفر من حق مودتي لك أن تتوافا[1] لأعدائي وتقوم عن مجلسي اذا رأيتني أوقع بأعدائي ؟ فقال نصف أو نقول صدق الأمير ؟ قال اسمع وانصف . [قال] أيها الوزير هذا رجل سألتك فيه فاعمل[2] انه كان بقالاً لابن وزير أنت تعلم حاله وقديم رياسته ، فما كان يحسن ان تردني فيه، ولا ان رددتني تسومني الجلوس وحضور من شفعت فيه ، ثم أنت تعلم أن الأيام دول وان لهذا الفعل عاقبة يكفيك الله إياها ، فأي شيء يضرك من سلامة مهجتي في حال العافية وافلات نعمتي من شر هؤلاء وان يقولوا غداً اذا هتنا[3] ولم يشفع لنا ولو كان نصحنا

(١) لم نجد له معنى مناسبا هنا ولعله من الوفاء .
(٢) كأنه يريد معنى افرض وقدّر (٣) لعله انا أ هنّا .

ماخالفه الوزير معها بينهما ، وما قعد ليشاهد صفعنا الا تشفياً منا ،وأسيء شيء أحسن بك أن تنسب حاشيتك ومن اخترته لمودتك وأنسك الى الخير وبعدك من الشر، فيقال انه لو لم يكن خيراً لما استصحب الأخيار،وإنما يحمله على مافعله الغضب والحاجة إلى المال،والا فالخير طبعه والغالب عليه،ولا يقال انه شرير جمع الأشرار حواليه ، واعلم اني ما قمت من مجلسك الا وقد وضعت في نفسي أنك تنكبني وعلمت أني قد اسأت أدبي واني غير آمن من عجلتك من نكبتي ، ولكن قلت اكون على حق ومتمسكاً بحجة وحزم وان جنى عليّ وان سلمت فبفضل الله وان هلكت فالله يخلصني . قال فخجل حامد واعتذر اليه وقال اخرج الآن وخذ يد المحسن وتوسط أمره وخفف محنته هـ

* * *

وجدت بخط المهلبي الوزير كتاباً الى أبي سلمة أهداه الي وقال هذا كتابه اليه وهو بالخط الذي أعرفه وفيه لنفسه :

وصل الكتاب طليعةالوصلِ بغرائب الإفضال والفضلِ
فشكرته شكر الفقير اذا أغناه رب المالِ[1] بالبذل
وحفظته حفظ الأسير اذا[2] ورد الأمان له من القتل

ووجدت بخط أبي محمد كتاباً الى ابي القاسم بن بلبل كتبت[3] اليه به وهو صغير الحال جداً وفيه :

طلع الفجر من كتابك عندي فمتى باللقاء[4] يبدو الصباحُ

(١) في يتيمة الدهر ٣ / ١٥ « المجد » مكان « المال »
(٢) « « « « وقد » مكان « اذا » (٣) لعل صوابه كتب
(٤) « « « ٣ / ١٥ « للقاء » مكان « باللقاء » .

ذاك ان تم لي فقد عذب انعيـ ش ونيل المنى وريش الجناحُ

وله الى غيره :

جاد لي بالكتاب[١] من صرف دهري بكتاب يسرني أو رسولِ
فعلى قدر ما تكلف من وصـ ـم لي بعلي بقطعه للوصول
أشكر البذل من جواد وان زا د الى البذل جاءني من بخيل

وله أيضاً :

أمثلي يا أخي وشقيق روحي[٢] يفارق عهده عند الفراقِ
ويسلو سلوة من بَعد بُعد وينسبه الشقيق الى الشقاق
واقسم[٣] بالعناق وتلك أوفى وأشفى من يميني بالعتاق
لقد الصقت بي ظناً ظنيناً تجافى جانباه عن الالصاق[٤]

وله أيضاً :

فديت أخاً يواصلني بكتب أسرَّ من البشارة حين تاتي
أخ لم يرض لي بالوصل حتى حباني بالتحية[٥] من حياتي

وله أيضاً :

ورد الكتاب فديته من وارد[٦] فيه لقلبي من حياتي موردُ
فرأيته كالدر نضد عقده في كل فصل منه فصل مفرد

* * *

حدثنا أبو منصور التشوري وكان من الجند المولدين قال : كنت

(١) لعله بالعتاق (٢) في معجم الأدباء لياقوت ٩/ ١٣٩ : قسيم نفسي
(٣) في معجم الادباء : فاقسم (٤) في معجم الأدباء : طلباً قبيحاً ، التصاق
(٥) التحية : البقاء (٦) في يتيمة الدهر ٢/ ١٥ « فله » مكان « فيه »

أخدم وانا حدث في دار نصر القشوري المرسومة بالحجبة من دار المقتدر بالله، فركب المقتدر بالله يوماً على غفلة وعبر الى بستان الخلافة المعروف بالزبيدية وأنا مشاهد لذلك في نفر في الخدم والغلمان، وتشاغل أصحاب الموائد والطباخون بحمل الآلات والطعام وتعبينها [١] في الجون فانفلت [٢]، وأعجل هو في طلب العظام [٣]، فقيل له لم يحمل بعد، فقال انظروا ما كان، فخرج الخدم مخفرين [٤] ليس يجسروا يعودوا فيقولوا ما جاء شيء. وهم يتشاورون فيما يفعلونه، فسمعهم جعفر ملاح طيار المقتدر فالرئيس [٥] على الملاحين برسم الخدمة عليهم [٦]، قال فهاتم مامعه، فاخرج من تحت الطيار جونة مليحة خيازر [٧] لطيفة فيها جدي بارد وسكباج مبرود وبزماورد [٨] وآدام وقطعة مالح منقور [٩] طيبة وأرغفة سميذ جيدة وكل ذلك نظيف، واذا هي جونة تعمل له في منزله في كل يوم. تحمل اليه فيأكلها في موضعه من الطيار ويلازم الخدمة. فلما حملت الى المقتدر استنظفها وأكل منها واستطاب المالح والآدام فكان أكثر اكله منه. ولحقته الأطعمة من مطبخه فقال ما آكل اليوم الا من طعام جعفر الملاح، فأتم اكله منه وأمر بتفريق الطعام على من حضر. ثم قال قولوا له هات الحلوا، فقال نحن لا نعرف الحلوا، فقال المقتدر ماظننت ان في الدنيا من يأكل طعاماً بلاحلوا بعده، فقال الملاح

---

(١) لعله : تعبيتها (٢) لعله : فأنقلت (٣) لعله : الطعام

(٤) لعله : محصرين (٥) لعله فقال للرئيس (٦) لعله سقط مامعناه (معي طعام) (٧) خيازر جمع خيزران (٨) طعام من البيض واللحم فارسي راجع مجلة المجمع م ٣ ص ٣٣٧ (٩) لعله عقور يقال مقر السمكة المالحة نقعها في الخل.

حلوانا التمر والكُسْب[1] فان تنشط له أحضرته ، قال لا هذا حلوا صعب لا أطيقه فاحضرونا من حلوانا ، فاحضرت عدة جامات فأكل وجلس للشرب ، ثم قال لصاحب المائدة : اعمل في كل يوم جونة تنفق عليها مابين عشرة دنانير الى مائتي درهم وسلّمها الى جعفر الملاّح تكون برسم الطيّار أبداً ، فان ركبت يوماً على غفلة كما ركبت اليوم كانت معدّة ، وإن حان المغرب ولم أركب كانت لجعفر . فعملت الى ان قتل المقتدر ، وكان جعفراً يأخذها وربما حاسب عليها الأيام وأخذها دراهم ، وما ركب المقتدر بعدها على غفلة ولا احتاج اليها .

ويشبه هذا مابلغني عن المعتضد انه طلب يوماً لوناً من طعام ، فقيل له ماعمل اليوم ، فانكر ذلك وقال : يجب ان لا يخلو المطبخ من كل شيء حتى اذا طلب لم يتعذر ، ووقع الى ديوان النفقات باقامة ذلك اللون الى ان يرد التوقيع بقطعه ، فكان يصلح وينفق عليه دراهم كثيرة ولا يحضر المائدة توقعاً ان يطلبه فيقدم عند الطلب كما رسم ، فمضى على ذلك سنة ولم يطلبه ، ثم رفعت اليه حسبة وكان يقف بنفسه على حسباناته ، فرأى ما انفق على ذلك اللون في طول السنة فاستهوله وقال استغفر الله ينفق لي من مال المسلمين على لون لم آكله هذا كله انّ هذا لعين السرف ، اقطعوا عمله ولا يقع معاودة لمثل هذا في هذا ولا في غيره . وقالوا كان اللون جزورية فكان يذبح له الطباخ في كل يوم قلوصاً فلذلك عظمت النفقة ، وقالوا بقرية[2] فكان يذبح في كل يوم عجلاً ، وقالوا مضيرة[3] بفراريج كل ذلك سمعته .

(١) هو عصارة الدهن وثفله (٢) لعله بقرية مثل جزورية (٣) المضيرة طعام يتخذ من اللبن الحامض

حدثنا ابو سحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الشاهد المعروف بالطبري قال: حدثنا أبوبكر بن صالح الأبهري الفقيه المالكي وهو باق إلى الآن ومحله مشهور في الورع والعلم، قال: رأيت في المنام رجلاً من الزهاد – ذكره لي – وكأني اطلبه، فخرج عليّ من بين نخل وعليه فوطتان متزر بإحداهما متشح بالاخرى كأنه سندي، فقلت له: قل لي شيئاً او عظني بشيء. فقال: قل اللهم قصر أملي وحسن عملي واستنقذني من ذل الطمع.

* * *

وحدثنا قال: حدثنا جعفر الخلدي الصوفي قال: حدثني الخواص الصوفي (١) قال: ركبت في البحر مع جماعة من الصوفية، فلما اوغلنا فيه كسر بنا وركبنا خشباً من خشب المركب ونجا منا جماعة، فوقعنا الى ساحل لا ندري أين هو ولا ماهو، فأقمنا فيه أياماً لانجد ما نقتاته واحسسنا بالملاك فاجتمعنا وقال بعضنا لبعض: تعالوا حتى نجعل لله عز وجل على انفسنا إن هو خلصنا من هذا المكان واجباً أن ندع له شيئاً، فقال بعضنا: لا افطر الدهر، وقال بعضنا: اصلي كل يوم كذا وكذا ركعة، وقال بعضنا: ادع الكذاب، إلى أن قال كل واحد من الجماعة شيئاً، وقالوا لي: ماتقول أنت؟ فقلت: لا آكل لحم فيل أبداً، فقالوا: ماهذا الهزل في مثل هذا الموضع؟ فقلت: والله ماتعمدت الهزل ولكني منذ بدأتم اعرض على نفسي شيئاً ادعه لله عز وجل، فلا تطاوعني نفسي الى غير هذا الذي لفظت به، وما قلت إلا ما اعتقدته. فقالوا لعل لهذا أمراً. وتفرقنا بعد ساعة نطوف تلك الأرض نطلب شيئاً للأكل، فوقعنا على فرخ

(١) الفرج بعد الشدة ٢ / ٧٣

فيل في نهاية السمن، فأخذه أصحابنا واحتالوا فيه (١) حتى ذبحوه وشووه ، وقالوا تقدم فكل ، فقلت منذ الساعة تركته لله عز وجل ، ولعل ذلك الذي جرى على لساني من ذكره انما هو سبب موتي لأني لم آكل منذ أيام شيئاً ، ولا أطمع في شيء آخر آكله وما يراني الله انقض (٢) عهده فكلوا ، واعتزلتهم . فأكلوا وشبعوا وعاشوا وأقبل الليل فتفرقوا في مواضعهم التي كانوا يبيتون فيها واويت الى أصل شجرة كنت ابيت عندها ، فلم يكن الا ساعة واذا بفيل أقبل من الموضع الذي استخرجنا منه الفرخ ، وهو ينعر والصحراء قد امتلأت بنعيره وشدة وطأته وهو يطلبنا، فقال بعضنا لبعض : قد حضر الأجل ، فاستسلموا وطرحوا أنفسهم الى الأرض على وجوههم ، فجاء الفيل وجعل يقصد واحداً واحداً فيشمه من أول جسده الى آخره فاذا لم يبق منه موضع الا شمه شال احدى قوائمه فوضعها على الرجل حتى يفسخه فاذا علم أنه قد تلف شال قائمته وقصد الآخر ففعل به مثل فعله بالأول ، على هذا إلى أن لم يبق غيري وأنا جالس منتصب أشاهد ما يجري وأدعو واستغفر ما طرحت نفسي ولا هربت الى أن قصدني ، فحين قرب مني طرحت نفسي على ظهري فجاء حتى تشممني من سائر أعضائي او اكثرها كما فعل بأصحابي ثم أعاد تشممي مرتين أو ثلاثاً ولم يكن فعل ذلك بهم ، ثم لف خرطومه علي وشالني في الهواء فقلت هذه قتلة اخرى يريد ان يقتلني بها فما نحى خرطومه عني حتى جعلني فوق ظهره ، فانتصبت جالساً وحفظت نفسي وحمدت الله سبحانه على تأخر القتل وجعلت أعجب مرة واتوقع القتل أخرى ، والفيل يهرول ويسرع الى ان أضاء الفجر فوقف وأصعد خرطومه

(١) بالأصل : واجالوا والصواب في الفرج بعد الشدة . (٢) بالاصل : ان انقض

الي، فقلت: حضر الأجل، فلفه علي وأنزلني على رفق إلى الأرض وتركني عليها وجعل يسعى في الطريق التي جاء منها، وأنا لا أصدق فلما بعد عني حتى لم أره اقبلت أدعو وأصلي، وتأملت موضعي واذا انا على محجة فمشيت عليها نحو فرسخين فاذا بلد عظيم قد لاح لي فقصدته ودخلته فإذا هو بلد من بلدان الهند عظيم وذكر اسمه. قال: فعجب أهله مني وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها، فزعموا أن الفيل قد سار في هذه الليلة الواحدة مسيرة أيام وتسببت الى الخروج من عندهم والنقلة من بلد إلى بلد حتى حصلت في بلدي سالمًا.

* * *

قال حدثني جعفر قال: ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير الصوفي [1] وقلت له: زودني شيئًا، فقال: ان ضاع منك شيء واردت [2] أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، اجمع بيني وبين كذا، فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان.

قال فجئت الى الكتاني الكبير [3] الصوفي فودعته، وقلت له: زودني شيئًا، فأعطاني فصًا عليه نقش كأنه طلسم وقال: اذا اغتممت فانظر إلى هذا فان غمك يزول. قال: وانصرفت فما دعوت الله بتلك الدعوة في شيء الا استجيبت ولا رأيت الفص وقد اغتممت الا وزال غمي، فانا ذات يوم أعبر قد توجهت الى الجانب الشرقي من بغداد حتى هاجت ريح عظيمة وأنا في السميرية والفص في جيبي فأخرجته لأنظر اليه فلا أدري كيف ذهب مني

(١) اسمه ابو الحسن علي. المتوفى ٣٢٨ راجع كتاب الانساب للسمعاني ٥٢٧

(٢) لعله: او اردت (٣) هو ابوبكر بن محمد بن علي ابن جعفر المتوفى ٣٢٢ راجع طبقات الشعراني.

في الماء أو في السفينة أو ثيابي ، فاغتممت غمّاً عظيماً فدعوت الله تعالى وعبرت وما زلت (أدعو) الله تعالى بها يومي وليلتي ومن غد واياماً فلما كان بعد ذلك أخرجت صندوقاً فيه ثيابي لألبس[1] شيئاً منها ، ففرغت الصندوق فاذا أنا بالفص في أسفل الصندوق فأخذته وشكرت الله عز وجل .

* * *

وحدثني ابو الحسن احمد بن يوسف بن البهلول التنوخي قال : حدثني احمد بن الطيب قال كنت بحضرة المعتضد فجاء رجل يصيح بالباب « نصيحة » فأخبر بذلك فقال : أخرجوا اليه وقولوا له يذكرها ، فعاودوا[2] وقالوا قد قال لا أذكرها إلا لأمير المؤمنين ، فقال قولوا له ان لم تكن نصيحة بالغت في عقوبتك ، فخرجوا وعادوا فقالوا قد قال رضيت ، فأدخل وأنا حاضر فسلم على الخليفة ، فقال مانصيحتك؟ فقال رقية وقعت إلي تحبس السم عن الملسوع في الحال ، فقال المعتضد هاتوا عقرباً قال فكأنها كانت معدة فأتي بها في أسرع وقت فاومى الى الخادم بحضرته فطرحت عليه فلسعته فصاح فقال له الرجل : ارني موضع اللسعة فأراه فأخرج حديدة لاحد لها وجعل يمسح بها من أعلى موضع اللسعة والسم الى أسفل ويقول :(بسم الله اوم سرا ومرسهل بنى تبعه كروارى ابهح ابهح نهشن بهوذا له مهز استروم لوبه قرقر سعهله)[3] ويكرر ذلك دفعات الى أن قال الخادم قد سكن الوجع عن بدني كله[4] الا موضع اللسعة فاني احس منه بقية ، قال أعطوني ابرة فجاءوه بها ففتح الموضع

(١) الكلمة مطموسة (٢) الصواب : فعادوا (٣) في شمس المعارف البوني مايشبه هذا (٤) لعله : كلها

فخرج منه شيء أصفر وقام الخادم معافى ، فأمر المعتضد فكتبت الرقية وخلدت (في) الخزانة وأمر للرجل بجائزة سنية .

قال لي ابو الحسن : وقد جربت على الزنبور فصحت . وسبيلها ان تجرب على الحية لأن قوله تحبس السم يدخل كل ذلك تحته ، وأنا رأيت أحمد بن يوسف يرقي بهذه الرقية على هذا الموضع فيقوم الملسوع من بين يديه يمشي وهو معافى

حدثني ابو الفرج المعافا بن زكريا الفقيه على مذهب أبي جعفر الطبري أحد خلفاء قاضي القضاة على بعض السواد قال : حدثني أبو طالب بن البهلول القاضي عن رجل عن أبي الطيب[1] بهذه الحكاية عن هذا[2] وانسي أبو الفرج اسم الرجل ولا أشك والله أعلم انه ابو احمد الرازي : هذه الحكاية منتشرة جداً في آل البهلول عن هذا الرجل عن أبي الطيب[1] وجميعهم يرقي بها وينقلها قولاً وعملاً

* * *

انشدني ابو الحسن علي بن هارون بن يحيى بن المنجم لنفسه ، وكتب بها الى علي بن هارون بن خلف بن طياب في غيبة كان غابها وتأخرت عنه كتبه وفيه صنعة لأبي الحسن بن طرخان :

بيني[3] وبين الدهر فيك عتابُ ... سيطول ان لم يمحه الإعتابُ
ياغائباً بوصاله ومزاره[4] ... هل يرتجي من غيبتيك اياب
ماغاب من لم ينأ صفو وداده[5] ... وان ابوا غياب

(١) يريد احمد بن الطيب ولعل كنيته ابو الطيب (٢) لعله يريد: بينها
(٣) ارشاد الاريب ٥ / ٤٤٣ (٤) في الارشاد : وكتابه
(٥) بياض بالأصل والبيت ليس موجوداً في الارشاد

لولا التعلل بالرجاء تقطعت نفس عليك شعارها الاوصابُ

لا يأس من روح الإله فانه يصل القطوع ويقدم[1] الغياب

فاذا دنوت مواصلا فهو المنى سعد المحب وساعد الاحباب

واذا نأيت فليس لي متعلل الا رسول بالرضا وكتاب

* * *

أنشدني ابو الفرج احمد بن علي بن يحيى بن المنجم لنفسه والقافية في الابيات كلها لفظة واحدة باختلاف المعنى :

سيدي انت ومَن عادتهُ باعتداء او بجور جاريه

وهذه الابيات قد مضت في غير هذا الجزء من الكتاب ·

* * *

انشدني الاستاذ ابو احمد الحسين بن محمد بن سليمان لنفسه :

أيا من قده أَلِفٌ ويا من صدغه لامُ

لقد أكثرت لوّامي ولو أنصفت مالاموا

* * *

وأخبرني شاهد من الشهود ببغداد المقبولين وسألني أن لا أذكر اسمه وهو حي فلذلك لم أسمه قال : كنت احد الشهود الأربعة الذين ادخلوا مع قاضي القضاة ابي محمد وهو إذ ذاك غير متقلد شيئاً من الأعمال، ومعنا ابو بكر الاصفهاني صاحب سبكتكين التركي مولى معز الدولة لما وثب على الأمر وتسمى بالإمارة ،فأدخلونا وليس معنا سابع حتى شهدنا على المطيع لله بأنه قد

(١) في الارشاد : ويحضر

خلع نفسه وقرأنا عليه رقعة الخلع وقررناه بما فيه وخرجنا ، فأُدخلنا الى دار اخرى من دور الخلافة ، حتى حصلنا بحضرة الامير ابي بكر عبد الكريم بن المطيع ، فبايعناه بالخلافة وسلمنا عليه بها وخرجنا فجلسنا في مجلس قريب من مجلسه لنوقع خطوطنا بالشهادة من كتاب الخلع ، قال : واستسقى أمير المؤمنين الطائع ماء فجاء بعض الخدم بكوز فيه ماء فشربه وخرج ، فرأينا الكوز وكنت عطشانا فقلت له : يا استاذ اسقني فجاءني بماء في ذلك الكوز بعينه فشربت منه وكتبنا خطوطنا وخرجنا .

يتبع

* * *

مخطوطات ومطبوعات

جواهر البيروني

طبع العلامة كرينكو Krenkow حتى الآن مجموعة من أهم المخطوطات العربية منها « جمهرة اللغة لابن دريد » في ثلاثة مجلدات مع فهرست في مجلد ضخم ومنها «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني» في أربعة مجلدات ومنها « كتاب التيجان في ملوك حمير وأخبار عَبيد بن شَرْيَةَ » و « كتاب الحماسة لابن الشجري » و « أخبار النحويين البصريين للسيرافي » ومنها « ديوان طفيل الغنوي وديوان الطِرِمّاح بن حكيم » و«قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير» و«شعر أبي دهبل الجمحي » و «طبقات النحاة لأبي بكر الزبيدي» و « ديوان مزاحم العقيلي »و « كتاب المجتبى لابن دريد » و « ديوان النعمان بن بشير » وفي ذيله « ديوان بكر بن عبد العزيز العجلي » و « الكتاب المأثور لابن العميثل الاعرابي » و « المناظر لكمال الدين الشيرازي شرح كتاب المناظر لأبي الهيثم البصري » . وهذب كتاب «معاني الشعر الكبير »لابن قتيبة، وكتاب « اعراب ثلاثين سورة » لا بن خالويه، والمجلدات الثلاثة الأخيرة من « التاريخ المنتظم » لابن الجوزي ،و « المؤتلف والمختلف »و « معجم الشعراء » لابن المرزبان ،و « ديوان المعاني » لأبي هلال العسكري . الى غير ذلك مما طبع من المقالات في المجلات الألمانية والانكليزية والايطالية والعربية وغيرها مما يعجز مجمع علمي منظم أن ينشر مثله في نصف قرن ، وبهذا الامتاع وسعة الاطلاع . ويلومني بعد هذا بعضهم أني أكثر من التنويه بعلماء المشرقيات ولو كان اللائمون على شيء من العلم خدموا به ناحية من النواحي لعذرتهم ولكنهم من الجماعة الذين لم ينشروا ورقة من آثار السلف ، وليس لهم من رأس مال إلا الثرثرة ، لايعملون ولا يتركون غيرهم يعمل . وعلماء المشرقيات يأتوننا كل يوم ببرهان على تحمسهم في إحياء تراث الأمة العربية ، ونشهد في حركتهم اثرهم

العظيم في وقوفنا على عظمة أجدادنا يناودوننا بلسان الحال : انكم معاشر العرب مهما كان من نهضتكم اليوم فهي لاتعادل جزءاً صغيراً مما كان لأجدادكم في القرون الوسطى وقبلها ، أيام كانت الأمم كلها غارقة في لجج من الجهل بعيد ساحله ، وكان العرب وحدهم أصحاب الشأن في العلم والسياسة .

وآخر درة من تلك الدرر التي أظهرها الاستاذ كرينكو كتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » من تأليف أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ . والبيروني أعظم رياضي في الإسلام نشأ في خوارزم وتنقل في خراسان والهند وغيرها من بلاد الشرق وهو من أصل ايراني ، لم يطبع له سوى كتابين : كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » و « الآثار الباقية عن القرون الخالية » من أصل كتبه الكثيرة التي رأى فهرستها ياقوت الحموي في وقف الجامع بمرو في نحو ستين ورقة بخط مكتنز وهي في النجوم والهيئة والمنطق والحكمة والطب والاقرباذين . وقال البيهقي إنها وقر بعير وكتاب الجماهر هذا بداه بترويحات عن النفس تكلم فيها على مسائل من العلم تروق المطالع وتروضه . ثم تكلم على ماعرف من الجواهر في عهده وعرض لمعادنها وخواصها والغريب منها ، ولما ورد في أشعار العرب من ذكرها . وقال الناشر إن هذا الكتاب يفوق سائر الكتب في أوصاف الجواهر والفلزات لأن المؤلف كان أول من اثبت الثقل النوعي لأكثر الجواهر والفلزات ، وعلم أن هذا الثقل النوعي يمنع من الغش ، اذ لكثير من الجواهر الثمينة مشابهات في اللون والمائية لا تميز إلا بالصلابة والثقل .

وقال ان البيروني يورد أخباراً عن فرائد الجواهر واثمانها في وقته ويتوسع في المسائل اللغوية . وعجب من جودة معرفته لدواوين الشعراء ، ولوجود هذه الدواوين في مدينة غزنة في عصره استدل على انتشار العلوم العربية يومئذ في شرقي خراسان . وقال ان من مزايا هذا الكتاب ان يذكر المؤلف أثناء تعريب الجواهر اسماء لغوية كثيرة لاوجود لها في المعاجم واسماء اجنبية من لغات كثيرة تدل على

تعمق البيروني في هذه اللغات وهذا علم لم نجده في غيره من علماء الإسلام ، ولهذا لانبعد عن الحق إذا عددنا البيروني من أكبر علماء القرون المتوسطة .

وقع هذا الكتاب في ٢٧٢ ص عدا الملاحق والفهارس وطبع في حيدر آباد الدكن في الهند وعلق عليه صديقنا فريتز كرينكو تعليقات أتى فيها على اختلاف النسخ وجلى بعض الأماكن الغامضة بما دل على سعة اطلاعه على الآداب العربية ، وعارضه على ثلاث نسخ وأصحها مانسخه محمد بن احمد المعروف بابن خطيب داريا الدمشقي المتوفى سنة عشر وثمانمائة ، وكان من اعلام الأدب والشعر في عصره يضرب في كل فن بسهم .

وقد جاء في خلال الكلام على المعادن والجواهر فوائد اعتاد الباحثون أن يقعوا عليها في تآليف البيروني منها (ص ٥٠) انه وقع اليه كتاب مكتوب في الشام في زمان عبد الملك بن مروان قد اشتمل على نكت من هذا الفن وقيمة الجواهر في وقته . وهذه الجملة يصح أن تكون وثيقة تاريخية يحتج بها على من أفرطوا في الحط من قدر العرب وادعوا انه لم يعهد لهم تدوين قبل القرن الثاني من الهجرة مع أن التدوين بدأ على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

كتب البيروني كتبه كلها باللغة العربية كسائر علماء الإسلام من اصول العجمية . وكان معجباً بالعرب ولغتهم اعجاباً عظيماً تجلى ذلك في كتبه . وقد قال مرة أن الهجو بالعربية أحب اليه من المدح بالفارسية . قال وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسود وجهه ، وزال الانتفاع به ، ولا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية . ويذكر قوله هذا بما قال العلامة الزمخشري في رده على الشعوبية أعداء العرب « إنهم لايجدون علماً من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها ، والكلام في معظم أبواب الفقه ومسائلها إلا وهو مبني على العربية ، وان بهذا اللسان مناقلتهم في العلم ومحاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم ، وبه تصرّ في القراطيس أقلامهم ، وبه تسطر الصكوك والسجلات حكامهم »

وقال البيروني (ص ٧١) وفي أخبار الفرس التي لا تخلو من زياداتهم لتفخيم أمر الأكاسرة وتفضيل ملكهم والمملكة التي لهم . والبيروني كسائر الفلاسفة يكره التزيد وقال (ص ٨١) ان جميع ما في العالم يستحيل بعضه الى بعض بحسب امتداد زمانه ولكن هذا طريق الشعراء من الإغراق في المدح بالأكاذيب . وذكر في (ص ٢١٥) مجري الخماهن والكرك وان الشيعة يناكدون السنة بالتختم بأبيضها والسنة يناكدون الشيعة بالتختم بالسواد فيأتون بالعلم الأسود والعلم الأبيض مكان العقيدة والمذهب ، فساءه ذلك وهو السني المعتدل ، فكان يجمع بين هذين الفصين في زوج خاتم كياداً للفريقين معاً .

وهكذا يعلم الناس العلم ويعلمهم الاعتدال ، ويبغض اليهم التزيد ويكره ذلك من أهل كل مذهب وجيل وطائفة ، ومما قال (ص ١٠٤) وأكثر أصحاب اللغة يجمعون المسموعات في كل طائفة وقبيلة ويفسرون بذلك على المستفيد ضبطها من غير فائدة لهم فيها سوى الإغراق في التفاخر والتكاثر حتى انهم طرحوا الأمانة وصاغوا للاستشهاد فيها شعراً طوقوه أهل المقابر وسموه بالأول والآخر عملاً بما قيل في الوصايا : اذا أردت أن تكذب فكن ذكوراً ، ولا تستشهد بحي حاضر يرده عليك ، واقصد فيها الموتى فانه غيب إلى الأبد .

محمد كرد علي

علم الأمراض الباطنة

تأليف الدكتور حسني بك سبح في سبعة أجزاء

كتبت في المجلد الرابع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق كلمة موجزة عن الجزء الأول من هذا السفر القيم الذي يعد في عهدنا هذا خير كتاب طبي ألف باللغة العربية ، في علم الأمراض الباطنة على الطريقة المدرسية الحديثة ، جمع إلى غزارة المادة وسعة الموضوع وسمو المطلب براعة التبويب وحسن الاسلوب وسهولة التعبير وفصاحة اللفظ وجودة الطبع وجيد الورق .

وها أني أقدم لقراء هذه المجلة كلمة مختصرة ، عن الأجزاء التي تلته وهي :

الجزء الثاني

الأمراض الانتانية والطفيلية

طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م عدد صفحاته ٩٦٦ ص

بحث المؤلف في مطلع هذه الحلقة ، من الأمراض الباطنة ، في كليات الأمراض الانتانية والطفيلية ، من حيث العلل والاسباب والعوامل والأمراض العامة . والدفاع البدني والاعراض والآفات التشريحية العامة والتشخيص والوقاية . ثم درس في الأقسام التالية انتان الدم على اختلاف عوامله والحميات الاندفاعية والانتان بالحماة الراشحة وبالعوامل المجهولة ثم الامراض الانتانية الناشئة عن الجراثيم المعلومة ثم الأمراض الطفيلية . وقد عني المؤلف في كل من هذه الأبحاث بدرس الأسباب والتشريح المرضي والاعراض حسب أدوار المرض والأشكال السريرية والاختلاطات والتشخيص والانذار والوقاية والمعالجة باسهاب وتفصيل لاسيا في الأمراض التي تكثر مشاهدتها في سورية وفي البلاد العربية . واختتم المولف هذا الجزء بمعجمين احدهما من العربية الى الفرنسية والثاني من الفرنسية الى العربية جمع في كل منهما الألفاظ والمصطلحات التي وردت في هذا الجزء .

الجزء الثالث

أمراض جهاز التنفس

طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م عدد صفحاته ٩٧٠ ص

نسج المؤلف في درسه أمراض جهاز التنفس على منوال ماجاء في الجزء الثاني فبحث أولاً في كليات هذا المطلب من حيث تشريح جهاز التنفس وفيزيولوجيته في الصحيح وفي المريض والأسباب العامة في أمراض هذا الجهاز والاستدلال الوظيفي والسريري وطرق استقصاء جهاز التنفس وطراز فحص المصاب بعلة تنفسية والوقاية والمعالجة العامة . ثم أخذ بدرس أمراض هذا الجهاز على التفصيل حسب أقسامه التشريحية مبتدئاً بجزئه العلوي حيث الأنف والبلعوم الأنفي والحنجرة والرغامى والقصبات ثم انتقل الى الرئتين فبحث في اضطراب الدوران الرئوي ثم في أمراضها

الحادة فالمزمنة ثم السل الرئوي مختتماً بأمراض غشاء الجنب والجنابات القيحية وغيرها ٠

ويحوي هذا الجزء أيضاً معجمين أحدهما من العربية الى الفرنسية والثاني من الفرنسية الى العربية جمع في كل منهما الألفاظ والمصطلحات التي وردت في هذا الجزء ٠

الجزء الرابع

أمراض جهاز الهضم

طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م عدد صفحاته ١٦٤ ص

يمتاز هذا الجزء على الأجزاء السابقة بزيادة عدد صفحاته وغزارة مادته ووفرة الرسوم والصور والتوسع في مبحث الاختبار والاستدلال بالوسائل المخبرية المختلفة الشعاعية والكيميائية والحكية وفي طرق المعالجة وانواع القوام الغذائي مما يندر جمعه في كتاب واحد ٠

ويقسم الكتاب الى مبحثين عامين الأول في أمراض انبوب الهضم ويحوي أمراض الفم والبلعوم والمري والمعدة والامعاء والثاني في امراض توابع هذا الانبوب وهي البانكرآسي والبريطون والكبد وفيه الطرق الصفراوية ٠ وخير كلمة تقال في هذه الحلقة انها جامعة لما وصل اليه فن الطب الحديث مما يحتاج اليه الطالب والطبيب الممارس في مبحث أمراض جهاز الهضم ٠ وفي هذا الجزء أيضاً معجمان احدهما من العربية الى الفرنسية والثاني من الفرنسية الى العربية حوى كل منهما الألفاظ والمصطلحات التي وردت في هذا الجزء ٠

فلسفة الطب

أو علم الأمراض العام

تأليف الدكتور حسني بك سبح

طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٥٨ — ١٩٣٩ عددصفحاته ١٠٧٠ ص

عنى المؤلف بكلمة (فلسفة) كليات الطب وهو الاسم الذي اطلقه الأقدمون على هذا العلم ككليات ابن رشد التي نشرها حديثاً معهد فرانكو لتقدم العلوم في اسبانيا وما زال

يطلقه عليه علماء العصر الحاضر . وذلك لأن كلمة فلسفة ابعد غاية مما تقف عنده مباحث هذا العلم في العهد الحاضر .

درس المؤلف في هذا الكتاب غاية الطب ووسائله فبحث في الاسباب والمؤثرات المختلفة وفي ارتكاس البدن أي مقاومته هذه الاسباب ثم انتقل الى التغذية والتبادل الغذائي فدرس التطور الاساسي ثم اضطراب التغذية ثم تطور الأغذية العضوية وماءات الكاربون والمواد الدهنية والاجسام المعدنية واضطرابها . ثم بحث في الجملة العصبية النباتية والغدد الصم فدرس الاضطرابات الوظيفية في المخ والدماغ المتوسط والبصلة السيسائية والنخاع الشوكي والمنعكسات والحس الحشوي والتدجج والاعصاب وصلة كل من ذلك بالتعصب النباتي . ثم اخذ بدرس الغدة الدرقية ومجاورات الدرق والتوتة والكظرين وجزيرات البانكرآس والنخامية والصنوبرية والتناسلية واختتم هذا البحث بنظرة اجمالية في التنظيم النباتي واضطرابه .

وفي نهاية الكتاب معجمان أحدهما من العربية الى الفرنسية والثاني من الفرنسية الى العربية حويا الألفاظ والمصطلحات التي وردت في هذا الكتاب .

تلك هي الأجزاء التي تم نشرها من المجموعة الطبية العربية القيمة التي أخذ بتأليفها الزميل الاستاذ حسني سبح عميد المعهد الطبي العربي بدمشق وأستاذ الامراض الباطنة وسريرياتها فيه في غضون ست سنوات متتابعة فسد بها فراغاً كبيراً في هيكل اللغة العربية وفي صرح كيانها العلمي كانت الجامعة الأميركية في بيروت والقصر العيني في القاهرة في بدء نشأتيهما اسدلا عليه ستاراً ماعتم حتى انكشف فله منها ومن أبنائها الشكر وأطيب الثناء .

اسعد الحكيم

منشورات المجمع العلمي المصري

في مصر مجمع علمي قديم معظم أعضائه من العلماء الأجانب . وبعضهم من علماء مصر المشهورين كالجراح علي باشا ابراهيم والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا . والدكتور احمد عيسى بك والدكتور طه حسين بك واحمد لطفي باشا السيد والدكتور منصور فهمي بك ، والاستاذ محمد خليل عبد الخالق بك والاستاذ علي مصطفى مشرفة بك وغيرهم .

وللمجمع المذكور اربع شعب الأولى للآداب والفنون الجميلة والآثار ، والثانية لعلوم الأخلاق والسياسة ، والثالثة للعلوم الطبيعية والرياضية ، والرابعة للطب والزراعة والمواليد . وقد وزع الأعضاء الأصليون على هذه الشعب كل على حسب اختصاصه . وللمجمع عدد من الأعضاء المؤازرين وعدد من الأعضاء المراسلين يقيمون في مصر او في الديار الأجنبية . ولغة المجمع الفرنسية . لكنهم ينشرون أيضاً بحوثاً بالانكليزية كما ينشرون خلاصة الجلسات بالعربية .

وفي نحو كل شهر يعقد المجمع العلمي المصري جلسة يخطب فيها بعض الاعضاء ملخصين أبحاثاً علمية بحثوها ونتائج استنتجوها ، ثم يقدمون الى مكتب المجمع نسخاً من هذه الابحاث فينشر منها ما يراه جديراً بالنشر إما مستقلة باسم « مذكرات مقدمة الى المجمع العلمي المصري » وإما ضمن مجلة يصدرها المجمع مرتين في السنة واسمها « نشرة المجمع العلمي المصري » . وقد صدر الى اليوم ٤١ مذكرة أي سفراً و ٢٣ مجلداً من النشرة المذكورة .

وأهم ما استرعى نظرنا من المذكرات التي صدرت حديثاً تلك التي نشر فيها الدكتور مايرهوف مخطوطة « شرح اسماء العقار » تأليف ابي عمران موسى بن عبيدالله الاسرائيلي القرطبي . وقد كتبنا عن هذه المذكرة بحثاً مستقلاً نشر في مجلتنا م ١٧ ص ٨٩

ومما استرعى نظرنا ايضاً مجلدان بالفرنسية في نباتات سورية تأليف مسيو تيابو J. Thiébaut . وهذا المؤلف الجديد الذي لا يشمل المجلدان المذكوران

إلا على جزء منه موضوع على طريقة استقرائية مفيدة . وهو أتم من كتاب بوست في هذا الباب اي أنه يحتوي على بضع مئات من الأنواع النباتية التي لم يتناولها أحد قبل المؤلف . فنتمنى أن يتم مسيو تيابو طبع هذا المؤلف الثمين كما نرجو ان يتاح له من يترجمه بالعربية .

أما الأعداد الأخيرة من نشرة المجمع أي مجلته ففيها عدد من الابحاث الجليلة منها مخطوط لقسطا بن لوقا البعلبكي عنوانه « كتاب في علل اختلاف الناس في أخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم » نشره الأب المحترم بولس سباط وترجمه بالفرنسية . ومنها بحث بالفرنسية عن كتاب الصيدلة في الطب للبيروني ، وآخر عن مفردات الغافقي ، وثالث عن مفردات الشريف الادريسي ، ورابع عن اول ذكر العرب للشاي ولاستعماله . وهذه الابحاث الاربعة للدكتور مايرهوف وقد جود فيها كثيراً .

ومنها بحث بالإنكليزية عن طبائع الطيور في واحة سيوة بقلم ر . ا . مورو R. E. Moreau ، والضغط البخاري وحجم قوة التيار الكهربائي بقلم الدكتور هـ . لوفي H. Lowy ووثيقة عن تاريخ الجالية الفرنسية في القاهرة ، وأوزان الشعر العربي وضبطها بالعلامات الموسيقية « نوطة » بقلم الأب فاشيني ، وديدان الأرض في مصر وهو بحث بالانكليزية للسيد ع . خلف الدويني ، الى غير ذلك من الأبحاث القيمة التي تدل على مبلغ جهود العلماء الذين يتألف منهم المجمع العلمي المصري

فنحن نتمنى للمجمع المشار اليه حياة مديدة في خدمة العلم والثقافة ، كما نتمنى ان يؤتى الوسائل الكافية فيترجم بالعربية ما أمكن ترجمته من الكتب والأبحاث المفيدة التي يخرجها على الناس بحلة قشيبة ومادة غزيرة .

مصطفى الشهابي

النقود العربية وعلم النميات

عني بنشره وتصحيحه الاستاذ الأب انستاس ماري الكرملي .

عدد صفحاته ٢٥٩ بقطع متوسط طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٩ .

جمع الاستاذ في هذا الكتاب ما اتصل به من التصانيف العربية القديم منها والحديث التي تبحث في النقود الاسلامية منها :

١ فصل النقود للبلاذري
٢ شذور العقود في ذكر النقود للمقريزي
٣ ماكتبه ابن خلدون في مقدمته عن السكة
٤ فصل الدنانير المسكوكة مما يضرب بالديار المصرية للقلقشندي
٥ تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر على مقتضى ماحدد بدار الضرب سنة ١٢٥٦ لمصطفى الذهبي الشافعي
٦ علم النميات للاستاذ الكرملي

قد اسدى الاستاذ بعمله هذا خدمة جليلة يشكر عليها ولا سيا بتنظيمه الفهارس المفيدة التي اختتم بها مجموعته فقرب بها على الباحث منال الانتفاع واعفاه من متاعب المراجعات . كنا نود ان تكون هذه المجموعة اصح مما سبق نشره منها اذ تبين لنا من المقارنة بأنها دونها عناية بالتصحيح مشحونة بأغلاط كان يمكن اجتنابها لو قدر الاستاذ عمل غيره ولم يبخسهم حقهم . فلو امعن في التدقيق لحقق له أن مخطوط كتاب النقود الذي اعتمده والنسخة التي اعتمدهـا احمد فارس قد استقت من ينبوع واحد حتى تشابهت اغلاطها وتكررت تصحيفاتها ووجدنا أن نسخة الاستاذ ماير (Mayer) — التي زعم الاستاذ الكرملي «أنه زادها تصحيفاً وتشويهاً وافساداً فأصبحت الحوراء عوراء» — هي اصح النسخ المعروفة لأنه نقلهـا بكل أمانة بالفتوغراف عن نسخة مصححة بخط المؤلف خالية من اجتهاد التصحيح وآفاته

وفيما يلي بعض ماأحصيناه من الأغلاط :

فصل النقود للبلاذري

صفحة	خطاء	صواب
١٠	فقدمت علينا المدينة وفيها	فقدمت المدينة وفيها
١٣	فاجمع انتقاداته معمول	فاجمع النقاد انه معمول
١٥	عبد الاعلى بن حماد البرمي	عبد الاعلى بن حماد النرسي
١٦	حدثني محمد بن سعد الواحدي	حدثني محمد بن سعد عن الواقدي
١٦	المطلب عبد الله بن حنظب	المطلب عبد الله بن حنطب

كتاب النقود للمقريزي

صفحة	خطاء	صواب
٢٩	مع المائة الحبة صنجة ثالثة	مع المائة الحبة صنجة ثانية ثم صنجة ثالثة
٣٢	وفي بعضها لا اله الا الله وحده وفي آخر مدة عمر وزن كل	وفي بعضها « لااله الا الله وحده » وعلى اخر « عمر » وجعل وزن كل
٣٢	عليها تمثال متقلدا سيفا	عليها تمثاله متقلدا سيفا
٣٤	خمسة عشر قيراطاً سوى	خمسة عشر قيراطا تبرا
٣٧	فاذا هو ٤ دوانيق جمعها وكل زيادة الاكبر على ..	فاذا هو ٤ دوانيق تبراً جمعها وحمل زيادة الاكبر على .
٣٧	كل ١٠ دراهم منها ستة دوانيق	كل عشرة دراهم زنة كل درهم منها ستة دوانيق
٤٣	اهل المدينة النبوية	المدينة النبوية
٤٣	يقبلها	يقلبها
٥٠	وبقيت الدولة العباسية في الترف	وتفننت الدولة العباسية في الترف
٥٥	من المال	من الرجال
٥٥	والصرف	وانصرف
٥٦	البريوية	البريطية
٥٦	من غشه ودنه	من غشه ودلسه

صفحة	خطاء	صواب
٥٧	على ديناره	على عيار ديناره
٤٨ و٥٧	السندي بن هاشك	السندي بن شاهك
٥٨	صارت مصر من يومئذ دار ملكه	صارت مصر من يومئذ دار خلافة بعد ما كانت دار امارة
٥٩	ابي علي المنصور بن المعز	الحاكم بامر الله ابى علي المنصور بن العزيز
٥٩	وترك من في يده شئ منها	وانظر من في يده منها شئ
٥٩	بدخول الفرس الشام ومصر	بدخول الغزمن الشام الى مصر
٥٩	في سنة ٥٦٩	في سنة ٥٦٧
٥٩	فرسم	فنقش
٥٩	المصارف	الضايقة
٥٩	غمهم من ذلك	عمهم من ذلك
٥٩	حرمة له	حرمة الغيور له
٦٠	الى ان دخل الملك الكامل .. فأبطل الدرهم الناصري	الى ان أبطل الملك الكامل ... الدرهم الناصري
٦٠	بالزيوف	بالورق
٦٠	الكامل	الكاملي
٦٠	الاتراك	مماليكهم الاتراك .
٦٣	....	قد تقدم ان الدراهم التي عملها عبد الملك بن مروان كان فيها ثلث فضائل وانا
٦٤	لأنه قال	فانه عليه السلام انما فرضها في الفضة
٦٤	سنة المفسدين	سبيل المفسدين
٦٤	واصلح ولا تتبع المفسدين	واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين

صفحه	خطأ	صواب
٦٤	اتبعوا قوما	اتبعوا اهواء قوم
٦٤	عملا بقوله	وكفى بقوله عليه السلام
١٥	تيمورلنك	بني تيمورلنك
٧٠	. . . .	واستدل بهذه الاية على اختصاص قريش بالخلافة

اما في كتاب التميات فقد اهمل عدد كبير ممن نقش اسماؤهم من العمال على النقود ولو استعان المؤلف باي فهرس من فهارس مجاميع النقود الاجنبية لتمكن من جمعها بكل سهولة كما أنه قد نسي من بين الدول التي انفصلت عن الخلافة العباسية الدولة الاخشيدية والفاطمية والدول الاسلامية في الأندلس وافريقية الشمالية .
حبذا لو استعاض عن صورة نقود صلاح الدين الخيالية المنشورة في ص : ٩٣ بصورة حقيقية مما شاع من النقود والسكك .
هذا والكتاب حافل بالفوائد وجدير بالمطالعة .

جعفر الحسني

المدرسة النظامية وتاريخها

تأليف الاستاذ السيد أسعد طلس

طبع في بوردو على نفقة مكتبة غوتنر الباريزية ١٩٣٩

AS'AD TALAS
La Madrasa Nizamiyya et son histoire, Paris 1939

كتاب قدمه الاستاذ أسعد طلس الى جامعة بوردو ونال به لقب دكتور في الآداب . يقع مع فهارسه في ١٢٢ صفحة وفي آخره خريطة لبغداد تبين موقع المدرسة النظامية وصورة للآثار الباقية من هذه المدرسة ومخطط وصورة للمدرسة المرجانية المنشأة على غرار النظامية وثبت المصادر وفهارس متعددة .

أحسن المؤلف في انتخاب موضوعه الدقيق الخطير ذلك أن امثال هذه الموضوعات

اذا درست تكون من مجموعها فكرة صحيحة عن التعليم ومعاهده في المدنية الإسلامية وقد أشار الأستاذ الى ذلك اذ وضع لكتابه عنواناً آخر كبيراً وهو التعليم عند العرب وقد بين المستشرق الاستاذ بلاشير خطورة الموضوع في كلمته التي صدّر بها الكتاب فقال: «ان هذا الكتاب يخرج عن النطاق الضيق الذي يخيل العنوان انحصاره فيه ويعطينا نظرة شاملة عن النشاط العلمي لقسم كبير من البشرية خلال عصور متعددة من تاريخها» وقد قسم المؤلف كتابه الى خمسة أقسام عدا كلمة التمهيد والمقدمة والخاتمة ٠

اما التمهيد فبين فيه غاية هذه الدراسة التي هي اظهار أثر المدرسة النظامية في مقاومة الباطنية والشيعية وفي تهيئة عمال للدولة من أهل سنة وأما المقدمة فقد استعرض في الفصل الأول منها حالة التعليم في القرون الأربعة الاولى للإسلام وذكر في الفصل الثاني معاهد التعليم التي أولها المساجد وحلقات القصاص والأماكن العامة كالمربد ومجالس الخلفاء والكبراء ثم ذكر الكتاتيب وبيوت القراء والمؤدبين وطرق التأديب وهو بحث مختصر قيم عن التعليم عند العرب وآراء بعض مؤلفيهم فيه كابن العربي وابن خلدون واعقب ذلك بذكر المدارس وابتداء ظهورها والمكاتب التي أنشأها الخلفاء وغيرهم كدار الحكمة المأمونية وأختها الفاطمية ٠ وعرض في الفصل الثالث لذكر الحالة السياسية في العالم الاسلامي على عهد نظام الملك ثم بحث في القسم الاول من الكتاب في حياة نظام الملك وأخلاقه وسياسته وآثاره وفي القسم الثاني منه يدخل في اصل الموضوع فيتكلم عن المدرسة النظامية من نشوئها والاحتفال ببنائها ووصفها ووصف مكنها وآثارها الباقية ويعرض بعد هذا لنظام المدرسة وادارتها من أوقات التدريس وشروط تولي الادارة والتعليم فيها وتنصيب الاساتذة ومنزلتهم الاجتماعية والمواد التي تدرس فيها وطريقة التعليم ويخصص الفصل الثاني للكلام على بيت الكتب والموظفين ٠ والقسم الثالث من الكتاب يبحث في تأثير المدرسة في المدارس الاخرى من حيث فن البناء ومن حيث تحديد الغاية التي هي نصرة

فكرة دينية وسياسية خاصة وبين المؤلف في فصل خاص أثر المدرسة الثقافي من الناحية العلمية والاعتقادية ولا سيما في الاندلس عن طريق ابن تومرت خريج هذه المدرسة وعقد فصلا للموازنة بين النظامية والأزهر والمستنصرية وفي القسم الرابع من الكتاب تراجم مختصرة لعدد كبير من المشهورين من أساتذة هذه المدرسة ومن تخرجوا فيها ·

ويختم المؤلف الكتاب بنتيجة ما أداه اليه البحث من أن هذه المدرسة استطاعت أن تفي بالغرض الذي أسست من أجله فوقفت امام التيارات الشيعية والباطنية في المشرق والمغرب ونجحت في نشر العقيدة الاشعرية والمذهب الشافعي في البلاد الاسلامية ·

فالرسالة في جملتها عمل مجيد يحمد المؤلف على ما بذل فيه من جهد ولا سيما في الاحالة الى المصادر الكثيرة التي اضطر للرجوع اليها ·

بيد أنه يمكن أن يؤخذ عليه بعض أمور منها ان الفصل الأول الذي كتبه عن المدارس والتعليم مختصر جداً عام الافكار وان الفصل الذي عقده لذكر الاساتذة والمتخرجين في النظامية لم يزد فيه على سرد تراجم مختصرة لم يخرج منها باستنتاج وكان في الوسع أن ينتخب من هذا العدد الكبير أفراداً يتتبع بدقة آثارهم ويصل من ذلك الى شيء من التفصيل عن النزعات والافكار التي نشرتها المدرسة النظامية بواسطتهم وكان يفيده ذلك فائدة كبرى في بيان أثر هذه المدرسة الفكري بشكل أعمق وأدق مما فعله وكان عليه ان يشير الى أن نظام الملك بنى عدة مدارس سميت باسمه في نيسابور وغيرها من المدن (انظر ترجمة ابي المعالي الجويني في وفيات الأعيان) ·

وفي الكتاب أمور أخرى فرعية يمكن أن تنتقد أيضاً كترجمته القراءات السبع بـ Les sept cadences ص ١١ وهو خطأ ربما وقع فيه بعض المستشرقين لأن تعني هذه الكلمة الفرنسية الايقاع الموسيقي والترجمة الصحيحة التي يعتمدها ثقات المستشرقين Les sept lectures ·· وفسر علم المناظرة ص ١٢١ بأنه علم المناقشة بين

المذاهب الاربعة مع انه غير مقيد بالمذاهب ولا بالفقه مطلقاً وقال ان المذهب الشافعي هو المذهب الرسمي للدولة العباسية وليس الأمر كذلك فقد كان المذهب الحنفي في العصر العباسي الأول هو المذهب السائد وعليه العمل غالباً وان لم يكن رسمياً يحمل الناس عليه ·

وذكر في ترجمة أبي الفتح بن البرهان الحنبلي ص ٦٠ أن له كتب البسيط والوسيط والوجيز مع ان هذه الكتب للغزالي وأما صاحب الترجمة فله الأوسط والوجيز كما ذكر السبكي في ترجمته ·

على ان هذه الأمور لا تضير هذه الرسالة النفيسة ولعل حالة الحرب الشديدة التي ألفت الرسالة خلالها اضطرت المؤلف الى سرعة الانجاز والاختصار بسبب بعده عن المراجع الكثيرة ولعله ينقل الى ابناء العربية رسالته هذه فيستوفي بعض ما أوجز وينقح بعض ما أهمل تنقيحه فيقدم بذلك الى العربية وأبنائها عملاً جليلاً ·

محمد المبارك

ظرائف الأمس غرائب اليوم

او

صور من حياة النبك وجبل القلمون في اواسط القرن التاسع عشر

جمع مؤلف هذا الكتاب يوسف افندي خنشت صورا شتى للحياة الشعبية في جبل القلمون عامة والنبك خاصة · فبسط القول في اشتغال الناس هناك وعاداتهم في المأكل والملبس وتربية الأولاد والتزاور والولائم والسمر واللهو والفلاحة والزراعة والحصاد والخطبة والزواج والأعياد والمآتم · وذكر طرفاً صالحاً من اهازيجهم واغانيهم وما الى ذلك من وجوه الحياة المتعددة فجاء كتاباً طريفاً ممتعاً يستحق صاحبه الشكر والتقدير ·

خ · م

مخطوطات من محسنين دمشقيين

تفضل الاستاذان الشيخ عبد القادر الطنطاوي والشيخ عبد الوهاب الطنطاوي باهداء المجمع العلمي العربي مجموعة من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، وتلك مأثرة لهما يشكرهما المجمع عليها ويشكرهما أهل العلم جميعاً . وهاك قائمة تلك الكتب مع وصف الجدير منها بالوصف .

١ — تاج اللغة وصحاح العربية لابي نصر اسماعيل بن محمد الجوهري (— ٣٩٣) . نسخة جليلة صحيحة مضبوطة في جميع حروفها ، خطت فيها الألفاظ المشروحة بالقلم الأحمر . واستعمل هذا القلم ليفصل بين اجزاء الشرح فيظهرها واضحة . الصقت فوق اسم الكتاب بهارة تامة ورقة سترت « مرلوحة » جميلة كانت تزين اسم الكتاب . وأحاط بكل كتابة جدول مسطر بالذهب مرتين وبالاخضر أخرى . وقد ألصق بكل ورقة من الأوراق الاصلية ورقة من قطع ذلك الجدول بصورة اختفت فيها معالم اللصق وذلك بتسطير الجداول الذهبية على مكان اللصق تماماً . وقد تمتد هذه الورقة الملصوقة الى خارج الجدول قليلاً فيذكر في امتدادها سهو حصل حين النسخ . اما الاوراق الثلاث الاخيرة فقد الصق بكل واحدة منها ورقتان ، العليا منها ليست بقطع الجدول بل مخرقة عنه . ابعاد النسخة ٣٨٫٥×٢٥٫٥ سم ، عدة أوراقها ٣٢٥ ورقة ، عليها هامش قدره ٤ سم . الجلد حديث مذهب في كعبه . كتب النسخة علي بن ابي طالب بن علي بن علي بن علي بن الحسين بن الخشاب الحلبي سنة ٦٠٩ . والنسخة وقف الملا عثمان الكردي .

٢ — كتاب اهوال القبور وأحوال أهلها الى النشور لأبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب (٧٠٦ — ٧٩٥) . أوله : الحمد لله الذي اسكن عباده هذه الدار ، وآخره :

الا انما الانسان ضيف لأهله   يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

والنسخة حسنة ، خطها مقروء كبير الحرف ، عدة اوراقها ١٢٨ ، أبعادها

١٣×١٩ سم، عليها هامش قدره ٣ سم، جلدها قديم مزين لكنه فقد زينته . وقفت النسخة في «مدرسة دار الحديث الاشرفية محل تدريس الامام النووي »، كتبها محمد بن ابي بكر بن سعيد البدوري (؟) الدمشقي سنة ٨٤٦ .

٣ — كنز اليواقيت في الكشف عن أصول المواقيت لشهاب الدين احمد بن رجب بن طيبغا المجدي (٧٦٠ — ٨٥٠) وهو شرح رسالة ابن السراج ، اوله : لما وقفت على رسالة الشيخ ... ابي العباس احمد بن ابي بكر بن السراج القلانسي الحلبي الموضوعة في علم الميقات ... فأحببت ان أضع عليها تعليقاً يتضمن بيان قواعده وتحرير معاقده » آخرها « وهذا معنى قوله وبالعكس إلى آخره » النسخة في حال حسنة ، عدة اوراقها ١٤٢ . خطها مقروء متوسط الحرف . ذكرت كلمة قوله بالقلم الاحمر وخط على بعض اسطرها بذلك القلم . وفيها أشكال مصورة بالاحمر مع حروف بالاسود . كتبها المؤلف ، وملكها ابو الطاهر محمد بن محمد المومني سنة ٨٨٦ ووقفها الملا عثمان الكردي

٤ — كتاب مجهول المؤلف والاسم ، كتب في اوله : اما بعد فهذا كتاب جمعت فيه من كتب المطلوب وهو من الكتب التي ادخرتها الملوك والخلفاء للامور المهمة... وهو مشتمل على كه باب (اي خمسة وعشرين) ، الباب الأول في احكام طوالع السنين ... الباب الخامس والعشرون : القول على دلائل طلوع الشعرى اليمانية وما يحدث بعدها » ، آخره « ويحدث في آخرها بالناس وجع المفاصل ويكثر الرمد والمرض في الاحياء وغير ذلك فراجعه ان اردته والله تعالى اعلم بالصواب » .

النسخة غير مجلدة ، مدشوتة الاوراق :عدة أوراقها ٤٨ورقة ، أبعادها ٢٢×١٦سم خطها مقروء كبير الحرف . كتبت أوائل الجمل والفصول بالقلم الاحمر . وفيها جداول بذلك القلم ، وقفها الشيخ ابراهيم العريف سنة ١٢٥٢ هـ

٥ — سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين محمد بن محمد بن نباته (٦٨٦ — ٧٦٨) نسخة عليها تعليقات نقلت من كتب اخرى كتسهيل السبيل

للشيخ غرس الدين ووفيات الاعيان لابن خلكان وورد في أولها ترجمة مؤلف الكتاب . كتبها رمضان بن موسى العطيفي سنة ١٠٥١ وقابلها سنة ١٠٥٧ . أولها من الورق الجيد وآخرها من ورق اقل جودة . نقلت رسالة ابن زيدون بالقلم الاحمر وجعل شرحها بالقلم الاسود . وقفت النسخة في المدرسة انبادرائية .

٦ — الرسالة القشيرية لابي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (٣٧٦ — ٤٦٥) . النسخة حسنة جميلة الخط في اولها « مرلوحة » . كتبت بالخط النسخي سنة ١١٢٨ . ووقفها عبد القادر بن احمد بن محمود في المدرسة المرادية سنة ١٢٨٢

٧ — الجزء الاول من كتاب الروضة في الفقه الشافعي للامام محى الدين النووي (٦٣١ - ٦٧٦) النسخة قديمة اكمل آخرها بخط حديث

٨ — الجزء الثاني من الروضة . نسخة عيسى بن سعيد بن أبي القاسم محمد بن عبد الحميد البصراوي سنة ٧٢٩ وقوبل بالمدرسة الرحاصة سنة بضع واربعين وسبعمائة .

٩ — الجزء الثالث من الروضة ، آخره كتب بخط يختلف عن اوله . وتم سنة ٨٩٥

١٠ — الجزء الرابع من الروضة . نسخه محمد بن احمد بن ابراهيم الشافعي بالمدرسة الشامية البرانية سنة ٧٤٣

١١ — الجزء الثاني من المهمات للاسنوي وهي على شرح الوجيز الكبير للرافعي وعلى مختصره المسمى بالروضة للامام النووي . نسخه احمد بن محمد بن محمد بن عثمان الخطيب الطوفي . جلده أثري .

١٢ — مجموعة تحتوي على خمس عشرة رسالة هذا تعدادها

١ — متن السنوسية نسخت سنة ١١٨٦

٢ — كاشفة الحجاب والدين للخطيب الشربيني ، كتبها عبده يوسف الزعبي سنة ١١٨٧

٣ — شرح منظومة ابن فرح في المصطلح كتبها عبده يوسف الزعبي سنة ١١٨٧

٤ — مقدمة الياس الكردي

٥ — الجوهرة الشفافية في بعض مناقب السيدة الصديقية لعبد الله بن ابراهيم الميرغنى

٦ — الدرة اليتيمة في فضائل السيدة العظيمة فاطمة لعبدالله بن ابراهيم الميرغنى

٧ — المقاصد الفخرى في بعض مناقب السيدة خديجة الكبرى لعبد الله ابن ابراهيم الميرغنى كتبها ابن المؤلف علوي سنة ١١٨٩

٨ — رسالة فيما يورث الفقر والنسيان للشيخ ابراهيم الناجي ، مخرومة في آخرها

٩ — عقيدة عز الدين ابي محمد بن عبد السلام السلمي الملقب بسلطان العلماء

١٠ شرح تائية مخرومة في اولها

١١ — نسبة خرقة الشيخ الاكبر

١٢ — حلية الابدال لمحي الدين بن عربي

١٣ — شرح رسالة الشيخ رسلان

١٤ — ترجمة الشيخ رسلان

١٥ — حكمة سيدنا علي بن ابي طالب ، مخرومة في آخرها

١٣ — مجموعة خمس رسائل لمحيي الدين بن عربي هي :

١ — بلغة الغواص الى معدن الاخلاص في معرفة الانسان

٢ — الاسرا الى مقام الاسرى

٣ — شرح اصطلاحات الصوفية

٤ — مشاهدة الاسرار القدسية ومطالع الأنوار الالهية

٥ — شرح مشكل المشاهد

وقد ملك هذه المجموعة سنة ١٠٧٢ شخص طمس اسمه ثم ملكه تقي الدين الحصني سنة ١٠٨٠

١٤ — التبر المسبوك في نصائح الملوك للغزالي ، وقف حسن بن عبد الغني الصواف سنة ١٢٢٢

١٥ — الفتوحات الوهبية بشرح الاربعين النووية للشبراخيتي ، كتبها محمد بن سليمان بن ابراهيم المالكي الشهير بالدجوي

١٦ — حاشية حسن بن علي الازهري المدابغي على شرح الاربعين النووية لابن حجر وقف الحاج اسماعيل آغا امام اغلي الكردي سنة ١٣٤٥

١٧ — شرح الاربعين النووية لابن حجر ، كتبه حسين بن حسن الشافعي سنة ١١٣٥ وقفه الحاج اسماعيل

١٨ — الاقناع في حل الفاظ ابي شجاع للخطيب الشربيني ، كتبه علي بن دياب الحموي سنة ١١٨١

١٩ — شرح الاجرومية للشيخ خالد ، وقف احمد بن محمد امام التينبية بالميدان

٢٠ — شرح الشفا لملا علي القاري جزءان ، الطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٢٥٧

٢١ — المجمعة الكبرى من القصائد الفخري في حق نبينا محمد البشري . طبع الاستانة ، سنة ١٢٩٨

آراء وانباء

ذكرى جيب

يُصدر مذياع لندن باللغة العربية مجلة نصف شهرية بالعربية اسمها « المستمع العربي » ينشر فيها خلاصة ما يذاع من الاحاديث والمسامرات وغيرهـا وتخص الصفحتان الاخيرتان منها بالكلام على الكتب وقد قرأنا في العدد الاخير منهـا مقالة بقلم الاستاذ ا ٠ ج ٠ اربري في عمل الاستاذ نيكلسون كبير علماء المشرقيات الانكليز – بمناسبة نشره كتاب مثنوي في ثمانية اجزاء – جاءت فيها اشارة الى الوقف الذي خصصته والدة المستشرق الانكليزي جيب (E. J. W. Gibb) قال : هصرت المنية عود جيب في سنة ١٩٠١ بالغاً من العمر خمساً واربعين سنـة فقامت والدته تخليداً لذكراه بوقف املاك يخصص ريعها للغرض الذي ذكرته في عقد هبتها الا وهو تشجيع البحوث العلمية في تاريخ الاتراك والايرانيين والعرب ، وآدابهم وفلسفتهم ودياناتهم وهي العلوم التي خصص لها ابنها حياته منذ نشأته الى وفاته المبكرة المأسوف عليها ٠

وكان أول مجلد نشرته هذه المؤسسة الخيرية العلمية طبعة حسنة من نسخـة خطية تركية لكتاب (Babur-nama) وموضوعه ترجمة الامبراطور المغولي العظيم بابور وقد ظهر هذا المجلد في سنة ١٩٠٥ ٠ وقد نشرت هذه الجمعية خلال الخمس والثلاثين سنة مالا يقل عن ٤١ مؤلفاً تحتوي على ٦٤ مجلداً كما ساعدت مالياً على نشر اربعة مجلدات أخرى ٠ وتختلف الكتب التي قامت بنشرها في موضوعها ومادتها ، من كتاب ارشاد الاريب لياقوت الذي نشره الاستاذ مرجليوث في سبعة أجزاء الى ترجمة الاستاذ منورسكي لكتاب حدود العالم وهو أقدم مرجع فارسي في الجغرافيا، ومن كتاب تجارب الامم لابن مسكويه نشره العالم الانكليزي

كي لسترانج الى نسخة خطية مشروحة شرحاً كاملاً الى طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز الذي نشره العلامة الايراني عباس اقبال -

وقد اسدت هذه الأوقاف التي وقفتها تلك السيدة الانكليزية تخليداً لذكرى ابنها النابغة اجل الخدمات للعلوم الاسلامية ، وتتولى لجنة من كبار المستشرقين البريطانيين الإشراف على اختيار المؤلفات التي تنشر . والباب مفتوح امام العلماء مهما كانت جنسيتهم ليقدموا ابحاثهم العلمية الى هيئة الأوصياء . والميزان الوحيد الذي تبني عليه الهيئة حكمها هو الدقة والامانة في البحث .

محمد كرد علي

المغرب في ترتيب المعرب

جذب نظري ما كتبه الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، في مقال طويل يصف لنا المعجم المعروف بالمغرب للمطرزي

فتكلم عليه ولم يذكر انه مطبوع وقد برز من مطبعة « مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بمدينة حيدرآباد الدكن الواقعة في الهند في سنة ١٣٢٨ للهجرة » فكان يحسن به ان يذكر لنا ذلك ، وان كان يجهله ، فكان يجدر به ان يطالع معجم المطبوعات ليوسف اليان سركيس فقد نوه به في ص ١٧٦٠ من تأليفه هذا النفيس .

نقل حضرته في ص ٦٠ من هذه السنة من المجلة انه يقال للاتون بالفارسية (كلخن) وهو للحمام ويستعار لما يطبخ فيه الآجر ويقال له بالفارسية (توتق) و (راشون) . قلنا وفي المطبوع : (داشوزن) بدال في الأول وهو الصواب . وقول المطرزي : « والجمع اتاتين باجماع العرب . عن الفراء » يحتاج الى تحقيق اذ المشهور ان اتون المخفف يجمع على اتن كعتق . واما اتون كسفود المشدد فيجمع على اتاتين

فكان يحسن بالأستاذ المعلوف ان يلقي نظرة على كلام اللغويين (راجع التاج لتقع على الحقيقة في هذه المادة)

وذكر لنا أن الإزار ضرب من أجود التمر ، ونحن نعلم أن الذى هو ضرب من أجود التمر هو (الأزاذ) كسحاب . — فالظاهر ان الأصل كان هكذا : (الازاذ) : (بالذال المعجمة في الآخر : ضرب من أجود التمر . و (الإزار)، (ككتاب) : الملحفة . فحذف كلمة ، فاضطرب عليه الأمر ، وفشت عليه الضيعة .

وقد ذكر رؤوس مواد ولم يذكر ماتقدمها من الكلام فجاء مبتوراً ، ولا يتسق الا بشق الأنفس ومنه ماذكره في أغلب المواد التي أشار اليها اشارةً خفيفةً كإطار وأوى الى غيرهما كقبَّب والطحانة والناج الخ .

واما (الزُطّ) فهم غير النوَر أو الغجر فأولئك جيل من الناس كانوا في الهند وأصل اللفظة (جت) كما قال حضرته لكن الجيل الواحد غير الجيل الآخر .

واغرب ما جاء في مقاله هو ما يأتي (في ص ٦١) « الشمراخ هو في عدة السنة الشمسية ... » وليس هذا من كلام النور ، ولا من لغة اهل واقواق ، ولا من لغة ملفقي لفظ (الخنفشار) ؛ انما المطرزي ذكر في مادة (ش م ر خ) : الشمراخ ثم قال : « في عث » اي اطلب شرح الشمراخ في مادة (ع ث) فقرأ قول المؤلف : « في عث » : « هو في عدة السنة الشمسية » وهذا من أغرب القراءات واجرأها . ثم جاءت بعد ذلك مادة (ش م س) .

وقال في تلك الصفحة اي ٦١ : « على رأي بطلميوس » ثم قال في الحاشية : « هكذا وردت بتقديم الميم على الياء وهو الصواب »

فنقول له : ان الوارد في المطبوع هو (بطليموس) اي بتقديم الياء المثناة التحتية على الميم تقديماً صريحاً ، وكتاب العرب اختلفوا في هذا الاسم ولكل من هاتين اللغتين علماء لغويون مشهورون . ويجوز لكل كاتب ان يتبع الرأي الذي يودّه وليس هناك تفضيل رأي على رأي .

ثم ان هناك فرقاً بين ما نقله الاستاذ المعلوف وبين ما هو مطبوع في الهند في

نص عبارة السنة الشمسية وعبارة السنة القمرية . فليراجع هذا النص المطبوع .

وتزيد على ما تقدم : أن القارئ يرى اختلافات أُخر في ما كل ما نقله الأستاذ المعلوف عما هو مطبوع وفي كل مادة من المواد . فليراجع المطبوع فيها كلها

وذكر حضرته في ص ٦٢ : (عن أبي دريد) والمشهور (ابن دريد)

وقال في تلك الصفحة : « ومنه الحديث » (بالحديد يفلح) والصواب : « ومنه : « الحديد بالحديد يفلح » وليس هنا حديث نبوي [1] وقال في ص ٦٣ : « قمع السرة مايلتزق بها حول علاقتها . » والصواب « قمع البسرة : ما يلتزق بها ... والفرق بين السرة والبسرة كالفرق بين البعرة والبقرة . وقال في تلك الصفحة :

« القنب . قال الكرخي في القنب : إنه لحاء خشب ... » والصواب : « قنب» [كذا يجب ان يقال للمادة بدون ادخال ال كما يفعل حضرته] : الكرخي (وليس هناك : « قال » . اذ هذا من مصطلحاتهم لأنهم اذا قالوا الكرخي ، فمعناه : قال الكرخي ، بدون ذكر (قال) : لا شيء في القنب لأنه لحاء شجر [لا لحاء خشب كما قال حضرته]

ولا أريد أن امعن في هذه المقابلات ، فأجتزئ بهذا القدر الوشل ، ومن شاء الاطالة فعليه بمراجعة النسخة المطبوعة والله المسهل .

الاب انستاس ماري الكرملي

---

(١) جاء في التاج في مادة (ح د د) : « والفلح الشق والقطع . قال الشاعر :

قد علمت خيلك أني الصحصح ... ان الحديد بالحديد يفلح

أي يشق ويقطع . واورد الازهري هذا البيت شاهداً مع فلحتُ الحديد : اذا قطعته » انتهى

نظرة في النظرات اللغوية

كنت وما زلت من المعجبين بسعة علم العلامة الاب انستاس الكرملي وما يبذله من جهود في التحميص اللغوي واجدني ولوعاً بمطالعة مباحثه القيمة ذات الفوائد الجليلة وأنا جد مسرور بما كتبه في نظراته اللغوية في مجلة المجمع العلمي العربي (١٦:٥٣٨) ولا سيما كلماته على ما كنت كتبته في المجلة نفسها (١٦ : ١٧) تحت عنوان اسماء منتخبة لمسميات جديدة

ورأيت الآن ان اوضح رأيي في اختياري هاتيك الاسماء التي خصها ببعض بحثه هذا

القنع والقناع

صدرت بحثي في هاتين الكلمتين « بالقنع » وفي ذلك ما يشعر بتفضيلي له على القناع ولكني تركت الترجيح بين الكلمتين للمجمع فذكرتهما في الشرح معاً ورأى المجمع الاكتفاء بالقنع وترك القناع لما تقنع به المرأة رأسها وانا موافق على ذلك تمام الموافقة والسيد الكرملي موافق أيضاً لقوله وقد استحسنا ماذهب اليه المجمع . . .

وأما الذي عرفه الأب العلامة من لفظ الحديث « أتي بقناع جرو » انه بالواو فهو الذي عرفته أنا أيضاً وهو الذي كتبته بل يعرفه كل من يأخذ الحديث عن النهاية من مادة (ج ر و) وربما كان رسم الواو وقع مني شبيهاً برسم الدال (وليس ذلك بغريب) فاشتبه على مرتب الحروف والا فكيف آخذ الكلمة من مادة ج ر و واجمعها على أجر ثم ارسمها بعد ذلك بالدال ؟ قد اشتبه هذا على مرتب الحروف كما اشتبهت عليه كلمة استهجان وهو استفعال من الهجنة « بالتهجان » اي اشتبهت السين اللام (وكأنها اقيم رأسها في الرسم) وكان صواب العبارة هكذا « من استهجان كاد يكون عاماً » على أن ذكر جملة كاد بعدها يدل على أن الموصوف بالجملة نكرة ولو حمل ذلك على الغلط في الطبع او في النسخ لكان أولى بحسن الظن . ولا تزال الى جنب هذه الغلطات غيرها جاءت من الطبع ولا تخفى على المتأمل

ففي ص ١٧ س ٤ غلطة وفي س ٥ منها غلطة وفي س ١٠ منها غلطة وفي ص ١٩ س (٨) غلطتان وهكذا يمكن استخراج الغلط المطبعي من جل ما يطبع

السفن

لم يكن في صدر الناقد الكبير حاجة الى وضع هذه الكلمة لما يعرفه العرب والعراقيون بكاغد السنبادج كما قال وقال انه ذكر هذه الكلمة الأخيرة القاموس وتاج العروس والظاهر أن المشار اليه بهذه هي الكلمة التي يعرفها العرب والعراقيون

أما المعروف بالسنباذج في بلاد الشام فهو غير ورق البرداخ لأن السنباذج يجلى به الحديد والجواهر وورق البرداخ يسفن به الخشب ونحوه ويصقل وعبارة القاموس والتاج تدل على أن السنبادج حجر يجلى به الحديد وهذا نصها (السنبادَجُ بالضم) فسكون النون وفتح الذال المعجمة (حجر يجلو به الصيقل السيوف وتجلى به الاسنان) والجواهر (انتهى) وجاء في لسان العرب في معنى السفن ما نصه « وقال ابو حنيفة السفن جلد ضبّ او جلد سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة وقيل السفن جلد السمك الذي تحك به السياط والقدحان والسهام والصحاف » هذا هو وصف السفن في كتب الائمة واذا أردنا ان نصف ورق البرداخ او ورق الزجاج بما هو به فنقول هو ورق خشن بما يلصق عليه من فتات الزجاج ونحوه تحك به السهام والقدحان حتى تذهب عنها آثار المبراة او حتى تملاسّ فهل بعد هذا من مانع يمنع من اطلاق السفن على ورق البرداخ او ورق الزجاج او ورق السنباذج ما دام الوصف فيهما متحداً والتحلية واحدة

وانما السفن لفظة عربية خالصة خفيفة على اللسان وعلى السمع ولا ريب اننا اذا قلنا سفن العودَ كان احسن من قولنا بردخه الثقيلة الدخيلة ومن ان نشتق فعلاً من السنبادج فنقول سنبجه او سنبذه واختصر من ان نقول جلاه او صقله بورق الزجاج او البرداخ او السنباذج ، وما أشبه الاسباب التي جعلتني اختار السفن على ما يعرفه العراقيون بكاغد السنباذج والشاميون بورق البرداخ بالأسباب التي جعلت مجمع اللغة العربية الملكي يختار كلمة المُدام على « دُوار البحر فقد جاء في تعليل ذلك بقوله ٠

« وتفضيلنا هذا اللفظ (المُدام) يرجع إلى سببين الاول أنه لفظ مفرد غير مركب كدوار

البحر والثاني انه يمكن ان يؤخذ منه فعل على خلاف « دوار البحر » فيقال هُدِم الرجل ، (مجلة مجمع اللغة العربية ٢ : ١٣٠)

وكونها مستعملة في العراق بهذا اللفظ المركب ومستعملة في الشام بلفظ مركب آخر لا يحول دون اختيار لفظة مفردة هي أخف والطف معروفة الاستعمال في الفصحى كما لم يحلّ تعارف استعمال دوار البحر في البلاد العربية اليوم دون ان يضع لها اكبر مجامع اللغة العربية وأجلها « لفظة الهدام »

الحسك

رأيت زميلي لا يوافق على تخصيص الحسك في السلك الشائك فيقع حينئذ في التاريخ وكتب اللغة خبط وخلط لأن الواحد منهما غير الآخر ، أما في اللغة فان الحسك هو حسك السعدان ونحوه واستعير لما يعمل من الحديد على مثاله فيلقى حول العسكر هكذا قالت الائمة وانما كانت الاستعارة لانه على مثاله واما كونه يلقى حول العسكر في الحرب فهو بيان للغاية وهو خارج عن ماهيته ومفهومه فهو اذا حسك سواء فيه أألقي منثوراً او نظم في سلك . والاستعارة على وجهها الصحيح فيهما لكن الحسك المنثور لم يبق له استعمال في حروب هذه الايام لقلة غنائه وان كان فهو من الندور بحيث لا يؤبه له واما الحسك المنظوم فهو اليوم كثير الاستعمال جداً في الحروب وغيرها وان هذا الفرق كاف في عدم حصول الخلط والاشتباه

ثم ان الحسك قد يتخذ من خشب فينصب حول العسكر كما جاء في لسان العرب وغيره ومع هذا فهو حسك غير منثور ولم يحصل في كونه من معاني هذا الحسك خبط ولا خلط افلا يكون السلك الشائك من هذا القبيل

ثم ان الحسك لفظ مفرد غير مركب وهو مفضل على السلك الشائك المركب اللفظ وتلك طريقة مجمع اللغة العربية الملكي العملية (مجلته ٢ : ١٣٠)

الجناح

فسر الائمة الجناح بالناحية كما في مفردات الراغب وغيرها وفسروه بالجانب كما

في التاج وغيره . فالناحية اذاً من معانيه الصحيحة التي قال بها النحارير وان الجزء المستقل من الطبقة هو ناحية منها بلا ريب وهو معروف في الديار الشامية باسم الجناح فاطلاقه على الجزء من الطبقة صحيح جارٍ على المنهج اللغوي ولا نحتاج في هذا الاطلاق أن نجرد شيئاً من معنى الجناح لنصحح هذا الاطلاق

لكن الشقة التي وضعها مجمع مصر لهذا الجزء المستقل من الطبقة قد احتاج المجمع لان يجردها من بعض معناها كما جاء في مجلته ٢ : ٦٤ واذا كان اسم الشقة يعضده اصطلاح علماء مصر وأدبائها ولغوييها عليها فاسم الجناح يعضده اصطلاح علماء الشام وأدبائها وعامة أهلها عليه لهذا تراني جنحت الى تفضيل الجناح على الشقة ولا تثريب علي في ذلك ولست إخال ان اعتراضي هذا يعدُّ تطاولا وجرأة مني على المجمع العظيم الذي يضم اليه جهابذة اللغة . لأنه نفسه أباح الانتقاد والاعتراض عندما وضع هذه المسميات وذلك بالقرار (٧) من محضر الجلسة ٣٠ كما في مجلته ٢ :٣٥ وأنا كنت يومئذ قدمت اليه نظرتي هذه في هذا الوضع قبل تمام السنة المضروبة مدة للاعتراض نعم ان اصطلاح المصريين على الشقة يجعل لها قيمة ولكن ذلك لا يمنع ان يبحث باحث فيجد كلمة احسن منها قد اصطلح عليها علماء قطر عربي آخر وادباؤه فيعرضها على علماء اللغة وفي جملتهم مجامع اللغة التي اليها المرجع في ذلك

الحيفة والطريدة

ان صحة اشتقاق البرّاءة للبرّاية لا اعتراض عليه البتة وانا انما اخترت او فضلت (بعبارة أخرى) الحيفة على البرّاءة لأنها أخف لفظاً وابعد عن الاشتباه بالبراة التي وضعها مجمع اللغة العربية الملكي لاداة بري الاقلام المعروفة بالمطوه . والحيفة أيضاً لفظ عربي من مادة عربية خالصة وقد استعملت عندهم لما يشبه هذا المعنى (الحديث) ولهذا قلت عند اختياري لها فلندع المبراة لما وضعها له مجمع مصر ولنطلق الحيفة على المعنى الثاني تقليلاً للاشتراك ودفعاً للاشتباه (مجلة المجمع العلمي ١٦ : ٢١)

وأما الخراطة والطريدة فالامر فيهما سهل وكما يعضد الخراطة كثرة الاستعمال وشيوعها : يعضد الطريدة اصلها العربي وانها أخف وأعذب .

الدسكرة

أرى ان الحق مع زميلي العظيم وانها العزبة المعروفة بمصر ولهذا نزلت على تحقيقه مسلماً به وأقول ما قاله احد الحكماء اني لأستحي من الحق اذا رأيته ان لا أتبعه وأشكر للاب العلامة افادته

الطزَر والطرْز

خلاصة ماذهب اليه الاب المفضال ان الطزَر منقول عن الفارسية وهو فيها تَزَر بتقديم الزاي على الراء وان الطرْز بمعنى البيت الصيفي الذي ذكره بعض العرب مصحف الطزَر او تزر الفارسية ليس الاً ويسألني في أي كتاب لغة فارسية وجدت الطرْز بمعنى البيت الصيفي فأجيب سؤاله اولاً بأنني لأأعرف الفارسية وإنما رأيت الأزهري يقول فيه «أراه معرباً وأصله ترز (لسان العرب مادة ط ر ز) فاتبعته في ذلك ثقة مني به وهو من هو بين أئمة اللغة صاحب تهذيب اللغة الذي هو أحد موارد لسان العرب ·

ثم أقول ثانياً ان ماذهب اليه الاستاذ هو مبني على تحقيق جيد لكني لاأرى نفسي مطمئنة منه الى ان الطرْز بمعنى البيت الصيفي غير مستعمل في العربية وان الذي ذكروه من الائمة النحارير قد تصحف عليهم وانما ذكره صاحب لسان العرب المتوفى ٧١١ ه وابومنصور الأزهري صاحب تهذيب للغة المتوفى ٣٧٠ه وابو الحسن ابن سيده المرسي المتوفى ٤٥٨ ه وصاحب تاج العروس السيد المرتضى الزبيدي المتوفى ١٢٠٥ه · وقد ذكره ابن منظور في باب الزاي فصل الطاء وذكره صاحب التاج في مستدرك طرز في الباب نفسه مما لم يدع مجالاً بانه عندهما أيضاً بتقديم الراء على الزاي فظهر من هذا كله ان الطزَر والطرز كليهما يطلق على البيت الصيفي ففضلت حينئذ الطرْز على الطزَر لأنها اعذب واخف وبعيدة عن الاستهجان ثم إن كون الطزَر فارسية الأصل وان الطرْز لا وجود له بهذا المعنى في المعجمات الفارسية لايتنافى مع استعمال العرب له لأنهم رأوه اخف فصاروا اليه والتعريب لا يحول دون تغيير

حركة او حرف او قلب او تحريف فقد قالوا ان السدير معرب سه‌دل وساباط معرب بلاس اباد والزرمقانة معرب اشتربانه كما سيف القاموس ورسالة المعربات لابن كمال باشا وعن ابو الصقر من جرع على ما جاء سيف رسالة المعربات المذكورة وانا نجد كثيراً من الاسماء والافعال تنقلب حروفها ويبقى المعنى كما هو كما سيف الجذب والجبذ والوافه والواهف نعم ان الطرز مع صحة اطلاقها على البيت الصيفي تبعاً لهؤلاء الأئمة الجهابذة النحارير هي أخف من الطزَر لان المحرك الوسط اثقل من ساكنه والانتقال من الزاي الى الراء اثقل من الانتقال من الراء الى الزاي

ثم اقول أليس الجنوح الى هذا الرأي وقد قدمت حجتي فيه اهون خطباً واقرب لاجلال قدماء الأئمة ونحارير اللغة الذين طووا اعمارهم سيف تهذيب اللغة وتدوينها من ان نذهب الى انه تصحف عليهم جميعاً او تبع بعضهم بعضاً فيه دون انتباه الى انه مصحف

وهل انا سيف ذا يا لهمدان ظالم

احمد رضا

في كتاب الامتاع والمؤانسة

١ — سيف ص ١٩٥ من كتاب الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) هذا النص :

« واذا القوا شبكة ليصطادوا فوقع فيها الزامور خلوه حياً وأخذوه وأعتقوا لكرامته أصناف السمك الواقع سيف الشبكة أحياء » وعلق الناشران وعلى هذه الجملة قولهما : «وعبارة الأصل : « وأخذوا اصناف السمك » وقوله: « وأخذوا » واقعة في غير موقعها ، وقد أثبتناها سيف الموضع اللائق بها لاستقامة الكلام بذلك . » اهـ

والواقع أن الأصل هو المستقيم ، وبتغيير الناشرين اضطرب الكلام وفسد والصواب أن يقال : « خلوه حياً وأعتقوه لكرامته ، وأخذوا اصناف السمك .. » ويتضح ذلك بكلام منقول عن التوحيدي نفسه سيف الموضوع عينه يدعم ماذهبنا اليه ويشرحه ويثبت أنه الوجه لا وجه غيره :

جاء سيف (حياة الحيوان للدميري ٢ : ٤ طبعة البابي الحلبي سنة ١٣١٩ هـ) مانصه :

(الزامور) قال التوحيدي : انه هو حوت صغير الجسم ألوف لأصوات الناس ،

مستأنس باستماعها ولذلك يصحب السفن متلذذاً بأصوات أهلها . واذا رأى الحوت الأعظم يريد الاحتكاك بها وكسرها ، وثب الزامور ودخل أذنه ولا يزال يزمر فيه حتى يفر الحوت الى الساحل يطلب جرفاً أو صخرة ، فإذا اصاب ذلك فلا يزال يضرب به رأسه حتى يموت . وركاب السفن يحبونه ويطعمونه ويتفقدونه ليدوم إلفه لهم وصحبته لسفنهم ليسلموا من ضرر السمك العادي . وإذا ألقوا شباك الصيد فوقع الزامور فيها أطلقوه لكرامته . » اهـ وهذا نص قاطع صريح .

٢ — زاد ناشرا الكتاب كلمة (لما) في موضعين ظننا سقوطها منها ، وهما :

١ — ص ٢٠٠ « ليس يخفى أن جسدنا ليس مدفوعاً دفعاً ولا مجروراً جراً ، [لما] كان كل مدفوع أو مجرور متحركاً لامحالة من داخل ، فالجسد إذن متحرك من داخل اضطراراً . »

وعلق الناشران بقولها : هذه الكلمة [لما] ساقطة من الأصل .

٢ — ص ٢٠١ « وقد استبان أن النفس هي المحيية المحركة للجسد الذي هو الجوهر ، و [لما] كان كل محي محرك للجوهر جوهراً فالنفس اذاً جوهر » اهـ

والذي ارى ان الأصل في الموضعين اجود ، والكلام بحذف [لما] منهما يستقيم ويخلو من الركاكة . و [لما] هذه لاتصلح للتعليل على رغم شيوعها في عبارات الصحف والمحامين ، وإنما تقع ظرفاً أو حرفاً لغير التعليل . واستعمالها للتعليل خطأ حادث مهما تقدم به الزمان لايتطاول الى القرن الرابع عصر التوحيدي مؤلف كتاب (الإمتاع والمؤانسة .)

ولعل من المفيد أن يطرفنا باحث في أول شيوع هذا الخطأ في عصرنا او العصر الذي قبله ، وفي أول النصوص التي حملت هذه الركاكة ونحوها مما ينطرق الى عبارات بعض العلماء وأهل الأدب .

استدراك

أشير هنا مستدركاً سهواً وقع في سطر ٧ ص ٣٧٥ من مجلة المجمع (السنة ١٦) : إلى أن كلمة (شعوذة) صحيحة فصيحة مثل شعبذة .

سعيد الافغاني

فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد السابع عشر

الصفحة		
٩٧	الشاميون والتاريخ	للأستاذ محمد كرد علي ...
١٠٦	الأوهام العائرة	للأب انستاس ماري الكرملي
١١٤	بقايا الفصاح	للأستاذ شفيق جبري ..
١١٧	الطرماح بن حكيم الطائي	« خليل مردم بك ..
١٢٨	صفحات مطوية	« عبدالله مخلص ...
١٣٢	اقتراء ابن بطوطة على ابن تيمية	« محمد راغب الطباخ
١٣٥	عشائر الشام	« وصفي زكريا ...
١٤٢	طاغور شاعر الهند	« مير بصري ...
١٤٧	جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي	بتحقيق المستشرق الانكليزي المرحوم الأستاذ د. س. مرجليوث

مخطوطات ومطبوعات

١٦٠	جواهر البيروني «الجماهر في معرفة الجواهر» ..	للأستاذ محمد كرد علي
١٦٣	علم الأمراض الباطنة في سبعة اجزاء ...	للدكتور أسعد الحكيم
١٦٧	منشورات المجمع العلمي المصري	للأمير مصطفى الشهابي
١٦٩	النقود العربية وعلم النميات	« جعفر الحسني ...
١٧٣	المدرسة النظامية وتاريخها	للأستاذ محمد المبارك
١٧٥	طرائف الامس غرائب اليوم	... ...
١٧٦	مخطوطات من محسنين دمشقيين	... ...

آراء وأنباء

١٨١	ذكرى جيب	للأستاذ محمد كرد علي ...
١٨٢	المغرب في ترتيب المعرب	للأب انستاس ماري الكرملي
١٨٥	نظرة في النظرات اللغوية	للأستاذ احمد رضا ...
١٩٠	في كتاب الإمتاع والمؤانسة	« سعيد الأفغاني ..

الجزء الخامس والسادس — المجلد السابع عشر

مجلة المجمع العلمي العربي

أيار وحزيران ١٩٤٢ — جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٣٦١

حكمة حكيم عربي (١)

ما كانت الرحلة في طلب العلم أيام استبحار العمران في الديار الاسلامية بأقل من تنقل العلماء اليوم في الغرب لاتمام الثقافة والبحث . واذا سهل اليوم على ابن هذا العصر التنقل من قطر الى قطر بل من قارة الى قارة فقد كانت المواصلات في القديم من الصعوبة بمكان ، على محاولة أهل تلك العصور تسهيلها .

وكانت حواضر العلم في الاسلام لا تقل شأناً عن حواضر العلم في الغرب لعهدنا ، ويزيد بلاد الاسلام رونقاً كثرة العواصم العلمية ، فاذا كانت البرتقال تفاخر بقلمرية واسبانيا بصلمنكة وفرنسا بباريز وبريطانيا باكسفورد وكمبردج وهولاندة بليدن والمانيا بليبسيك وايطاليا ببولون ، عادةً لها حواضر العلم فيها ، فان المملكة الاسلامية كانت تفاخر بعواصم كثيرة كل واحدة في العلم ليست دون الحواضر الكبرى . فقرطبة وطليطلة وغرناطة وافريقية والفسطاط ودمشق وبغداد ونيسابور والري وسمرقند وغزنة وعشرات غيرها من كبار المدن كانت مفخرة من المفاخر بما قام فيها من دور علم وكثرة دارسين ومدرسين ، وخزائن كتب . وبينا كنت تجد العالم المحدث من ابناء الاندلس في الغرب يقصد الى خراسان في الشرق ليتلقى حديثاً ويصل سنداً عالياً بسنده كنت تجد ابن السند يسافر الى ما وراء النهر لا يحسب للمسافة التي يقطعها حساباً ، ولا للايام التي يصرفها في سبيل اقتباس العلم قيمة .

(١) حديث للأستاذ محمد كرد علي ألقي باسمه في راديو فلسطين بالقدس

نبغ في دمشق في القرن الثاني حكيم فيلسوف قالوا انه ممن ادرك الاتباع وكلامه مستفاد في الحكمة اسمه صالح بن جناح اللخمي فرحل الى نيسابور ، ولا يعلم لأي غاية ، وهناك في عاصمة خراسان أخذ عنه الحكمة عالم الاسلام عمرو بن بحر الجاحظ . عربيٌ يأخذ الفلسفة عن عربيٍ في أرض مها قيل فيها فهي فارسية ، ذلك لأن الاسلام قضى على العنجهية الجنسية ولم يبق ذكراً لحمية الجاهلية وتعصب الشعوبية .

نبغ هذا الحكيم العظيم في زمن لم يتم فيه نقل حكمة القدماء الى اللسان العربي ، وما أخذ على ما يظهر الا عن حكمة الاسلام والعرب ، وما امتزجت ثقافته الا بقليل من ثقافة الامم التي كانت قبل الاسلام كالروم والفرس والهند والسريان والكلدان . تبين ذلك من كلمات أثرت عنه ومنها كتاب (الادب والمروءة) الذي ظفر به العلامة الشيخ طاهر الجزائري ونشره بعد نحو اثني عشر قرناً مضت على تأليفه . وتتجلى الرشاقة والسلاسة في كلام صالح وكأن انشاءه انشاء رجل من أهل القرون التالية يكتب ليفهم وليعلّم ، ويبسط كلامه حتى تحصل منه فائدة يتوقعها في انارة عقول العوام والخواص .

استمع اليه يقول لابنه : يا بني اذا مرَّ بك يوم وليلة قد سلم فيها دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله تعالى ، فكم من مسلوب دينه ، ومنزوع ملكه ، ومهتوك ستره ، ومقصوم ظهره ، في ذلك اليوم وانت في عافية وفيه يقول :

لو أنني أعطيت سؤلي لما سألت الا العفو والعافية
فكم فتى قد بات في نعمة فسلّ منها الليلة الثانية

وفيه اشارة الى حديث ابي بكر رضي الله عنه : سلوا الله العفو والعافية والمعافاة ، والمعافاة هي ان يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك اي يغنيك عنهم ويغنيهم عنك ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم .

وقال : اعلم ان من الناس من يجهل اذا حلمت عنه ، ويحلم اذا جهلت عليه ، ويحسن اذا أسأت به ، ويسيء اذا أحسنت اليه ، وينصفك اذا ظلمته ، ويظلمك

اذا انصفته ، فمن كان هذا خلقه فلا بدّ من خلق ينصفك من خاتمه ثم محة تنصف من محته ، وجهالة تقدع من جهالته . والا أذ لك ، لأن بعض الحلم اذعان ، وقد ذل من ليس له سفيه بعضده ، وضلّ من ليس له حكيم يرشده . وهذا مقتبس من روح الشرع .

وقال : اعتبر بما لم تره من الأشياء بما قد رأيته ، وما لم تسمعه بما قد سمعته ، وما لم يصبك بما أصابك ، وما بقي من عمرك بما قد مضى ، وما لم يبلَ منك بما قد بلي . وقال : اذا طلب رجلان أمراً ظفر به اعظمهما مروءة . وقال : اصل المروءة الحزم وثمرها الظفر .

يقول ابن عساكر : ان صالح بن جناح كان عديم نظير القول في المواعظ والأدب ، وهو القائل :

الا انما الانسان غمد لقلبه ولا خير في غمد اذا لم يكن نصلُ
وان تجمع الآفات فالبخل شرها وشرّ من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد اذا كان كاذباً ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وكان صالح شاعراً مجيداً وقف شعره على بث الحكمة كما وقف نثره ، وأنشد له الجاحظ

تعلم اذا ما كنت لست بعالم فما العلم الا عند أهل التعلم
تعلم فان العلم أزين للفتى من الحلة الحسناء عند التكلم
ولا خير فيمن راح ليس بعالم بصير بما يأتي ولا متعلم

وعرف المروءة تعريفاً آخر فقال : اعلم ان العرب قد تجعل للشيء الواحد اسماء وتسمي بالشيء الواحد اشياء ، فاذا سنح لك ذكر شيء فاذكره بأحسن اسمائه فان ذلك من المروءة ، وانما المرء بمروءته ، فالمروءة اجتناب الرجل ما يشينه ، واجتناؤه ما يزينه ، وانه لا مروءة لمن لا أدب له ، ولا ادب لمن لا عقل له ، ولا عقل لمن ظن ان في عقله ما يغنيه ويكفيه عن غيره . وشتان بين عقل وافر معه خمسون عقلاً كلها وافر مثله وأوفر منه ، ومن عقل وافر لا قادة معه .

وقال فيمن فعل أمراً لا يحسن ان يحتال له : اعلم ان من قاتل بغير عدة ، او خاصم بغير حجة ، او صارع بغير قوة فهو الذي صرع نفسه وخصم نفسه وقتل نفسه ، فان ابتليت بقتال احد او مخاصمته او مصارعته فأحسن الاعداد له ، واعرف مع ذلك عدته وأبصر حجته ، واخبر قوته كما يخبر قوتك وحجتك وعدتك ، فان رأيت تقدماً والا كان التأخر قبل التقدم ، خيراً من التندم بعد التقدم . وفي ذلك أقول شعراً :

اذا ما أردت الأمر فاعرفه كله وقسه قياس الثوب قبل التقدم
لعلك تنجو سالماً من ندامة فلا خير في أمر أتى بالتندم

وان من الناس من يرزق حجة او عدة او قوة فتكون عدته هي التي تقتله ، وقوته هي التي تصرعه ، وحجته هي التي تخصمه ، وذلك انه ربما أدلّ فقاتل ، قبل ان يعلم أهو اعدّ ام الذي يقاتله ، وكذلك في الذي يخاصمه ويصارعه ، فاذا هو قد قتل او صرع او خصم ، فلم ينفعه جودة عدته ، ولا قوة حجته ، حين أتى الامر من غير جهته وفي ذلك اقول :

اذا ما أتيت الامر من غير وجهه تصعب حتى لا ترى منه مرتقا
فان الذي يصطاد بالفخ ان عتا على الفخ كان الفخ اعتى وأضيقا

وقال في معرفة الاخوان : انك لن تعرف اخاك حق المعرفة ، ولن تخبره حق الخبرة ، ولن تجربه حق التجربة ، وان كنتما في دار واحدة ، حتى تسافر معه ، او تعامله بالدينار والدرهم ، او تقع في شدة ، او تحتاج اليه في مهمة ، فاذا بلوته في هذه الاشياء فرضيته ، فانظر اذا كان اكبر منك فاتخذه اباً ، وان كان اصغر منك فاتخذه ابناً ، وان كان مثلك فاتخذه أخاً ، وكن به اوثق منك بنفسك في بعض المواطن .

وقال : كن من الكريم على حذر ان اهنته ، ومن اللئيم ان اكرمته ، ومن العاقل ان احرجته ، ومن الاحمق ان مازحته ، ومن الفاجر ان عاشرته ، ولا تدلّ على من لا يحتمل ادلالك ، ولا تقبل على من لا يحب اقبالك ، وكن حذراً

كأنك غبي، وكن ذاكراً كأنك ناس، والزم الصمت الى ان يلزمك التكلم، فما اكثر من يندم اذا نطق، واقل من يندم اذا لم ينطق، واذا ابتليت فعند ذلك تعرف جودة منطقك، وقلة زللك، وسعة عفوك، وقلة حيلتك، ومنفعة قوتك، وحسن تخلصك.

واعلم ان بعض القول اغمض من بعض، وبعضه ابين من بعض، وبعضه اخشن من بعض، وبعضه الين من بعض، وان كان واحداً، فان الكلمة اللينة لتلين من القلوب ما هو اخشن من الحديد، وان الكلمة الخشنة لتخشن من القلوب ما هو الين من الحرير، وان اعظم الناس بلاء وادومهم عناء واطولهم شقاء، من ابتلي بلسان مطلق وفؤاد مطبق، فهو لا يحسن ان ينطق، ولا يقدر ان يسكت، واعلم ان ليس يحسن ان تجيب من لا يسألك، ولا تسأل من لا يجيبك.

* * *

وقال في تضيف الطعام: اذا كنت ممن يؤكل طعامه، وتحضر مائدته، ويؤكل معه، فليكن الذي يتولى صنعة طعامك من ألب الناس في عمله، وانظفهم في يديه، ولا تدع اعلامه ان احسن، ولا انذاره ان اساء، فان تعتبك عليه خير من تعتب الناس عليك.

واعلم ان لكل شيء غاية، وان غاية الاستنقاء التنظيف في الاستنجاء، والاكثار من الماء حتى يستوي اليدان والريح والمنظر، فانه لا طيب اطيب من الماء، ولو انه المسك وما أشبهه من الاشياء، وانما يستدل على نظافة الرجل بنقاء اثوابه، وانما يكون القذر في الحمقى من الرجال والنساء، وبه يستدل على بلادتهم.

وقال في العقل والادب: اعلم ان العقل امير وان الادب وزير، فان لم يكن وزير ضعف الامير، وان لم يكن أمير بطل الوزير وانما مثل العقل والادب كمثل الصيقل والسيف، فان الصيقل اذا أعطي السيف اخذه فصقله، فعاد جمالاً ومالاً وعضداً يعتمد عليه ويلتجأ اليه، فالصيقل الادب والسيف العقل، فاذا وجد الادب

عقلاً نفقه ووفقه وقواه وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف ، واذا لم يجد عقلاً لم يعمل شيئاً لانه لا يصلح الا ماوجد ، وان من السيوف لما يصقل ويسقى ويخدم ثم يباع بأدنى ثمن ، ومنها مايباع بزنته دراً وزبرجدا ، وذلك على نحو الحديد وجودته او رداءته . وكذلك الرجلان يتأدبان بأدب واحد ، ثم يكون احدهما انفذ من الآخر اضعافاً مضاعفة ، وانما ذلك على قدر العقل وقوته في الاصل .

* * *

وقال في الحكمة : اما ما يسمع من كثير من الحكمة فان أوله شيء يخطر على الافئدة اذا خطر ، وهو اصغر من الخردلة ، وادق من الشعرة ، واوهن من البعوضة ، ثم تحركه الالسنة ، وتنبذه الافئدة ، كما يحاك البُرْد ، وكما يُمدُّ النهر ، فيعود اكثر من الكثير ، واوثق من الحديد ، واثمن من الجوهر ، واحسن من الذهب ، وانفع من كليهما ، لانه يزيد في المنطق ، ويذكي الذهن ، ويعين على الابلاغ ، ويتجمل به القائل ، ويتقلب فيه كيف يشاء ، ويختار منه ما يشاء ، فينتفع به اللطيف ، وينبل به السخيف ، ويتزيد به الكثيف ، ويتأيد به الضعيف ، ويزداد به الأيد قوة في منطقه ، وبلاغة في كتبه ، فيكون في حفظه منفعة للخطباء في خطبهم ، وللبلغاء في بلاغتهم وكتبهم ، وللكرماء في بشاشتهم ، وللشعراء في قصائدهم ، فاذا كنت ممن يؤلف حكمة ، او يضع رسالة ، او يذكر مهمة ، فلا تكره قلبك ، ولا تكره ذهنك ، فانه اذا اكره كلّ ووقف ، ولكن ان كنت في شيء من ذلك فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ له ، والتأخر عنه على التقدم فيه ، فان الذهن يجم كما يجم البئر ، ويصفو كما يصفو الماء .

وقال في المداراة : اذا هبطت بلداً أهلها على غير ما تعرف ، وانت على غير ما يعرفون ، فالزم كثيراً من المداراة ، فما اكثر من دارى ولم يسلم ، فكيف بمن لم يكن منه مداراة ، وفي ذلك اقول شعراً :

يا ذا الذي اصبح لا والداً   له على الارض ولا والدة
قد مات من قبلها آدم   فأي نفس بعده خالدة
ان جئت ارضاً اهلها كلهم   عور فغمض عينك الواحدة

وقال في التفاضل : لا تقل فلان أغنى مني ، وانا احزم منه ، فانه لو جمع العقل والشدة والشجاعة والمال واشباه ذلك لقوم وبقي قوم لا شيء لهم لهلكوا ، ولكن الله عز وجل قال : (أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) فأوتي بعضهم عقلاً ، وبعضهم مالاً مع أشياء مما يكون فيه صلاحهم وبه معايشهم ، ثم احوج بعضهم الى بعض فعاشوا ، وانما مثل الرجل ورزقه ، ومثل عقله وأدبه ومروءته وحكمه كمثل الرامي ورميته ، فلا بد للرامي من سهم ، ولا بد لسهمه من قوس ، ولا بد لقوسه من وتر ، ولا بد لجميع ذلك من قدر يبلغ به ما رشق ، ويصيب به ما بلغ ، ويجوز به ما أصاب والا فلا شيء . فالرامي الرجل والرمية الرزق ، ولا يجمع بينهما عقل ولا عز ، ولا شيء من ذلك الا بقدر .

وقال في النهي عن مجالسة أهل الاهواء والبدع ومحادثتهم : اما هذه الاهواء فاني لم ار أحداً ازداد فيها بصيرة الا ازداد فيها عمىً ، لان امر الله اعز من ان تلحقه العقول ، ولم أرَ اثنين تكلما فيه الا رأيت لكل واحد منهما حجة لا يقدر صاحبه على دفعها الا بالشبهة والمغالطة واما النصيحة فلا ، ومن غالط في هذا او مثله فانما يغالط نفسه ، وعليها يُخلّط ، واياها يخدع ، او اراد ان يخادع ربه والله اعز من ان يخدع .

وقال : اذا قيل لك اي شيء اطول فقل الكلام ، واذا قيل لك اي شيء اقصر فقل الكلام ، لان الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لألف كلمة ، وقد يكون جوابها الف كلمة واكثر . ولن تدرك الكلام حتى تذره ، ولن تذره حتى تحذره ، وفي القول خطأ كثير ، وبعضه صواب ، وان الصمت منه لأصوب فاترك منه مالا تنتفع بأخذه . وخذ منه مالا تقدر على تركه ، واسجن لسانك كما تسجن عدوك ، واحذره كما تحذر غائلته .

وقال في الحاسدين : اعلم انك لن ترقى من الخير درجة ، ولن تبلغ منه مرتبة ، ولن تنزل منه منزلاً الا وجدت فيه من يحسدك ، وانما الحاسد خصم فلا تجعله حكما

فانه ان حكم لن يحكم الا عليك ، وان قصد لم يقصد الا اليك ، وان دفع لم يدفع الا حقك ، وفي ذلك أقول شعراً .

ولو كنت مثل القدح ألفيت قائلاً — الا ما هذا القدح ليس بقائم

ولو كنت مثل النصل ألفيت قائلاً — الا ما هذا النصل ليس بصارم

وهذا المعنى مأخوذ من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه «لو كان المرء اقوم من القدح لوُجد له غامز» (والقدح السهم) .

كنت أود لو اتسع المجال للقول حتى أزيدكم من حكم الحكيم اللخمي العظيم . ومع هذا فقد رأيتم نموذجاً من مواعظه وحكمته ، وتفكيره ارقى تفكير في عصره ؛ هو تفكير عربي بعيد النظر غير متأثر الا ببيئته ، ولا صادر الا عن شرع أمته وادب ملته . ولولا ما ترجم له مؤرخ دمشق الحافظ ابن عساكر لنسي اسمه من جريدة رجالنا ، فان ألوفاً من افضل الناس سحب الدهر عليهم ذيل النسيان ونسوا باهمال المؤرخين او مصانعة منهم خصوم اولئك العظماء او لأنهم ما أرادوا هم ان يذكروا بشيء وآثروا الخمول على الظهور .

يقول المنصفون من الباحثين في تاريخنا من الافرنج انه لم يعهد لأمة ان اخرجت رجالاً اكثر عدداً من رجال العرب والاسلام ، وان ما عمله الفرد منهم قد يعجز عن انتاج مثله الجماعة ، وانه من المستغرب صدور ما صدر عنهم من بحث ودرس وتفكير في زمن كان العقل البشري يغط غطيطاً كغطيط النائم ، وقد أمست الأمم بعد تراجع المدنية اليونانية والرومانية اللاتينية لا ترى النور الا من سم الخياط ؛ وضعف فيها كل ما يدل على حياة وفكر وعلم وصناعة .

نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول

للغة العربية في مصر

أصدر مجمع فؤاد الاول للغة العربية اربعة مجلدات من مجلته . وتفضل فبعث اليَّ بها تباعاً ؛ فقرأتها بامعان واستفدت من بعض ابحاثها . وشكرت لرجال المجمع ما اسدوه الى لغة الضاد من جميل . ولئن كان عملهم دون ما كان العالم العربي ينتظره منهم فالطفرة امر محال ؛ ولا بد لهم في يوم من الايام ان يسيروا على اسهل طريق تؤدي بهم الى بلوغ اهم غرض من اغراض المجمع وهو صنع معجم افرنجي عربي للمصطلحات العلمية والمخترعات الحديثة ، وصنع معجم عربي تعرف فيه الالفاظ تعريفاً علمياً . ومما قرأته في المجلة انهم اتخذوا قراراً بذلك . لكن عملاً عظيماً كهذا لا يتم بقرار ولا بجهد لجنة او اكثر من لجان المجمع ؛ ولا بالرجوع الى اختصاصي او اثنين او ثلاثة من أساتذة المدارس او العلماء . والطريقة الوحيدة التي تمكنهم من صنع هذين المعجمين في بضع سنوات هي الاستعانة بجميع الاختصاصيين المعروفين في البلاد العربية ؛ ودعوة كل منهم الى وضع معجم صغير في الالفاظ المتعلقة بموضوعات اختصاصه ؛ ثم جمع ثمار هذه الجهود في المعجمين المبحوث عنهما . وهذه الطريقة هي التي اتبعها ويتبعها الاوربيون في وضع معاجمهم سواء أكانت اغراضها علمية ام لغوية . فمعجم لاروس المصور مثلاً عمل في تأليفه عشرات بل مئات من الاساتذة والعلماء . ومعجم لاروس الصغير استنفد جهود عدد كبير منهم . وزاد عدد العلماء الاختصاصيين الذين ساهموا في معجم لاروس الزراعي (وهو معلمة زراعية) على ٧٥ رجلا . وعددت ٣١ عالماً اشتركوا في صنع معجم بارال الزراعي الخ .

ورب قائل يقول انه تسنى لكثير من الافراد ان يطلع واحدهم على الناس بمعجم لا بأس به . وهذا القول صحيح ؛ فبعض الافراد من الاوربيين مثلاً اخرجوا معاجم مقبولة لانهم نقلوا او لخصوا جهود مئات من الاعلام الذين سبقوهم الى ضبط

الالفاظ والى تحديد مدلولاتها تحديداً علمياً ؛ والى بحث الموضوعات العلمية على أدق الاساليب الحديثة ·

اما نحن فاننا مضطرون الى خلق عمل لم يسبقنا اليه احد · ولهذا يستحيل على فرد او على بضعة افراد منا ان يضطلعوا به · والدليل على ذلك ان المعاجم العربية الحديثة كمحيط المحيط واقرب الموارد والمنجد والبستان وغيرها ليست سوى نسخ مشذبة من المعاجم الاصلية · والفاظ هذه المعاجم الجديدة لم تعرف الا بمثل ما عرفت به في الامهات المذكورة ؛ اي ان كثيراً من هذه التعريفات سقيمة لا تصلح لزماننا هذا ولا تطابق تعريفات الكلم المماثلة في معاجم اللغات الاوربية · اما المعاجم الفرنسية العربية او الانكليزية العربية (ولا حاجة الى سرد اسمائها) ففيها من الاغلاط مالا يعد ولا يحصى · وما السبب في ذلك الا كون مؤلفيها تصدوا الى البحث عن علوم لا صلة لهم بها ولا بألفاظها العربية · فهذا محام يقحم في معجمه الفاظ الطب ؛ وذاك طبيب يتصدى الى الالفاظ الزراعية ؛ وذلك ناسك يتناول الفاظ العلوم المختلفة الخ · فهل يستغرب بعد هذا ان يجد المدقق في معجماتهم غلطات لا عداد لها ؟

ومجمع مصر يقر في كل سنة بضع مئات من المصطلحات معظمها معروف · ولكن ماهي بضع المئات من الالفاظ وأمامنا منها ألوف مؤلفة ؟ ثم ان إقرار المتعارف من تلك المصطلحات ليس من الامور الصعبة · والصعوبة انما تكون في ايجاد اصلح الالفاظ العربية للمعاني العلمية الدقيقة · وليس كل من اطلع على قواعد لغتنا الضادية او على الفاظها الكثيرة بقادر على اتقان هذا العمل · ولا يتقنه الاختصاصي بأحد العلوم اذا كان جاهلاً بأسرار العربية · وقوامه ان يجتمع في المتصدي له اختصاص بعلم من العلوم ومعرفة واسعة بلسان العرب وبألسنة العلوم الاوربية · وركنه الاساسي اطلاع كاف على أصول الكلم الفرنجية والعربية ؛ وعلى الطرائق المثلى في نقل المصطلحات العلمية الى اللغة الضادية · وهذه الصفات لا تتم لعالم اذا هو لم يكن ميالاً بطبيعته الى متابعة هذه الموضوعات المضنية ؛ واذا هو لم يسلخ سنين طوالاً من عمره في تحري اجود المصطلحات لدقائق المعاني ·

انعمت النظر في الفاظ علوم الأحياء التي نشرت في المجلدات الأربعة من مجلة مجمع فؤاد الاول ، (وفيها ما يعد من العلوم الزراعية الداخلة في نطاق اختصاصي) فألفيت فيها هنات يجب الاشارة اليها ومصطلحات اعتقد أن غيرها أجود منها . وها كم بعضها :

(١) — لفظة Biologie فقد ترجمت في الجزء الاول من مجلة المجمع (ص ٦٥) بعلم الحياة . ثم عدل في الجزء الثاني (ص ١٣٦) عن علم الحياة الى علم الاحياء وهو التعبير الذي اقره المجمع دون ان يذكر سبباً لاطراحه التعبير الاول . واذا تناولنا اي معجم من المعاجم الفرنجية نجد فيه ان لفظة بيولوجيا من اصلين يونانيين وهما Bios اي حياة و Logos اي بحث وموضوع ، وان بيولوجيا معناها علم حياة الاجسام المعضّاة . فالترجمة المضبوطة لفظاً ومعنى لبيولوجيا هي اذن علم الحياة لا علم الاحياء . ولا نرى جوازاً لقولنا علم الاحياء الا الرغبة في ايجاد صلة بينه وبين لفظة أحيائي بمعنى Biologiste تمييزاً لهذه اللفظة الاخيرة عن حيوي بمعنى Biologique ولكن هذه الصلة ليست كبيرة الشأن . وبامكاننا ان نقول علم الحياة واحيائي وحيوي ترجمة للالفاظ الفرنسية الثلاث المذكورة دون التباس . وأتذكر انني كنت في دار المقتطف في احدى رحلاتي الى مصر ، فسألني صديقي الاديب الالمعي فؤاد صروف هل الاصلح ان نقول علم الحياة ام علم الاحياء ؟ فأجبته بأن علم الحياة هو الترجمة الصحيحة للفظة بيولوجيا . وقد خالفت في ذلك رأي العلامة امين باشا المعلوف (عدد نيسان ١٩٣٦ من المقتطف) وبرهاني على ذلك ما ذكرته عن المعنى الاصلي لكلمة بيولوجيا وعن متناولها اليوم ، وهي أبحاث لا تتعدى بعض قوانين الحياة ومظاهرها . اما الاحياء فلها علوم عدة كعلم النشوء وعلم الاجنة وعلم التشريح وعلم وظائف الاعضاء وعلم تربية الدواجن وعلم الإحاثة الخ .

(٢) — لفظة Dégénération ومعناها الانحطاط والدّناية . فقد جاء في المجلد الاول انها الاستحالة . وكنت في مصر عندما صدر هذا المجلد فنشرت في جريدة

المقطم (عدد ١٢ نيسان «ابريل» سنة ١٩٣٥) مقالاً انتقدت فيه عدداً من الالفاظ التي لم تكن لجنة المجمع مصيبة في وضعها . ومن جملتها اللفظة التي نحن في صددها . وقلت يومئذ ان الكلمة الفرنجية تتضمن معنى الانحطاط والدناية . اما الاستحالة فلا تفيد هذا المعنى فالشيء يجوز ان يستحيل دون ان ينحط لكنه لا يجوز ان ينحط دون ان يتحول .

فلما صدر المجلد الثاني من المجلة وجدنا فيه ان المجمع قد اطرح لفظة الاستحالة واستبدل بها لفظة التنكُّس . وهو مطاوع نكَّس . وفي القاموس نكَسه قلبه على رأسه كنكَّسه . وفيه : نكَس الطعامُ داءَ المريض أعاده . وفي الاساس : نكستُ الشيءَ قلبته . وفي التاج : النكس يرجع الى قلب الشيء ورده وجعل اعلاه اسفله ومقدمه مؤخره

ويتضح من ذلك ان النكس والتنكيس قلب الشيء وجعل اعلاه اسفله . وهما يتضمنان معنى الدناية اذا استعملا مجازاً كما في القرآن الكريم «من نعمره ننكسه في الخلق» ولكن ما هي الحكمة في ترك المجمع للفظتي الانحطاط والدناية وهما معروفتان ؟ والاولى منها تستعمل في الكتب العلمية . وتوجد في المعاجم الفرنجية العربية امام الكلمة الفرنجية المذكورة . ومن معانيها الهبوط . اما الثانية فمن دَنِيَ يَدْنَى دَنا ودَناية اي اصبح ضعيفاً وساقطاً . وهي في معناها اقرب من غيرها الى اللفظة الفرنجية .

(٣) — الإبريج والمِمْخَضة . جاء في الصفحة ٤٥ من المجلد الاول الإبريج آلة يمخض بها اللبن لاستخراج السمن منه . ونرى ان تخصص بالآلات الفنية المستحدثة كما في مدارس الزراعة والمصانع . والممخضة تخصص بما يستعمله القرويون في استخراج الزبد .

وفي المجلد الثاني (ص١٠٩ و ١١٠) اقر المجمع معنى اللفظتين فجعل الاولى أي الابريج تنظر الى Baratte قال : «وقد خص المجمع الابريج بالآلة الحديثة التي

تستخدم لمخض اللبن (كذا) في المصانع الكبيرة وفي مدارس الزراعة ونحوها» .
اما الممخضة فأوجد المجمع لها لفظة افرنسية من عنده وهي Barate primitive (كذا) قال: (... الاداة المنزلية التي بها يستخرج الزبد من اللبن واكثر ماتشاهد في بيوت سكان القرى الخ .)

قلت عندما قرأت الفاظ المجلد الاول كتبت في المقطع عن الابريج ما يلي «يلوح لي ان واضعي هذه اللفظة يجهلون الآلات الحديثة التي تستعمل في صناعة الزبد . فهذه الآلات ثلاث وهي أولاً الآلة المسماة Ecrémeuse وبالعربية المفرزة والفرّازة وهي تفرز الكثأة اي القشدة عن الحليب . ثانياً الآلة المسماة Baratte وهي المِمخض والممخضة وبها يفرز الزبد عن المخيض . ومن المعلوم لدى ارباب الزراعة ان اشكال الممخضات كثيرة وان منها ما يستعمله البدو والفلاحون ولها اسماء لا يفيد ذكرها بهذه العجالة . ثالثاً الآلة المسماة Malaxeur وهي المعجنة تجرد بها الزبدة مما يكون عالقاً بها من سكر اللبن والاملاح والجبنين . وبعد العجن توضع الزبدة في القوالب المعروفة . فيتضح اذن ان الآلات الفنية المستحدثة لا تحتاج الى لفظة الابريج . ولا حاجة أيضاً الى الارزيز اي الهاتف والتلفون ، من الوزن نفسه»[1] .

ويتضح من ذلك ان المِمخض والممخضة تنظر الى Baratte قديمة كانت ام حديثة . ومن اسماء المماخض القديمة السقاء والشكوة والنحي وغيرها وكلهن عربيات فصيحات . وهي تدل على ادوات معروفة تستعمل في مخض اللبن في القرى وفي القبائل البدوية كما تستعمل في غير مخض اللبن .

وغاط المجمع بقوله «وقد خص المجمع الابريج بالآلة الحديثة التي تستخدم لمخض اللبن» ، فالآلة الحديثة لا تستعمل في مخض اللبن بل في مخض الكثأة والطثرة Crème

(١) واضع لفظة الارزيز للتلفون العلامة الشيخ أحمد الاسكندري (١١١ من المجلد الاول) وكان رحمه الله من اكثر العلماء اطلاعاً على اسرار اللغة العربية ، لكنه كان عدواً ازرق للتعريب . وقد رفض مجمع مصر هذه اللفظة واحتفظ بلفظة الابريج الفارسية الثقيلة .

وهي ذلك الضرب من القشدة الذي يخرج من المفرزة Ecrémeuse . وغلط أيضاً برسمه Baratte الفرنسية بتاء واحدة والصحيح بتائين وهي غلطة مطبعية .

٤ — الجنس والشِق . في الفرنسية كلمة يميزون بها الذكور عن الاناث وهي كلمة Sexe فأجدادنا العرب كانوا يستعملون لهذا المعنى لفظة الجنس فيقولون جنس الذكور وجنس الاناث . وكانوا يطلقون لفظة الجنس أيضاً بلا تمييز على بضع حلقات من حلقات تصنيف الاحياء اي على Variété و Espèce و Genre وغيرها . وفي أيامنا هذه اجمعت الآراء على استعمال كلمة الجنس بمعنى Genre ولم يشذ مجمع مصر عن ذلك (م ٤ ص ٥٤) وكان من المنتظر ان يقر المجمع المشار اليه لفظة اخرى تفيد معنى Sexe فاذا به يقر لفظة جنس لهذا المعنى ايضاً (م ٢ ص ١٨٣) وهكذا صار للجنس معنيان مختلفان . فاذ نسبت اليه وقلت « جنسي » فأنت لا تدري أمعناه Générique ام Sexuel . وحار المجمع بهذه النسبة فأقر لفظة تزاوجي بمعنى Sexuel ومعناه اصبحت لفظة التزاوجي تفيد معنى النسبة الى الجنس . ولكن التزاوجي هي النسبة الى التزاوج ، والتزاوج شيء والسكس Sexe شيء آخر .

والذي نعلمه ان بعض اصحاب المعاجم الحديثة وبعض الكتاب النبهاء اصطلحوا على لفظة شِق للدلالة على Sexe وان هذه الكلمة أخذت تشيع . وهي حسنة وموافقة ، ولا يخشى في استعمالها من الالتباس ، اي انها لا تستعمل اليوم لمعنى آخر مشهور . والنسبة اليها شِقي . ولا يحتجنَّ بأن معنى الشق في كتب اللغة لا يفيد معنى الكلمة الفرنسية تماماً . فنحن انما نوجد اصطلاحات عربية لمعان علمية . فاذا تقيدنا بحرفية الفاظ المعاجم ومعانيها يصبح عملنا ضرباً من العبث وتظل لغتنا في مؤخرة اللغات الحية .

والمسوغات التي جعلت مجمع مصر يقر الشقة بمعنى Appartement (وهو قرار حسن) هي نفسها التي تجيز له استعمال الشق بمعنى سكس [1]

(١) كانت لجنة علوم الأحياء وضعت لفظة تَمل بمعنى Sexe (م ١ ص ٢٩٧) ونسبت اليها أو إلى جمعها فقالت تمولي فلم يقرها المجمع .

(٥) — الطاقة · وضع العلامة بعقوب صروف لفظة الطاقة بمعنى Energie وهي ما برحت تذكر في المقتطف منذ سنين · واقتبسها الكتاب في كتبهم وفي مقالاتهم فأصبحت مألوفة متداولة · وكان على مجمع مصر ان يقرها ما لم يثبت سقمها وما لم يجد لفظة ترجحها · وبدلا من ذلك رأينا الكتاب في مجلة المجمع المذكور يترجمون اللفظة الفرنسية تارة بالاقتدار (ج ١ ص ٧٤) وطوراً بالنشاط (م ١ ص ٨٧) · ورأينا المجمع يقر المقدرة والاقتدار (م ٣ ص ١٤٧) دون تعليل ·

ولم أتمكن من معرفة الاسباب التي حملت المجمع على اطراح لفظة الطاقة فهي في كتب اللغة الاقتدار بعينه · ولا يحصل في استعمالها التباس كالذي يحصل في استعمال الفاظ المجمع المذكورة · ثم ان لها رجحان التداول منذ سنين ، وهو مما يجب ان يحسب له حساب · واسترعى نظري ان رئيس تحرير المقتطف لبث يستعمل كلمة الطاقة وحسناً يفعل فعلى المجمع ان يعيد النظر في قراره ·

٦ — الكأس والتويج · من اجزاء الزهرة المعروفة وريقات خارجية يسمى مجموعها Calice وأخرى داخلية يسمى مجموعها Corolle فأولى اللفظتين الفرنسيتين من أصل يوناني Kalyx ومعناها الكأس · والثانية من اللاتينية Corolla تصغير Corona اي التاج فيكون معناها التويج · وقد ترجموا في مصر هاتين الكلمتين في بدء النهضة الحديثة ترجمة مضبوطة فقالوا الكأس والتويج · وهما لفظتان جميلتان لا غبار عليهما يجدهما الانسان في جميع كتب النبات والزراعة في البلاد العربية كافةً وفي الجمهورية التركية ·

وشاءت لجنة العلوم المتعلقة بالحياة والاحياء في مجمع مصر (وليس فيها اختصاصي بالنبات على ما أعلم) ان تخالف الاجماع فسمت الكأس كِمًّا والتويج نَوْرة (ج ١ ص ٩٩) فلما وقع نظري على ذلك كتبت في المقطم ان لفظتي الكم والنورة لاتدلان على مدلول الكلمتين الفرنجيتين تماماً · فالاولى تنظر الى Périanthe والثانية معناها الزهرة لاهذا الجزء من الزهرة · وذكرت ان لفظتي الكأس والتويج منتشرتان في المدارس العربية والتركية فلا يجوز مسخها بلا سبب ·

وصدر المجلد الثاني من مجلة المجمع وفيه ان المجمع اقر لفظتي الكم والنورة ٠ وعلى هذا يكون قصارانا لفت نظر المجمع المشار اليه الى المثل المعروف «اذا أردت ان تطاع فسل ما يستطاع» فانمعة لا تخدم باطراح مصطلحاتها المألوفة الجيدة حتى عندما يؤتى بمصطلحات اجود منها ٠ فالمألوف الشائع الحسن يجب ان يتمسك به ٠ ولا يجوز لمجمع مصر ان يلقي حبل الذين يسميهم اساتذة ومستشارين على غاربهم في أمور كهذه ٠

(٧) — السَّدَاة ٠ ترجمت بها كلمة Etamine الفرنسية في بدء النهضة الحديثة ٠ وهذه الكلمة من اللاتينية Stamina جمع Stamen بمعنى السداة في النسيج ٠ وقد استعملها بلينيوس قديماً للعضو الذكري المعروف في زهرة الزنبق ، فاقتبسها الفرنسيون وغيرهم واطلقوها على العضو المذكور بعد ان صقلوها حتى تسيغ في لغاتهم ٠

وترجمت هذه اللفظة الى العربية ترجمة صحيحة ٠ وشاعت كلمة السداة في الكتب النباتية في جميع البلاد العربية ٠ فاذا بلجنة مجمع مصر تضع لجزء الزهرة المبحوث عنه لفظة جُمّاح (م ١ ص ٩٩) واذا بالمجمع يعدل عن هذه اللفظة ويقر مكانها الإبرة دون ان يشير بكلمة الى سقم الجماح ولا الى سبب اطراح السداة التي كنت نبهته اليها في مقالي في المقطم ٠

وبعد هل للابرة رجحان على السداة علمياً ولغوياً ؟ فالابرة في كتب اللغة لا تطلق على العضو الذي نتكلم عليه ٠ وهذا العضو مكون من جزئين احدهما يسمى Anthère وهو المئبر وفيه اللقاح Pollen ٠ والثاني يسمى Filet وهو خيط شبيه بالابرة ٠ ومما يسهل ادراكه على الملم بعلم النبات ان لفظة الابرة تصلح لتأدية معنى الخيط المذكور ، لكنها لا تصلح لتأدية معنى الجزء المهم الاصلي من الايتامين وهو المئبر اي Anthère ٠ والدليل على ذلك ان المجمع اطلق أيضاً لفظة الابرة على حامل السمة في عضو التأنيث من الزهرة ٠ واسم هذا الخيط او القلم الذي يحمل السمة Style (م٢ص٧٣ امادة Pistil) ٠ وفي الحقيقة يمكن استعمال الابرة اما بمعنى الخيط الذي يحمل المئبر واما بمعنى القلم الذي يحمل السمة ٠ ولا يجوز استعمالها بمعنى السداة اي

ايتامين . وأما اطلاق الابرة على السداة وعلى حامل السمة معاً فهو خبط وتشويش ليس غير .

والخلاصة لا يجوز وضع الابرة مكان السداة . والسداة ترجمة صحيحة للكلمة الفرنجية . وهي شائعة تدرس في المدارس العربية منذ عدة سنين .

(٨) — الوَزِيم والمِدَقّة . يسمى عضو التأنيث في النبات Pistil وهي من اللاتينية Pistillus ومعناها Pilon اي المدقة . وواضعها لهذا الجزء من الزهرة العالم النباتي الفرنسي طُرنوفُرط في القرن السابع عشر للميلاد . وقد سمي العضو المذكور بهذا الاسم لانه يشبه المدقة .

وترجمت الكلمة الفرنسية بالمدقة في النهضة الحديثة وشاعت هذه اللفظة العربية واستعملت في الكتب المدرسية . وكان على مجمع مصر ان يقرها او يقر لفظة الوزيم التي نبهه اليها العلامة امين باشا المعلوف . فالوزيم في مستدرك التاج الطلع يشق ليلقح ثم يشد بخوصة (انظر المقتطف عدد نيسان ١٩٣٦ ص ٥٣٨) وهذه اللفظة تصلح للدلالة على مجموع اعضاء التأنيث في الزهرة اي Gynécée واشتق مجمع مصر لفظة المتأبر بدلاً من المدقة والوزيم . ولم يكن مصيباً في ايجاد هذه اللفظة مع وجود ماهو أصلح منها من حيث صحة الترجمة والاشتهار .

(٩) — الجُشّ والكُشّ والعَطِيل : مما نبه اليه الدكتور امين باشا المعلوف الجش والكش بمعنى Androcée اي مجموع أعضاء التذكير . وسماه مجمع مصر المئبر على حين ان المئبر يجب ان تكون ترجمة لكلمة Anthère كما اشرت اليه . وجاء في المخصص «م ١١ ص ١١٠ » الكش الذي يلقح به النخل ، والعطيل ما لقحت به النخلة من الفحال . وفي القاموس الكش الذي يلقح به النخل . قلت من الواضح ان المقصود عراجين الازهار الذكرية التي تقطع من الفحال وتحمل الى النخلة فينثر لقاحها على الازهار الانثوية في الطلعة . وهذا العمل يسمى الابارة .

(١٠) — البَوْغ والنُبَيرة . اطلقت لجنة العلوم المتعلقة بالاحياء لفظة هَبْوة على ما يسمى Spore (م ١ ص ٩٦) فكتبت في المقطم ان الدكتور بوست كان

وضع كلمة غبيرة لهذا المسمى (واحدة تصغير الغبار) وان اللفظتين من التراب ، وانهم لو قالوا هباءة لكانت اصلح من هبوة لأن اضبوة الغبرة ، اما الهباءة فقطعة واحدة من اضباء والفرق واضح .

ولم اكن اعرف يومئذ انه يوجد في العربية كلمة لها معنى الكلمة الفرنسية وهي البوغ . فقد جاء في اللسان البوغ الذي يكون في اجواف الفقعة . وجاء البوغ في المخصص بهذ المعنى . وقد اقر مجمع مصر هذه اللفظة الموافقة (م ٢ ص ١٨٣) لكنه غلط في رسمها او غلطت المطبعة في رسمها فجعلتها مضمومة الباء والصحيح فتحها فعلى المجمع ان يشير الى ذلك .

وسمى بعضهم البوغ بزرة ذاهبين الى ان الكلمة الفرنسية من اليونانية Spora بمعنى البزرة . ولكن لهذه الكلمة العربية معنى آخر مشهوراً ، فلا يجوز اطلاقها على المسمى الذي نتكلم عليه منعاً للالتباس .

(١١) — فلاحة البساتين . زراعة البساتين : ذكر الشارحون في تعريف البزرة (م ٢ ص ١٨٠) كلمة Horticulture وقالوا انها علم الزراعة والاشجار . وقد غلطوا في قولهم هذا . فالكلمة الفرنسية هي فلاحة البساتين وزراعة البساتين . وهذا هو معناها الاصلي لغوياً ومعناها العلمي عند أرباب الفلاحة . وهي من اللاتينية Hortus اي البستان وCultura اي الحرث والزرع والزراعة . ويتناول هذا العلم زراعة البقول والأزهار وأشجار الفواكه وأشجار التزيين . وكل منها يعد اليوم علماً مستقلاً له الفاظه ومصطلحاته . ولكنها جميعاً يعبر عنها بكلمة Horticulture ولا يدخل في نطاقها علم الزراعة Agriculture لانه يتناول الحبوب ونباتات زراعية أخرى . أما زراعة الشجر وحدها فهي بالفرنسية Arboriculture وهي ثلاثة فروع او علوم : زراعة الاشجار المثمرة اي اشجار الفواكه ، وزراعة أشجار التزيين (وهما فرعان من زراعة البساتين كما ذكرت) وزراعة الحراج اي علم الحراج Sylviculture وهو من اوسع العلوم الزراعية .

(١٢) — النُسغ والطَلّ : في شرح مادة (العرق الجانبي) (م ٢ ص ١٩٠) اصطلاحان اخطأ الشراح في ذكرهما وهما العصارة الفجة والعصارة المغذية . فالماء الذي يحتوي املاحاً ذائبة والذى تمتصه الجذور يسمى نُسغاً وطَلاً . وهو النسغ الناقص او الطل الناقص قبل ان تنضم اليه المواد التي تحصل بتأثير الخَضْب (اليخضوب) في الاوراق . ثم هو النسغ الكامل او الطل الكامل بعد ان يكمل في الاوراق فيهبط منها ويتوزع على اعضاء النبات فيأخذ منه كل عضو مايلزمه من العناصر الغذائية .

ولفظة النسغ الفصيحة الصحيحة موجودة في جميع كتب النباتات والزراعة . أما الطل بهذا المعنى فأول من نبه اليه الاستاذ اللغوي السيد سليم الجندي أحد أعضاء مجمعنا في دمشق . والنسغ بالفرنسية Sève والنسغ الناقص هو S. brute و S. ascendante وترجمتهما حرفياً النسغ الفج والنسغ الصاعد (لأن النسغ الناقص يصعد من الجذور الى الاوراق حيث يكتمل) . اما النسغ الكامل فيسمونه S. élaborée و S. descendante اى النسغ المهيأ والنسغ الهابط .

والدُمَّاع هو النسغ أيضاً اي ما يسيل من الغصن اذا قطع . وقد جعلتُ هذا اللفظ في معجمي امام Pleurs الفرنسية المستعملة بهذا المعنى . ويتضح من كل ذلك انه لا مجال لاستعمال العصارة بمعنى النسغ .

(١٣) — كثير من الكلم الفرنجية لها معنيان الاول للتعدي والثاني للمطاوعة . ووجدنا مجمع مصر يكتفي باحدهما وهو نقص لا يجوز السكوت عنه . مثاله كلمة Reproduction فقد وضع المجمع لها كلمة التناسل ، على حين ان لها معنيين الإنسال والتناسل او التوليد والتوالد . وكلمة Assimilation سماها التمثُّل وهي في الحقيقة التمثيل والتمثل . وكلمة Multiplication قال انها التكاثر والصحيح التكثير والتكاثر . وهكذا كل ما كان من هذا القبيل . وترجمة هذه الكلمات بمصدر اللازم او بمصدر المتعدي يتوقف على ادراك معاني الجمل الفرنسية التي تستعمل فيها

الكلمات المذكورة [1] . وقد كان الدكتور امين باشا المعلوف نبه المجمع الى كلمة Assimilation (عدد ابرايل ١٩٣٦ من المقتطف) والى ما يشابهها من الكلمات .

(١٤) — خلط الشراح معنى كل من الكلمتين Multiplication و Reproduction (م ٢ ص ١٦٧ ؛ و ص ١٧٧) وجعلوهما بمعنى واحد خلاصته تولد احياء جديدة بالتناسل . وفاتهم ان جميع العلماء الفرنسيين يفرقون بين الكلمتين اذا استعملتا في النبات . فالكلمة الاولى اي التكثير والتكاثر يعرفونها بقولهم انها تكثير الافراد النباتية بواسطة جزء من النبات المراد الاحتفاظ به . ومن هذه الاجزاء النباتية العكيس والطعم والفسيلة والشكير واشباهها . ويقولون ان الفرق بين التكثير والتوليد (والثاني Reproduction) كون الاصل في الثاني يكون بيضة (بزرة او بوغا) دائماً . والخلاصة انك اذا عكست الغصن (الترقيد ، التدريخ) أو طعمته او قطعت الفراخ والعقّان والشُّكُر والأرآد عن الأم وغرستها فعملك هذا هو التكثير . اما اذا بذرت البذار فعملك يسمى التوليد [2] . وما من مؤلف فرنسي يخلط اليوم معنى الكلمة الواحدة بمعنى الكلمة الثانية . وتعريف التكثير والتكاثر الذي ذكرته مدون في معجم لاروس الزراعي فليراجعه من يشاء ، او ليراجع أي كتاب فرنسي حديث في النبات او الزراعة او علم اصلاح النسل . اما الكتب القديمة من معاجم وغيرها فلا يعول عليها في هذا الباب لأن التمييز بين الكلمتين بالفرنسية شيء حديث على ما أعتقد .

وقد عرّف الشراح في مجلة مجمع مصر كلمة التكاثر بقولهم « ازدياد الحيوانات والنباتات بالتناسل ، وخاصة اذا كان العدد المنتج كثيراً » ويتضح مما ذكرته ان في هذا التعريف هنات ، منها أن المجمع قصر التكاثر على طريقة التناسل ، على

(١) اذا قيل مثلاً Multiplication par greffage فهو التكثير بالتطعيم لا التكاثر بالتطعيم لأن التطعيم عمل يأتيه الانسان في الاعم من الحالات . وهكذا تقول التكثير بالفراخ لا التكاثر بها وهو M.par rejeton . اما اذا قيل M. naturelle فمعناه التكاثر الطبيعي لا التكثير الطبيعي ، لأن المراد تكاثر النبات طبيعياً بمثل سوقه او اصوله الارضية . (٢) وفي الحيوان اذا انشطر المكروب الحيواني شطرين فهو التكاثر اما اذا تسافدت النعم مثلاً فهو التناسل

حين ان التكاثر يكون بغير التناسل ، اي انه يحصل بانفصال جزء من النبات كالاجزاء التي أشرت اليها ، كما يحصل بانقسام ذوات الخلية الواحدة من النبات والحيوان . اما التناسل فأساسه بيضة او بزرة ليس غير .

وأما قولهم « وخاصة اذا كان العدد المنتج كثيراً » فجملة لم أفهم لها معنى .

(١٥) — المكروب والجرثومة والحُيَيّ : من المعلوم ان لفظة المكروب تعربت منذ زمن بعيد ، وانها اصبحت معروفة حتى في أوساط العامة . وترجمها الترك بلفظة جُرثومة . واقتبسناها عنهم في مدارس الشام فقلنا جراثيمي وجرثومي وعلم الجراثيم لما ينظر اليها من الالفاظ الفرنسية المعروفة

وربما اعترض معترض على الجرثوم والجرثومة بقوله ان لها معنى آخر في كتب اللغة ، واننا قد نطلقها على ما يسمى Germe بالفرنسية وهو ما أقره مجمع مصر . ولو فرضنا ان هذا الاعتراض وجيه في ذاته فما هو اعتراضنا على كلمة المكروب لغوياً وذوقاً وعرفاً ؟ انني لا أرى غباراً على هذه الكلمة الا اذا صرفنا النظر عن التعريب بتاتاً وهو أمر محال .

وقد كان من صواب الرأي اقرار كلمة المكروب . لكن مجمع مصر وضع لمسماها كلمة حُيَيّ تصغير حي . وهي كلمة ثقيلة على السمع تكاد النسبة اليها تكون من المستحيلات لثقلها . فليتصور القارئ حالة أستاذ المكروبات في معهد الطب او في مدرسة الزراعة وهو ينسب الى حُيي في كل بضعة اسطر من درسه ، اي ليتصور تتابع الياءات في قوله مثلاً (الامراض الحييية) .

هذه لفظة لا أظنها خلقت لتعيش . ولو سألنا أساتذة الطب والزراعة والنبات والحيوان في الاقطار العربية عن رأيهم فيها لأجاب تسعون في المئة منهم انهم يرجحون عليها لفظة المكروب المعربة . أما الادباء وهم في نظري أدق تذوقاً للالفاظ من العلماء ومن اللغويين ، فلا أعتقد ان فيهم واحداً يرجح الحيي على المكروب او على الجرثومة .

(يتبع) مصطفى الشهابي

قصور الأمويين

في الديار الشامية

امتاز تاريخ دولة بني أمية بغرام رجالها بالعمران وحب البنيان فبلغت الحضارة الاسلامية في عهدهم غاية بعيدة . وفي الكتب الادبية والتاريخية اشارات الى ماشيده الخلفاء وعمالهم من المدن والجوامع والقصور والطرق والقناطر والسدود التي ازدهرت بها البلاد الاسلامية عامة والقطر الشامي خاصة . فجاءت خير شاهد على ذلك الماضي المجيد وكان على قصره من أزهر العصور الاسلامية وأبعدها شأواً في المدنية والحضارة . وهذه الظاهرة هي في الغالب أثر من آثار اليسر والرخاء .

بدأ هذا الميل في خلافة عثمان (رضه) فبنى داره في المدينة وشيدها بالحجر والكلس وجعل ابوابها من الساج والعرعر [1] وسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته وتأسوا في فعله وبنوا القصور في مكة والمدينة والبصرة والكوفة والفسطاط والاسكندرية ولا غرابة ان سلك الامويون هذه السبيل بعد ان وطدوا دعائم الدولة العربية الفتية في الشرق والغرب وبسطوا سلطانهم على البحار وسيطروا على الاسواق التجارية التي درت عليهم موارد عظيمة وملأت خزائن الدولة بالاموال التي حملت اليها من الجبايات وموارد الاقطاعات والمكوس فأغتنت بها الدولة وأثرى معها الافراد فاندفعوا الى البذخ والترف ونافسوا في هذا المضمار الروم والعجم فخلفوا آثاراً تغنى بها السلف وتفاخر بها الخلف .

لم يتصل بنا من أخبار آثار بني أمية الا النذر اليسير بعد ان طرق عليها تبديل كثير ومن آثارهم ماهو معروف الى يوم الناس هذا وينتفع به المسلمون كجامع بني أمية بدمشق وجامع حلب [2] والمسجد الاقصى في بيت المقدس وجامع المدينة المنورة وجامع قرطبة في تونس . ومنها ما دثر رسمه وحفظ اسمه كقصورهم في دمشق وحلب وحمص وغيرها من المدن الشامية .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص : ١٣٣ (٢) خطط الشام للاستاذ كردعلي ج ٥ ص : ٢٦٦ — ٢٨٠

فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم فقراً سوى الذكر والآثار ان ذكروا

وهنالك طائفة من الابنية أغفل ذكرها وجهل وجودهـا فأظهرتها المصادفات والتنقيب الأثري ولولا ذلك لبقيت مدفونة مهملة لا ذكرى تحييها ولا اطلال تنعيها ٠

بالغ الأمويون في نفقات البناء حتى أتهمهم خصومهم بالاسراف والجور على الكف وافقار بيت المال ومنع المستحقين أعطياتهم - وهذا ما حمل يزيد بن الوليد — لما بويع بالخلافة — ان يقطع على نفسه عهداً أن « لا يضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة ولا يكري نهراً » [1] ان لم يصلح ما عابوه على أسلافه ٠

وكان جميع من ولي الأمر من بني أمية ينزلون دمشق إلا مروان فقد نزل حران من أرض الجزيرة [2] ولكن كان الخلفاء وابناء الخلفاء يتبدون فينزلون البرية وشيدوا لهذه الغاية منازل ومساكن يحاكي بعضها أعظم القصور وافخمها ينفرون اليها في بعض الفصول ترويحاً عن النفس بالصيد والقنص او هرباً من وباء او طاعون ٠

وقد نقل الينا ان يزيد بن معاوية مات في حوارين [3] وجاءت البيعة لمروان بن الحكم وهو مقيم في قصره بالجابية [4] وان عبد الملك ينزل قنسرين [5] وروي عن حماد الرواية بأنه أتى الوليد وهو في البخراء [6] حيث قصر النعمان بن بشير الانصاري وهي مما يلي البرية بين تدمر ودمشق كما انه كان ينزل في الربيع بأباير [7] بالبلقاء حيث وفد عليه ابن ميادة وانشده :

لعمرك اني نازل بأباير لصوأر مشتاق وان كنت مكرما

أبيت كأني أرمد العين ساهر اذا بات أصحابي من الليل نوما

وتوفي الوليد بن عبد الملك بدير مران من ضواحي دمشق [8] وبويع سليمان بن عبد الملك بالخلافة وهو بالرملة [9] وتوفي بدابق وكان له فيها منزل الخلافة ٠ وتوفي

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير ج٥ص: ١٠٨ (٢) التنبيه والاشراف للمسعودي ص: ٢٨١ (٣) مروج الذهب ج ٣ ص : ٨٥ (٤) تاريخ الكامل ج ٤ ص : ٥٨ (٥) تاريخ الكامل ج٤ص: ١١٦ (٦) الاغاني ج ٢ص٦٣ (٧) الاغاني ج٢ص : ١٠٤ (٨) تاريخ الكامل ج ٥ص: ٣ (٩) تاريخ الكامل ج ٥ص: ٤

عمر بن العزيز بدير سمعان ودفن فيها[١] والمعروف ان هشاما قد جدد الرصافة وسكنها وأتته الخلافة وهو مقيم فيها[٢] كما انه بنى قصراً في القطيفة [٣] وكان لأم حكيم زوجة هشام قصر ببرج الصُّفّر جنوبي دمشق . وكان ينزل يزيد بن عبد الملك بيت رأس بالشام حيث توفيت جاريته حبابة فيما قيل[٤] ومن منازله أيضاً الموقر وهو حصن بالبلقاء رممه وزينه وجعله من القصور الجميلة وهدمه بنو العباس . قال ابن نخيلة يمدح بني العباس :

وامست الانبار داراً تعمر وخربت من الشآم ادوُر
حمص وباب التين والموقر ودمرت بعد امتناع تدمر

وكان ينزل الوليد بن يزيد بالاغدف من عمان [٥] والازرق بالاردن [٦] وقتل بالبخراء . وكان للعباس بن عبد الملك قصر في حمص هدمه أهلها انتقاماً لمقتل الوليد . وورد ذكر منازلهم في الزيزاء وقدين والابيض والقسطل والزيتونة والصنّبر وبطنان حبيب[٧] واسيس . وتؤيد ما مردنا من الاخبار وغيرها تعدد هذه المنازل والقصور في البلاد الشامية وسنحصر بحثنا فيما اتصل بنا عنها من الشواهد والوثائق التي تؤيد صحة الخبر وتحي ذكرى تراث درسته الايام وتناساه الاحفاد .

سبق لفئة قليلة من علماء الآثار والمحققين والرواد الغربيين ان طرقوا هذا البحث منذ عشرات السنين وأماطوا اللثام عن هذه الناحية الخفية من الحضارة العربية ونبهوا الأذهان اليها دون ان تتوفر لديهم وقتئذ ادلة لاثبات ماذهبوا اليه عن وجود طائفة من الابنية الفخمة في نواح نائية من بلاد الشام يرجع عهدها لأقدم المصانع الاسلامية فأنكرت عليهم هذه الدعوى ونازعهم المنازعون فانحاز لكل من الفريقين أنصار وأعوان واثار ذلك محاورات وابحاثاً دامت سنين عديدة دون ان ترجح كفة على

(١) تاريخ الكامل ج٥ص:٢٣ (٢) تاريخ الكامل ج ٥ ص:٢٦ (٣) تاريخ اليعقوبي ص:١١٢ (٤) الاغاني ج١٣ص:١٥٧ (٥) تاريخ الكامل ج٥ص:١٠٥ (٦) تاريخ الكامل ج ٥ص:٩٧ (٧) خطط الشام ج٥ص:٢٨٠– ٢٨٣

كنفه . الى ان جاءت اكتشافات السنوات الاخيرة الاثرية فوضعت حداً لكل جدل وتوفرت الادلة المقنعة والشواهد الناطقة بصحة هذه الانظار الجديدة وسلم بها أشدهم عناداً وهكذا أصبح اليوم للفن المعاري الاسلامي طابع خاص يعرف به وكيان يتميز به فأمكن الآن رسم مراحله منذ نشأته حتى دور انحطاطه وبذلك بعثت صفحة مجيدة من مفاخر السلف لتكون حديث الخلف

وفيما يلي وصف موجز لأهم القصور الأموية المعروفة في البلاد الشامية بحدودها الجغرافية التي لا تزال آثارها ماثلة للعيان وقد نجت من التخريب والتدمير لبعدها عن المدن والمعمور ولذلك لم تصل اليها أيدي السوء لتحول انقاضها الى سواها من الابنية كما صارت اليه كثير من الابنية الاثرية ومحيت معالمها من الوجود . وقد ارفقنا بحثنا هذا بمخططات بسيطة لأهم هذه القصور وخريطة لسورية يستعين بها القارئ الكريم على تفهم دراستها والتحقق من مواقعها الجغرافية (شكل ٨) وأوردنا ذكر المصادر والمراجع التي استقينا منها مادتنا للرجوع اليها .

قصر الحير الشرقي (شكل ١)

او رصافة هشام

يقع في البادية على بعد نحو (٣٠) كيلو متراً شمال قرية السخنة للشرق . منحرف عن طريقي تدمر — دير الزور وتدمر — الرصافة ويبعد نحو (٧٥) كيلو متراً عن مدينة الرصافة أو رصافة هشام واول من اشار الى وجوده هو جاك روسو في عام ١٨٠٨ ووصفه باسهاب في رحلته المطبوعة [١] . وهو مكون من بنائين (ب و ج) لاتزال جدرانها قائمة وتدل آثارهما على جلالة ماضيها . يحيط بكل منها سور مربع الشكل بارتفاع (١٢) مترا من حجر مهندم ويبلغ اطول اضلاع البناء الصغير (ب) نحو (٧٠) متراً وله في الزوايا أربعة بروج مستديرة وبرجين لكل جدار وحكم بابه بين برجين في وسط الجانب الغربي (د) . وفي داخله باحة يحيط بها

(١) Louis Jaeques Rousseau, Voyage de Bagdad à Alep (1808) p. 146-154.

غرف واسعة بناؤها من الآجر وسقوفها عقد ويرجح وجود طابق علوي ويظهر في الزاويتين الشرقية الشمالية والشرقية الجنوبية آثار طابق ثالث . ويستدل من اتقان

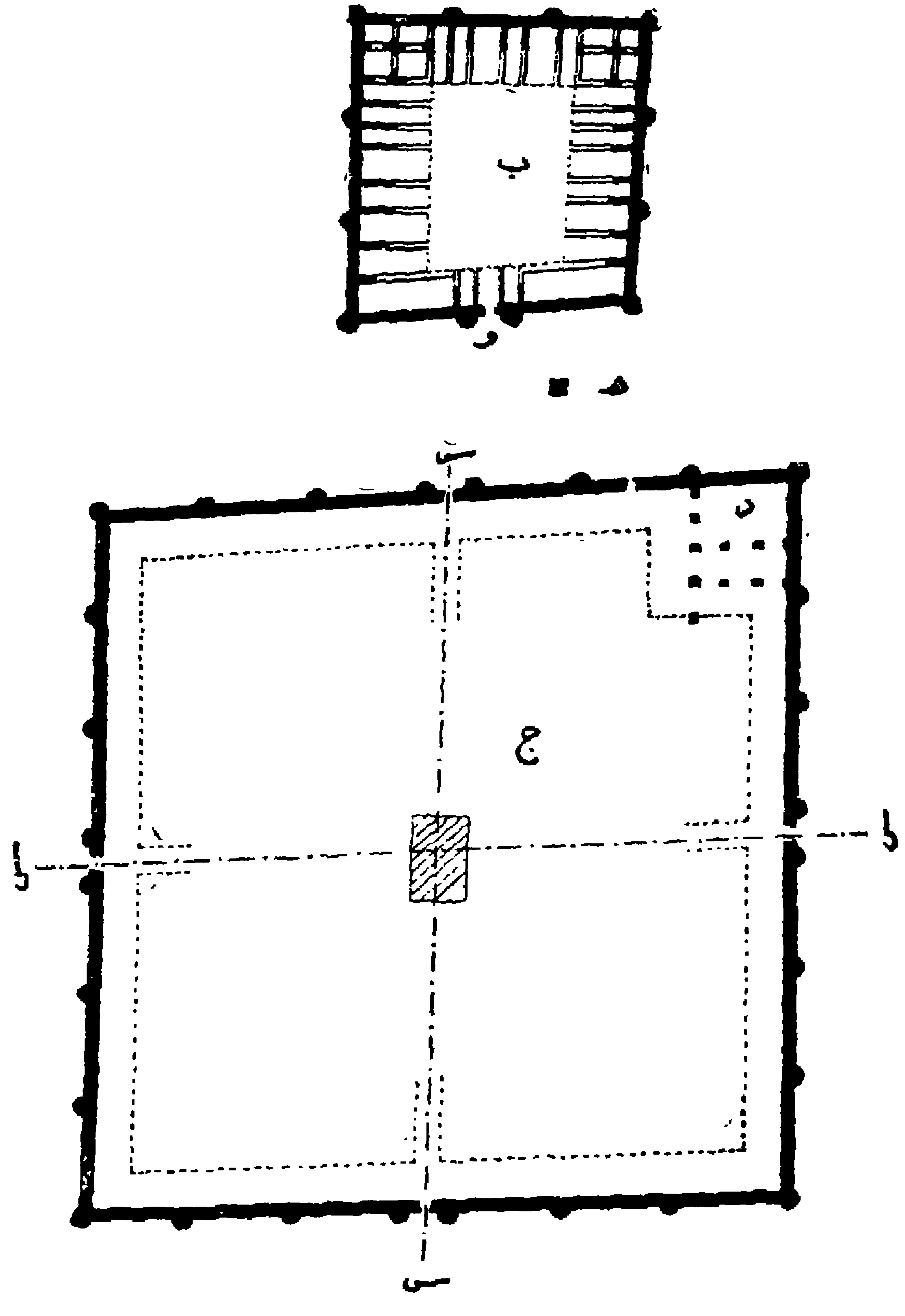

شكل ١ — قصر الحير الشرقي او رصافة هشام

تحت السور والنقوش القليلة الباقية في أعلى برجي المدخل وبقية الزخارف الموجودة على بعض الجدران أنه قصر ملكي وما عداه من الابنية فهو ملحق به . وأما البناء الكبير (ج) فيشبه ظاهره القصر ويبلغ اطول اضلاعه (١٧٠) متراً وله (٢٨) برجاً وله بمنتصف كل جانب مدخل بين برجين (س) وقد انشئ في زاويته الجنوبية الشرقية مسجد (د) لم تزل جدرانه وركائزه قائمة واما بقية البيوت والدور التي كانت داخل هذا البناء فقد تهدمت وأصبحت ركاماً ولا يمكن تفهم خطوطها الأصلية الا بعد اجراء حفريات ورفع الأنقاض وكشف أسس مابقي من الجدران ولعل هذا البناء هو أشبه بمدينة ملحقة بالقصر أعدت لسكن حاشية الخليفة وضيوفه ويؤيد ذلك الكتابة التي عثر عليها جاك روسو في هذا البناء ونقلها معه الى حلب ولم يعرف بعد ذلك مصيرها . وهذا نص الكتابة كما نقلها الينا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله إلا الله وحده لاشريك له . محمد رسول الله امر بصنعة . هذه المدينة عبد الله هشام . أمير المؤمنين وكان هذا مما . عمل اهل حمص على يد سليمن . بن عبيد سنة عشر ومائة . »[1]

وقد شيد بين البنائين مأذنة مربعة (هـ) من حجر منحوت . ويمتد الى مسافة بعيدة نحو الجنوب اسس جدران من بقية اسوار المنطقة الزراعية التي جلبت اليها من الشمال مياه ينابيع عين الكوم بقناة تمتد نحو (٣٠) كيلومتراً ولم يزل يطلق عليها البدو حتى الآن اسم البساتين .[2]

ويستدل من الكتابة الآنفة الذكر ان البناء أموي ومما أحدثه هشام ، وهذا مايحملنا على الاعتقاد بأن هذه الابنية هي التي أطلق عليها اسم رصافة هشام تمييزاً عن الرصافة القديمة المعروفة قبل العصر الاسلامي والتي رمم هشام ماعور من بنائها دون أن يسكنها .[3]

(١) Clermont Ganneau, Une inscription du Calife Hicham, Rec. Arch. Oriental III p. 285

(٢) H. Seyrig. Antiquités Syrienne, Syria T. XV p. 24-32

(٣) Albert Gabriel, Kasr el-Heir - Syria, T. VIII p. 303-332.

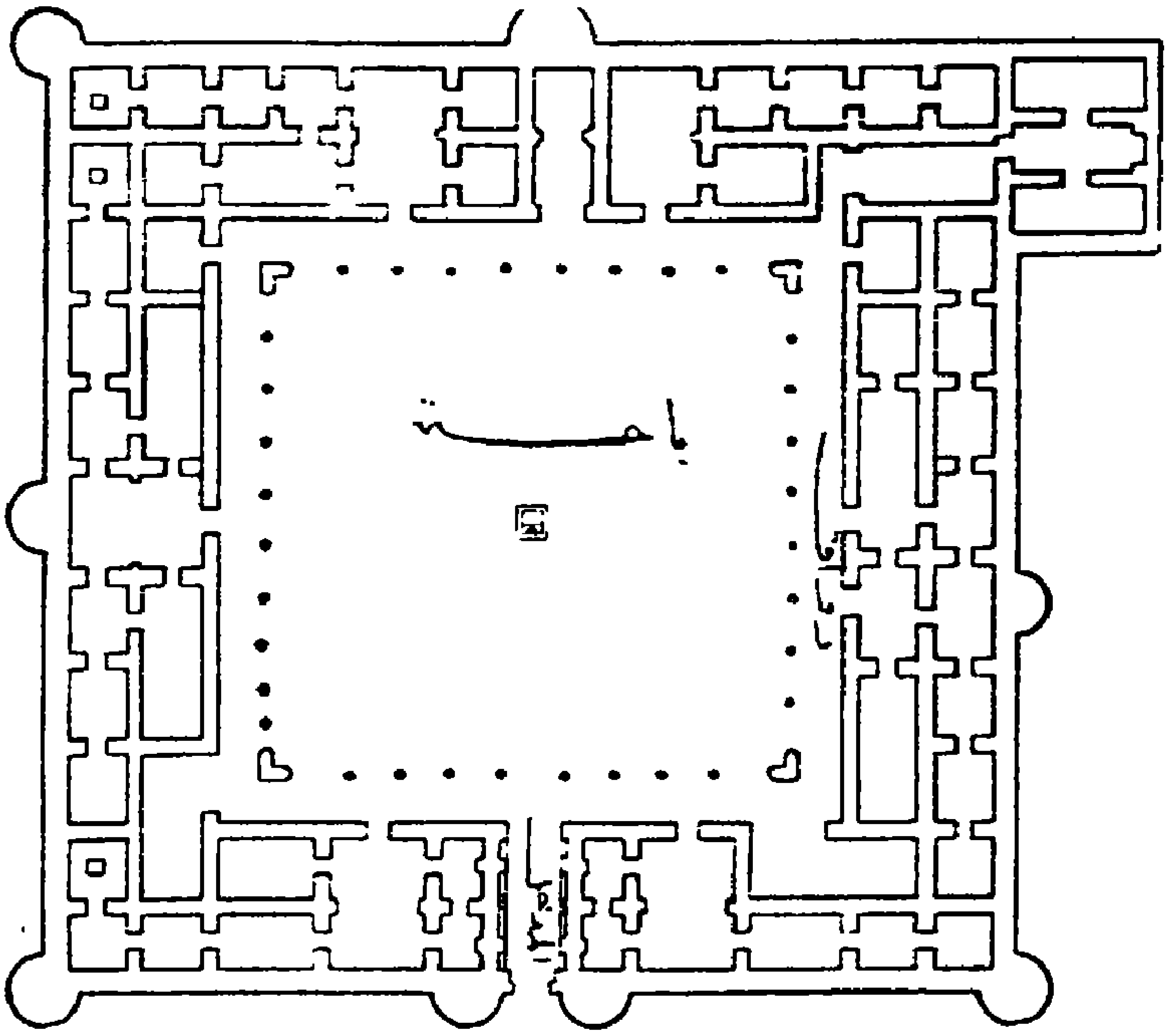

شكل ٢ — قصر الحير الغربي

قصر الحير الغربي او الزيتونة شكل (٢)

يقع في البادية على بعد (١٥٠) كيلو متراً من دمشق لمن يقصد تدمر اكتشفته مصلحة الآثار في سورية عام ١٩٣٦ وأشرف على حفرياته المسيو شلومنبرجة [١] وهو بناء مربع الشكل يبلغ اطول اضلاعه نحو (٧٣) متراً بنيت جدرانه من اللبن والآجر على دكة من حجر مهندم ارتفاعها عن وجه الارض نحو مترين. وشيد في كل من أركانه برج مستدير وفتح مدخله في منتصف الضلع الشرقي بين دعامتين مستديرتين. ويحتوي داخله على باحة يطوف بها رواق قائم على (٣٢) ركيزة بنيت بشكل عمد وحوله صفان من بيوت السكن وغيرها من المرافق البالغ عددها ستين ونيفاً ويستدل من بقايا الادراج والانقاض بأنه كان للقصر اكثر من طبقة واحدة وقدر ارتفاع جبهته بنحو (١٥) متراً وقد أضيفت لهذا القصر ملحقات بنيت بجواره منها حمام واسع وبيوت وحوض تجمع فيه المياه التي تسيل اليه من سد خربقة العظيم الذي يبعد نحو

(١) مقالنا في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٤١ ص : ٣٣٧

(١٥) كيلو متراً الى الجنوب منه ويتفرع من هذا الحوض جداول عديدة لري الزرع وسقيا أهل الضرع . ويرى الباحث في هذه المنطقة مظاهر عديدة يستدل منها بأن هذه الصحراء القاحلة اليوم القائم في وسطها هذا القصر كانت في العصر الأموي غوطة وارفة الظلال زاهرة بالزراعة مأهولة بالسكان (١) .

كشفت الحفريات عظمة هذا القصر وصورت لنا ما كان يتحلى به قصور ذاك العهد من مظاهر الابهة والجمال . وعثر بين انقاضه على مجموعة كبيرة من الزخارف الأنيقة مصنوعة من الجص وكانت تزين جدران القصر ونوافذه ومدخله وهي بأشكال خطوط ودوائر هندسية ورسوم نباتية وصور ذوات الارواح من أشخاص وبهائم وعثر فيه أيضاً على رسوم ملونة يمثل بعضها صوراً خيالية خرافية وبعضها مشاهد حقيقية . وهذا البناء وهو ثالث قصر أموي أظهرته التنقيبات الفنية وكان لاكتشافه شأن عظيم من الناحيتين العلمية والقومية . وسيكون له أثر حميد في دعوى حرب الاسلام والمسلمين للصور والتصوير .

ومن أهم الوثائق الخطية التي عثر عليها في هذا القصر قطعة من اللخاف كتب عليها رسالة موجهة « من هشام أمير المؤمنين الى ابي العباس احمد . » كما ظفر بكتابة كوفية ذبرت على عتبة احد الابنية الملحقة بالقصر هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله الا الله وحده لا شريك له . امر بصنعة هذا العمل عبد الله هشام أمير المؤمنين أوجب الله اجره . عمل على يدي ثابت بن ابي ثابت في رجب سنة تسع ومائة » .

وفي ذلك دليل واضح يؤيد نسبة هذا البناء للأمويين .

ورغم عدم وجود نص صريح يعرف منه اسم هذا القصر في القديم فإننا نرجح بأنه هو قصر الزيتونة الذي كان ينزله هشام قبل بناء الرصافة .

وقد نقلت جميع زخارف هذا القصر الى متحف دمشق الوطني حيث يعمل لاعادتها الى سيرتها الاولى

(١) D. Schlumberger, Les fouilles de Qaçr el-Heir el-Gharbi, Syria T. XX p. 195 et 324.

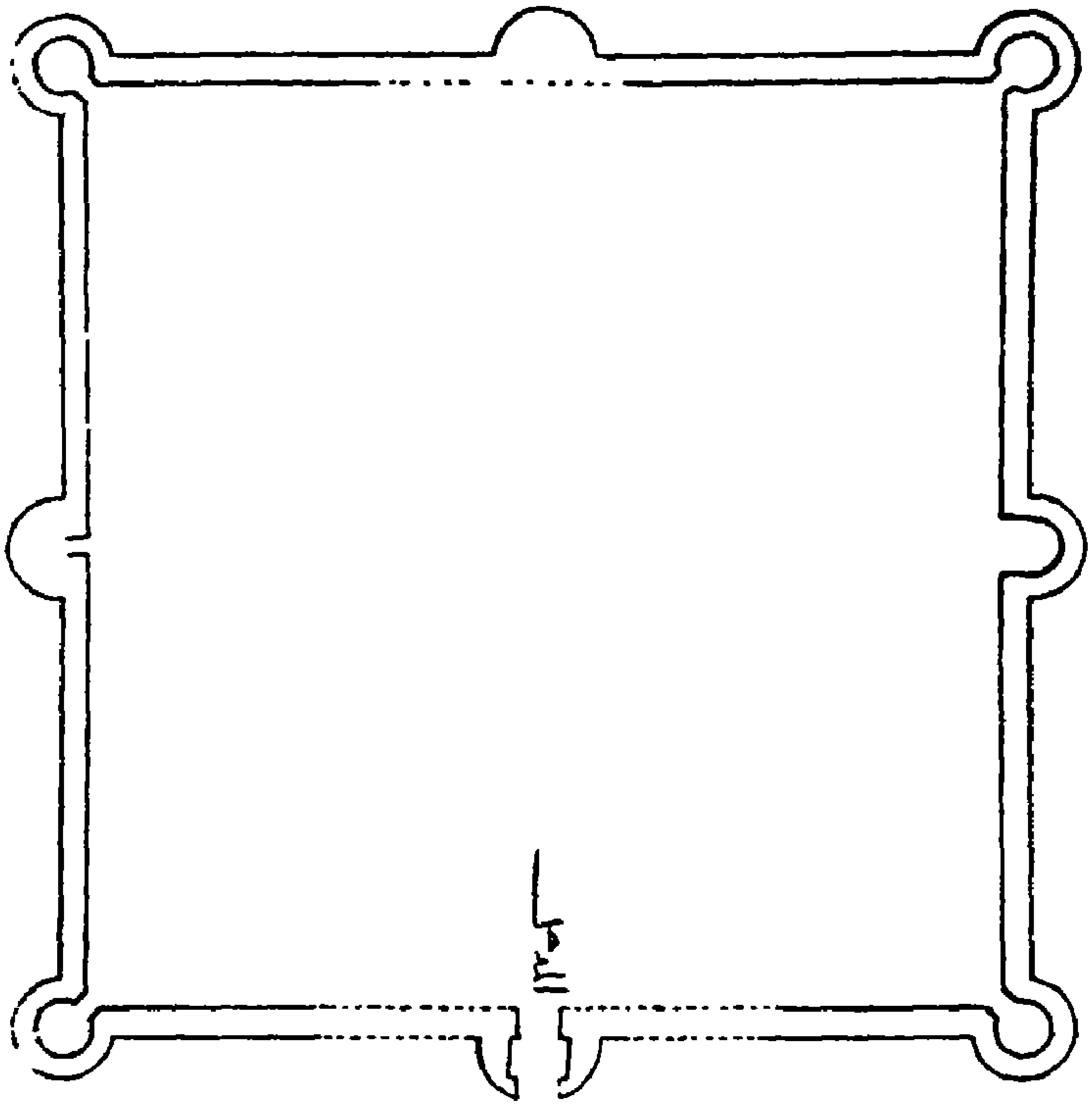

شكل ٣ — قصر جبل سيس اوسيس

جبل سيس هو مرتفع بركاني في البادية على نحو (١٠٠) كيلو متر شرقي دمشق وفي حضيضه نبع ماء شحيح يسيل في الشتاء الى مستنقع قريب يرده عربان البادية في فصلي الشتاء والربيع · ويظهر في جوار هذا المستنقع انقاض أبنية واسعة كان يعتقد بأنها بقية حصون ومخافر رومانية او بزنطية كشف الاستاذ سوفاجه (Sauvaget) [١] حقيقتها وأثبت بأنها آثار أموية شبيهة بغيرها من الابنية المعروفة المعاصرة لها مكونة من قصر وجامع وحمام ودار ضيافة وعدد من بيوت السكن وغير ذلك · وقد بني القصر بشكل مربع يبلغ طول جانبه نحو (٦٧) متراً وجدرانه الخارجية من احجار بركانية غير منحوتة وله في كل زاوية برج مستدير في وسط كل جدار دعامة مستديرة وفتح بابه في وسط دعامة الجبهة الشمالية · ويتطلب معرفة أقسامه الداخلية الى اجراء حفريات واسعة عسى ان تتحقق في المستقبل · والشبه

(١) J. Sauvaget, Les ruines Omeyyades du Djebel Seis - Syria T. XX p. 238-256.

قوى بين مصور هذا القصر وامثاله من القصور الاموية المعروفة مما يحملنا على نسبته للعصر الاموي ·

ونعتقد أن اسم سيس الحالي هو تحريف (اسيس) الذي اشار اليه عدي ابن الرقاع :

قد حباني الوليد يوم أسيس   بعشار فيها غنى وبهاء

وقال ابن السكيت في تفسيره هذا البيت بأن اسيس ماء شرقي دمشق وهذا ينطبق على هذا المكان ولنا بما تقدم ومن غيره من الاعتبارات الهندسية ان ننسب بناء هذا القصر الى عهد الوليد بن عبد الملك ·

* * *

قصر خربة خان منية [1]

هي خربة في الشمال الغربي من بحيرة طبرية اجرى فيها الدكتور مادر (Mader) حفريات في عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٦ واستأنف العمل فيها الدكتور بوتريخ ريناراً (Pottrich - Reignard) ظانين بأنه بناء بزنطي ولكن سير الحفريات أبطلت هذا الاعتقاد وتحقق لديهما بأن البناء أموي · وهو يشبه بجملته ما تقدم وصفه من القصور · وصورته مستطيل الشكل من حجر بحيث يبلغ أطول اضلاعه نحو (٧٣) متراً وأقصرها (٦٦) متراً وله تسعة ابراج مستديرة في الزوايا والجدران وحكم بابه في وسط الجانب الشرقي بين برجين ويحتوي داخله على باحة تحيط بها غرف وعثر في داخله على مسجد وهذا يؤيد بأنه من العهد الاسلامي · وعثر أيضاً على بعض الزخارف والآثار العربية منها دينار تاريخه سنة ٨٩ هـ · اي في زمن الوليد بن عبد الملك · وهذا القصر هو اول قصر اجريت فيه حفريات علمية ولضيق الوقت لم نتمكن من الحصول على مصور له · كما أننا لم نعثر على نص تاريخي يرشدنا الى معرفة اسمه في العهد الأموي ·

* * *

(١) The Quarterly of the Departement of Antiquities in Palestine Vol. VI p. 215, V. I p. 159, IX p. 209.

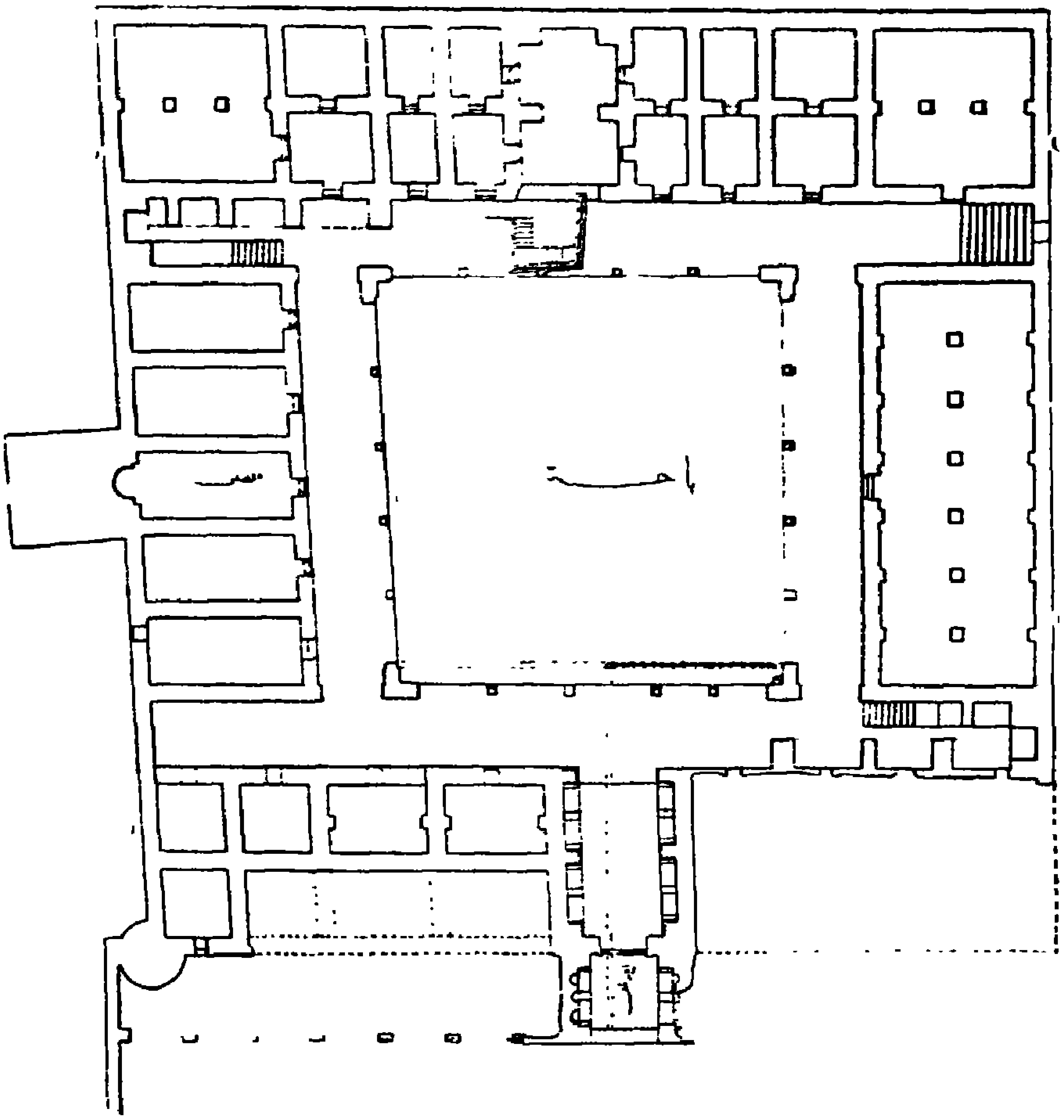

شكل ٤ — قصر خربة مفجر [١]

هي خربة على بعد بضعة كيلو مترات شمالي اريحا أجرت بها مصلحة الآثار الفلسطينية حفريات منذ عام ١٩٣٦ باشراف الاستاذ براكي [٢] وهو ثاني قصر اجري فيه التنقيب العلمي واصبح هو وقصري الحير الغربي وخان منية من أهم الأسس لدراسة الفن المعاري الأموي واصدق ما يستشهد به على تبين عهد كثير من

(١) اخذ هذا المخطط قبل انتهاء الحفريات ولذلك لم ترسم فيه بروج الزوايا .

(٢) D. C. Baramki, Excavations at Khirbet el Mefjer Quart. Dep. Ant. Pal· V', p. 157, VIII p. 45.

الأبنية الشامية التي لم يزل يكتنف عهدهـا الغموض · وهو بناء مربع الشكل تقريباً يبلغ أطول أضلاعه نحو (٧٢) متراً وله في كل زاوية برج مستدير ويحتوي داخله على باحة يحيط بها رواق تكتنفه بيوت السكن والمصلى والحمام وقد حكم بابه في منتصف الجبهة الشرقية يظلله رواق تمتد على طول الجبهة وهو طراز جديد لم نألفه في القصور التي سبق وصفها ·

ولا تقلُّ مكانة هذا القصر عن قصر الحير الغربي لوفرة زخارفه وتنوعها مما يدل على عظمة هذا القصر وماضيه المجيد وتمثل زخارفه أشكال هندسية فيها صور بعض النباتات وتماثيل مخلوقات حية مصنوعة جميعها من الجص وهي آية في الجمال والابداع · ونقلت جميع هذه الزخارف الى القدس تزدان بها قاعات متحفها · وقد التقط بين الانقاض قطعة من اللخاف كتب عليها بخط كوفي ما يأتي ·

« لعبد الله هشام امير المؤمنين من عبيد
الله بن عمر سلم عليك
فاني احمد اليك الله الذي لا إله ا
لا هو · »

وهذه وثيقة كافية لمعرفة عهد هذا القصر

* * *

قصر خرانة (شكل ٥)

يقع في بادية البلقاء على بعد (٦٠) كيلو متراً الى جهة الشرقية الجنوبية من عمان · وهو بناء مربع الشكل يبلغ طول جانبه نحواً من (٣٦) متراً ونصف متر يجمع بين مزايا القصور ومناعة الحصون · له بروج مستديرة في الزوايا وفي منتصف كل جانب وفتح مدخله في وسط برج الجانب الجنوبي · ويحتوي داخله على باحة يحيط بها غرف وغيرها وله مشارب وعلالي ولا يختلف عن غيره من القصور الأموية المعروفة الا بضيق مساحته ووفرة مرامي السور المطلة نحو الخارج لأجل الدفاع ورد أذى المعتدين · وقد عثر على بعض الجدران بقية زخارف نباتيه ملونة · وفي داخل احد

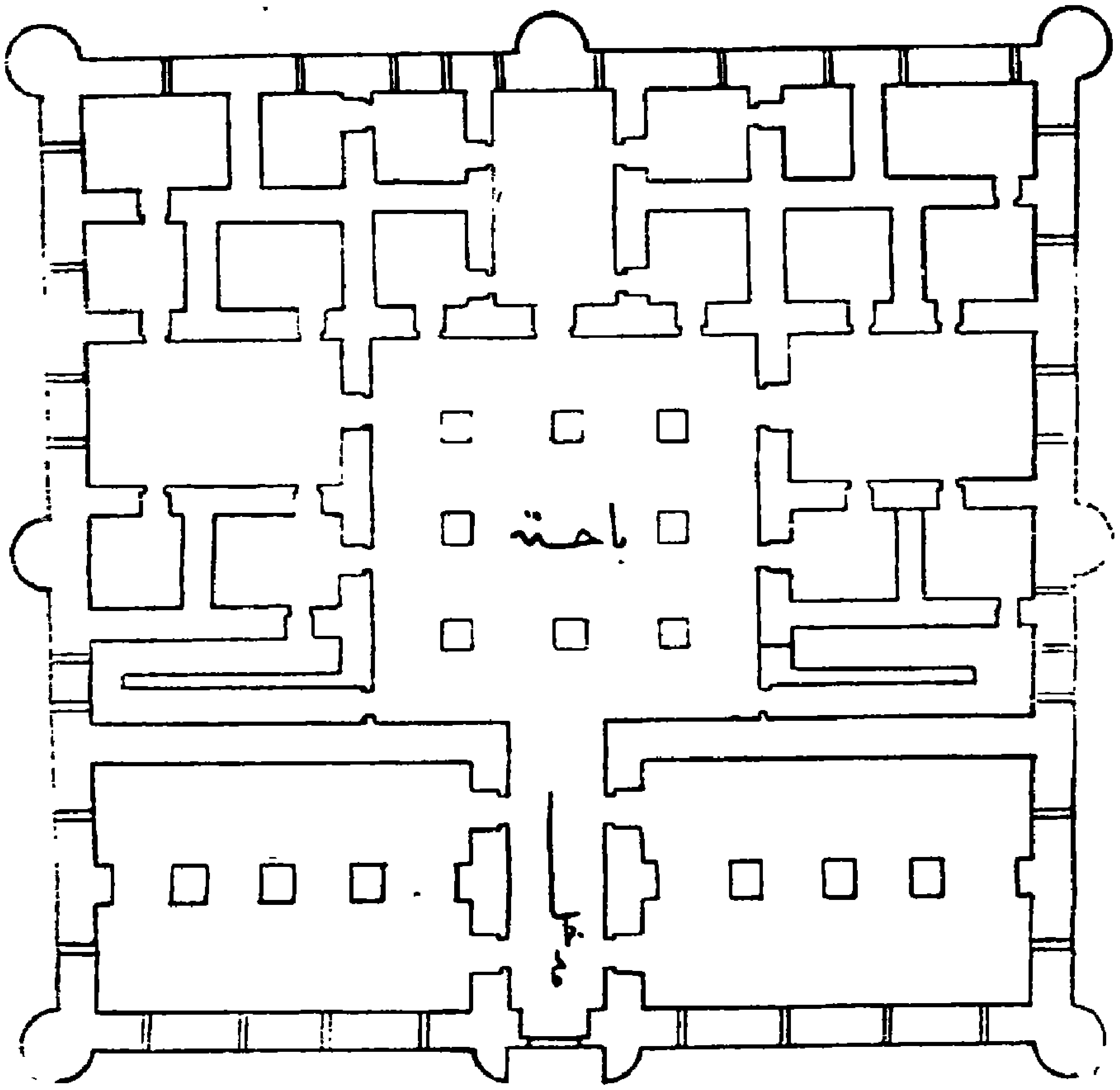

شكل ٥ — قصر خرانة

غرف القسم العلوي عثر على كتابة كوفية مشوهة تاريخها سنة ٩٢ هـ . وعلى أخرى تاريخها سنة ٧٢٦ هـ . ويستدل من ذلك بأن بناء القصر كان في عهد الوليد او في عهد احد أسلافه . ولم نعثر على ذكر قديم لهذا القصر (١)

هو في البلقاء على بعد نحو من (٢٥) كيلو متراً جنوبي شرقي عمان . وهو من أفخم الأبنية الأموية وأروعها منظراً يحيط به سور مربع الشكل تبلغ جوانبه (٤٤١)

(١) A · Musil, Arabia Petraea, I ·
Moab - Karte von Arabia Petraea.
Jaussen et Savignac – Mission archéologique en Arabie III, Les chateaux Arabes.

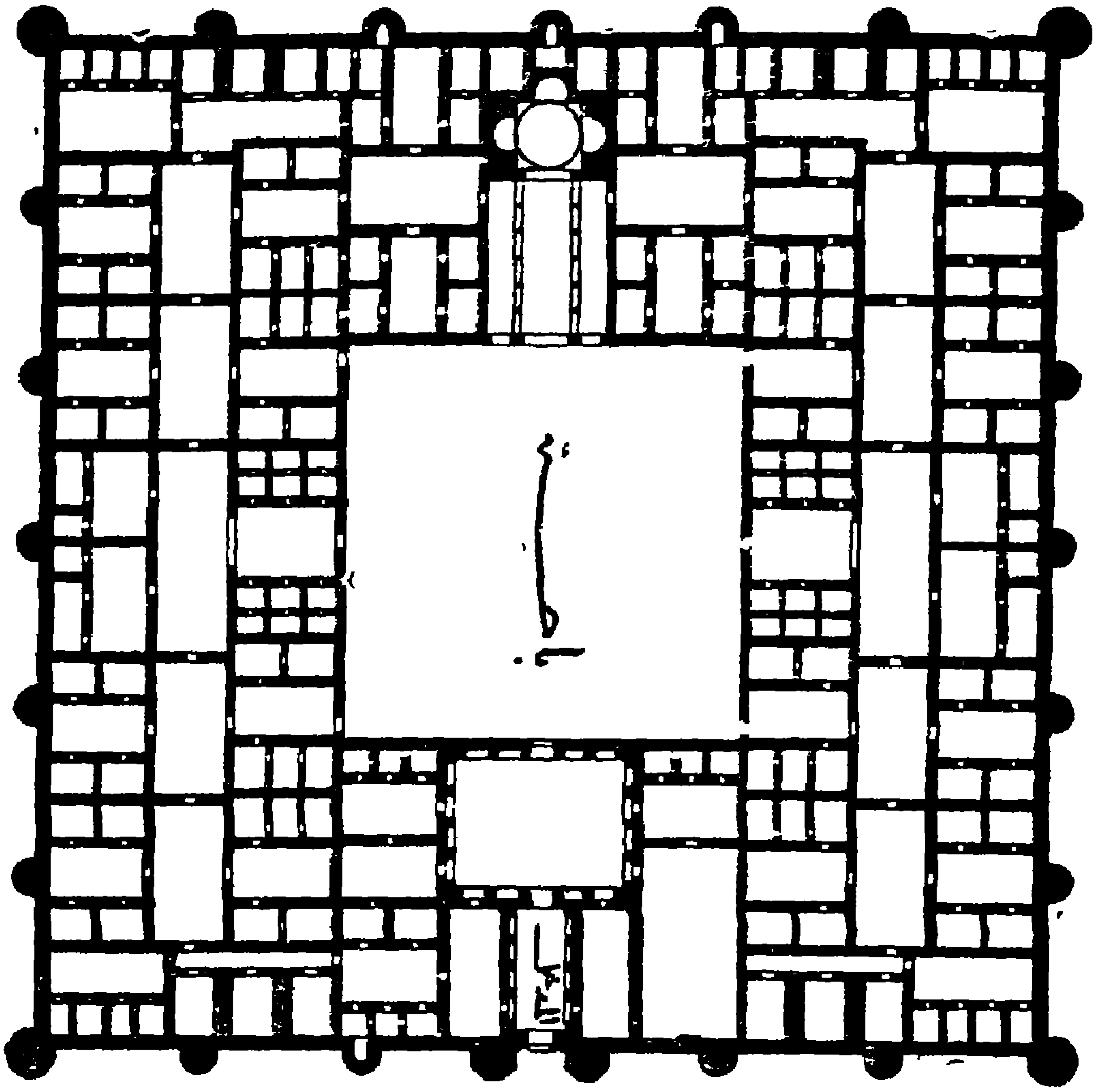

شكل ٦ — قصر المشتى

متراً وفي زواياه أربعة بروج مستديرة ولكل من جوانبه الشرقي والغربي والشمالي خمسة بروج مستديرة وأما جهة الجنوبية فلها اربعة بروج فقط ودعامتان مخمسة الأضلاع فتح بينهما المدخل . وفي وسط القصر باحة يحيط بها غرف عديدة مرتبة على شكل يجعل منها اربع دور مستقلة متشابهة الهندسة وجدرانه من آجر قائم على دكة مرتفعة من حجر نحيت وقد زينت جميع دكته جبهة المدخل باجمل الزخارف وأدقها صنعة[1] مكونة من مثلثات نحت في وسطها وردة تحيط بها كرمة ذات أغصان وفروع كثيفة تظلل طيوراً وحيوانات خرافية كالقنطورس والعنقاء صورت

(١) Creswell - Early Muslim Architecture Vol. 1.

أحسن تصوير فجمع هذا القصر بين ابداع البناء وجمال الزينة جاء تحفة عصره وفاق كل بناء من نوعه وهو معجزة البناء الأموي وأبلغ شاهد على مدى رقي الفن المعماري وتشذ ومهارة المهندسين واتقان البنائين وسلامة ذوق النقاشين ولو سلم هذا القصر من عوادي الدهر واستهانة البشر لكان اليوم المثل الأعلى لعبقرية الإنسان ومبلغ اتاجه في ظل الرفاهية والرخاء . وقد اقتطع الالمان في عهد الدولة العثمانية جميع زخارف هذا القصر ونقلوها الى بلادهم حيث أعادوا تركيبها في متحف برلين وهي اليوم من أنفس محتوياته .

وهذا القصر هو أول ما عرف من نوعه وقد أثار حوله الجدل الطويل بين الخبراء وعلماء الآثار . فمنهم من نسبه للفرس ومنهم من قال أنه من عهد الرومان وقال غيرهم هو من صنع البيزنطيين ونسبه بعضهم للعرب . وقد تنازعوه طويلا دون أن يظفر به أحد منهم الى أن اكتشف في السنوات الأخيرة قصر الحير الغربي وقصر خربة مفجر وقصر خان منية فأعيد الى حظيرته والحق ينسبه العربي دون منازع . وهنالك أدلة يتبين منها أن القصر لم تنجز عمارته ولم يسكن قط ويظن أن يزيد بن عبد الملك أراد بناءه لجاريته حبابة فماتت ولحق بها دون أن يحقق غايته واعرض عن اتمامه خلفه .

قصر طوبى او التوبة شكل (٧)

يقع في أقصى جنوب بادية البلقاء على بعد أكثر من (١٠٠) كيلو متر من جنوب شرق عمان . وهو بناء خرب مستطيل الشكل يبلغ أطول أضلاعه نحو (١٤٠) متراً والأصغر نحو (٧٣) متراً وله في كل زاوية برج مستدير ويدعم جداره الجنوبي خمسة بروج وبرجان في الشرق ومثلها في الغرب وله مدخلان يفصل بينهما برج مستدير وقد قامت على كل من جانبي المدخل غرفة مربعة . ولهذا القصر باحتان تحيط بها الغرف [1] ورغم اختلاف شكله وطراز مدخله وتعدد باحاته فهو في جملته شديد الشبه بقصر المشتى روعيت فيه التقاسيم نفسها . ولو أخذ نصف القصر

(١) Jaussen et Savignac - Les chateaux Arabes.

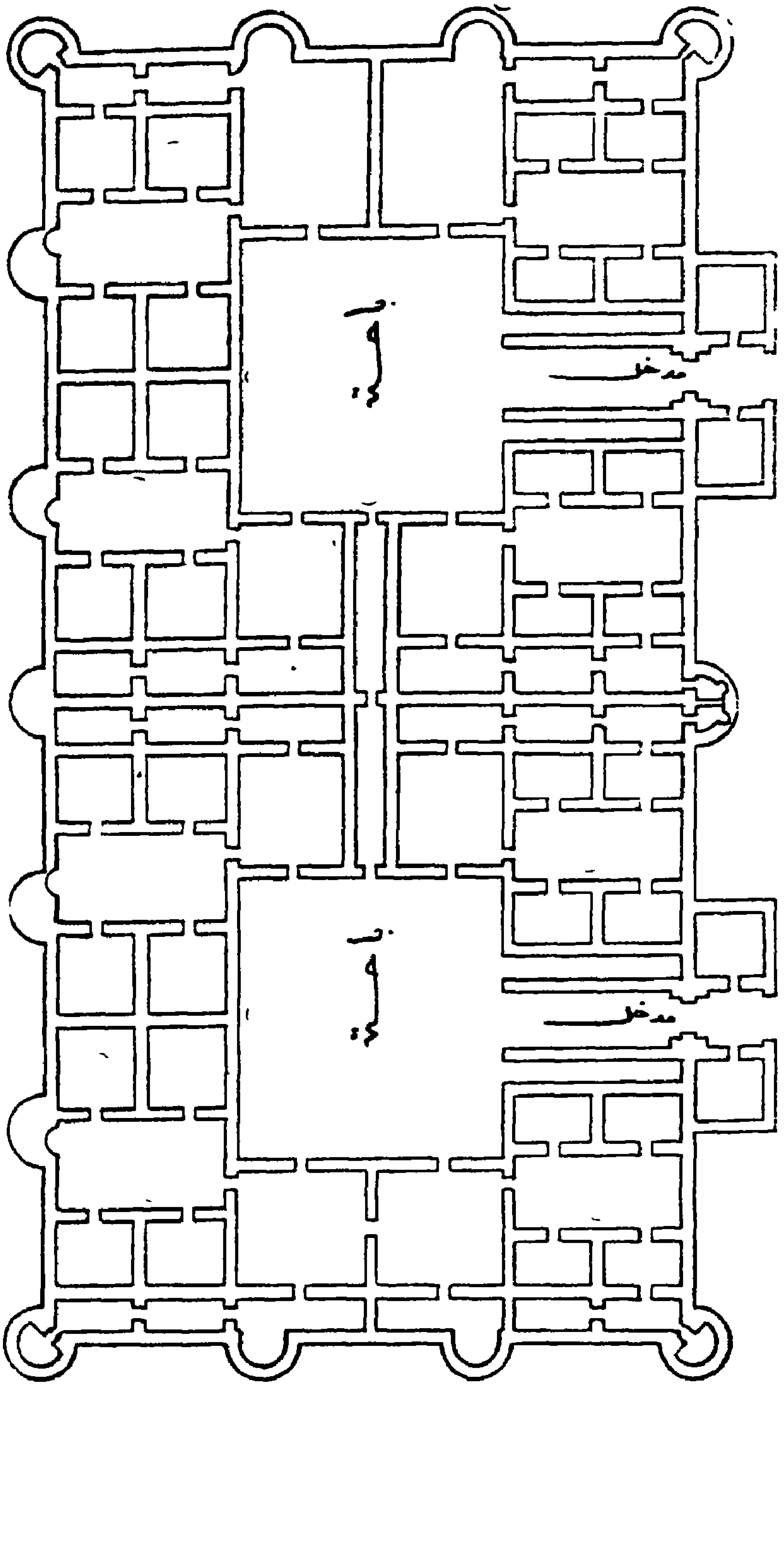

شكل ٧ — قصر طوبه او التوبة

لما اختلف في تفاصيله عما نعرفه عن بقية القصور الأموية . وقد شيد هذا البناء على شفير واد يعرف اليوم بوادي غدف ولعل هذا القصر هو الأغدف الذي كان ينزله الوليد بن عبد الملك واوجه الشبه بين الاسمين قريبة جداً والتحريف لا يستبعد .

* * *

وبعد فإني اجتزئ بوصف أهم القصور المعروفة التي تحققت نسبتها الى العهد الأموي واحجمت عن وصف قصير عمرا لأنه لايدخل في عداد القصور وثبت بأنه حمام وان القصر الذي بجواره قد عفت آثاره وضاعت معالمه .

وهناك في انحاء مختلفة من سورية ابنية التقطت صورها من الجو حديثاً لها مظاهر القصور الأموية وهي تتطلب دراسة واسعة وبحثاً دقيقاً للتثبت من عهدها ومعرفة مصورتها . وهكذا قد اتسع امامنا الميدان نجول في أفق مشبع بالآمال بعد أن كان الباحث قبل عشر سنوات يخبط خبط عشواء متردداً بين الحدس والتخمين تتنازعه الاهواء وهو ضال عن سواء السبيل . والرجاء معقود على ما سيكشفه لنا المستقبل القريب فنتعدى بمرحلتنا الأولى في معرفة ما كنا نجهله من حقيقة نهضتنا العمرانية مما اتصل بنا خبره وضاع أثره .

جعفر الحسني

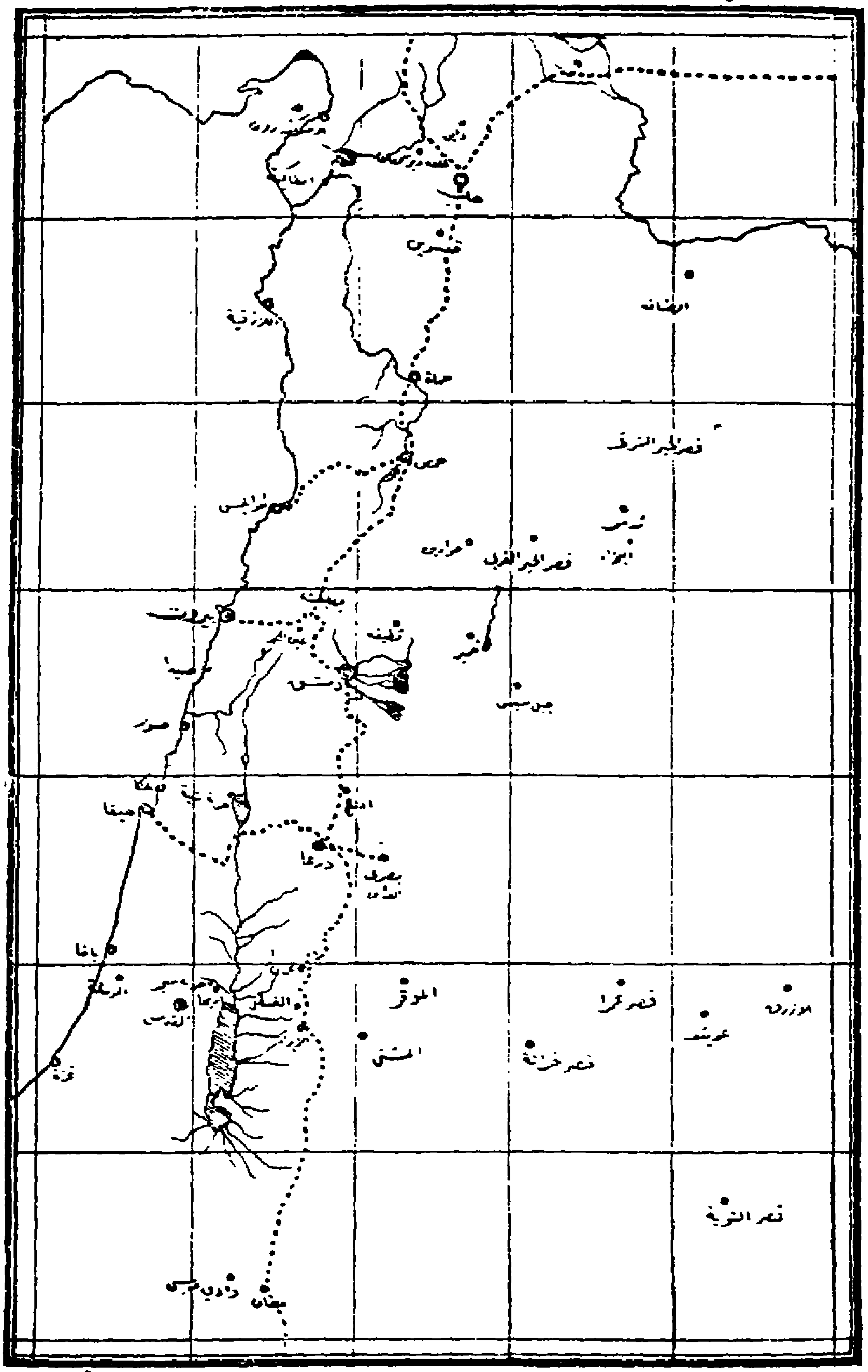
حلب
قنسرين
الرصافة
حماة
حمص
قصر الحير الشرقي
طرابلس
تدمر
قصر الحير الغربي
بيروت
دمشق
صور
حيفا
درعا
يافا
الموقر
قصر عمرا
المشتى
قصر خرانة
غزة
قصر الطوبة
معان

شكل (٨) سورية

الاوهام العاثرة

(٢)

١٠ — زحف إلى مدينة كذا، لا على مدينة كذا

من مضحكات أرباب الصحف والتاريخ أن بعضهم يقولون: زحف القائد الفلاني بجيشه «على» مدينة كذا، كأنه جعل المدينة تحت استه، وهو يزحف عليها بجيشه الى عدوّه. قال في التاج: «الزحف: الجيش، وفي اللسان: الجماعة، يزحفون «الى» العدوّ بمرة. زاد في الأساس: في ثقل لكثرتهم وقوتهم.. واصل الزحف من قولهم: زحف الصبي على «استه» وهو ان يزحف قبل أن يمشي» انتهى. فالصواب ان يقال إذن: زحف القائد الفلاني بجيشه «الى» مدينة كذا.

١١ — جمع أفعل فعلاء نعتاً على فُعل بالضم للذكر والمؤنث

انك لتقرأ في كتبٍ كثيرين، ومقالات جماعات من المؤلفين مثل هذه العبارة: «الترتيبات الغراء، والجنات الفيحاء، والبساتين الغناء، والافعال او الاعمال الجوفاء». وهذا لايجوز، لأن جمع أفعل فعلاء: فُعل بضم الأول، فتقول: الترتيبات الغرّ، والجنات الفيح، والبساتين الغنّ، والافعال الجوف، باتباع النعت للنعوت. وكذلك الايادي البيض وخطأ البيضاء وهذا الجمع مطرد في كل نعت ورد على أفعل ومؤنثه فعلاء، مما دلّ على لون، أو عيب، أو حلية. اما إذا لم يدل على هذه الصفات فيجمع على أفاعل كأكابر وأصاغر وكذلك اذا لم يكن صفة بل اسماً فيجمع على أفاعل كأداهم واساود واجادل. ونص سيبويه صريح. قال في (٢: ٢١١ من طبعة بولاق): «وأما افعل، اذا كان صفةً، فانهُ يكسر على فُعل، كما كسروا فعولاً على فُعل، لان افعل من الثلاثة وفيه زائدة، كما أن في فعول زيادةً، وعدة حروفه كعدة حروف فعول، الاّ انهم لا يثقلون — في أفعلَ، في الجمع — العينَ، الاّ ان يضطرّ شاعر. وذلك احمر وحُمر، واخضر وخُضر،

وابيض وبيض ، واسود وسود ، وهو مما يكسر على فُعلان . وذلك حمران ، وسودان وبيضان ، وشمطان ، وأُدمان . والمؤنث من هذا يُجمع على فُعل : وذلك حمراء وحُمر ، وصفراء وصُفر . وأما الأصغر والأكبر فانه يكسر على أفاعل ، ألا ترى انك لا تصف به كما تصف بأحمر ونحوه . لا تقول رجل أصغر ، ولا رجل أكبر سمعنا العرب تقول الأصاغرة كما تقول القشاعمة وصيارفة ، حيث خرج على هذا المثال . فلما لم يتمكن هذا في الصفة ، كتمكن أحمر ، أجري مُجرى أجدلٍ وأفكل ، كما قالوا : الأباطح والأساود ، حيث استعمل استعمال الاسماء ، وإن شئت قلتَ الأصغرون والأكبرون ، فاجتمع الواو والنون والتكسير ههنا كما اجتمع الفعل والفعلان . وقالوا : الآخرون ولم يقولوا غيره ، كراهية ان يلتبس بجماع آخر ، ولأنه خالف اخواته في الصفة ، فلم يتمكن تمكنها كما لم يُصرَف في النكرة ، ونظير الاصغرين قوله تعالى بالأخسرين أعمالاً » ا هـ .

ومن العجيب أن فارس الشدياق الذي أصلح ترجمة الانجيل لم ينتبه الى هذه القاعدة ، فقد أخطأ مثلاً في انجيل متى ١٧ : ٢ في هذه الآية ؛ « وصارت ثيابه بيضاً » فكتبها « بَيضاء » وزان فعلاء . وكذلك فعل الشيخ ابراهيم اليازجي في الترجمة اليسوعية البيروتية ، فانه ابقى هذه الكلمة على وجهها المغلوط فيه . وقد تكرر هذا الخطأ مراراً لا تحصى في الترجمة البروتستانية والترجمة اليسوعية ، ومن تتبع نَصي هاتين الترجمتين يعثر عليها لا محالة .

وأما هذا الوهم في الجرائد ، والمجلات ، والكتب الحديثة ، فانها لا تحصى . وكنا قد خطأنا ناشر كتاب الحيوان للجاحظ لكونه قال : « صخور ملساء » وصوابها « مُلس » لا يخفى ، فاذا بصاحبنا يكتب كتابةً يفسد هذه القاعدة ؛ وهذه عبارته وقد وردت في الثقافة (٢ : ٢١٥١) : « وفي ص ١٧٦ قلتُ : (صخور ملساء) فقلت : الصواب (مُلس) . عنيتَ أن الجمع المكسر لغير العاقل لا يصح نعتهُ بفعلاء ، بل يصح نعتهُ بفعل جمع فعلاء . وهو مذهب يعترف حضرة الأب بان أحداً من النحويين لم يصرح به . وقد سمعتُ منك في مجلسٍ ضمَّ بعض الفضلاء انك استقريت كثيراً

من كلام العرب فصحت تلك هذه القاعدة ، وخطأت بعض من حضر ، في قوله : (الأيادي البيضاء) .

« وأنا أقول : ليس يكون تقييد قواعد الكلام بهذا النحو الذي جرى عليه حضرة الأب . فالنحويون القدامى كانوا أوسع علماً ، وأكثر احاطةً ، وأدق انتباهاً الى كلام العرب ومذاهبهم ، منا نحن الذين لا نطلع إلاّ على القليل الذي وصل إلينا مسطوراً مكتوباً ، وهم كانوا يشافهون الأعراب في باديتهم ، وكانت لديهم الذخيرة الفياضة من لغات العرب ، فهؤلاء النحويون الأفذاذ الذين لم يعهد مثلهم في نحاة اللغات الاخرى ، لم يمنعوا ما منعت ولم يحجروا ما حجرت . ولو أنهم وجدوا في كلام العرب مايفهم منهُ ماذكرت لما ترددوا في حظره ، وهم قد أجازوا أن يوصف هذا الجمع بما يوصف به المفرد المؤنث نحو قوله تعالى : « ولي فيها مآرب أُخرى » .

« على أنه قد جاء من النصوص المعارضة قول الجاحظ نفسه في الحيوان ٥ : ١٠٧ س ٢ : « فتستحيل حجارة سوداء » وقول ياقوت في معجم البلدان (٢ : ١٩٣) : انما سميت البصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة » . وقد تقول ان إثبات الهمزة في (سوداء) من زيادة الناسخين . فلمَ لا تقول ان الناسخين أهملوا بعض الهمزات في نحو هذه الكلمة ، اهمال تحريف ، او إهمال رسم » ؟ اه كلام الاستاذ عبد السلام محمد هارون .

قلنا : لما بينا وجه استعمال جمع أفعل وفعلاء نعتاً ، كنا اعتمدنا على استقرائنا الشخصي ، اما الآن ، وقد ظفرنا بالنص الصريح ، فقد بطلت جميع مزاعم الاستاذ عبد السلام ، ولم يبقَ لها معنى ، ولا تحتاج الى تفنيد « لأن المعلم تكلم » فيجب علينا التسليم لقوله . وكفى .

٠٢ — لا يقال ها هو ذا الألمان يهجمون على العدوّ

لا يقال : ها هوذا الألمان يهجمون على العدو ، بل ها هم اولاء الالمان يهجمون على العدو . ومن الغريب أن مثل هذا الغلط ، ركبه متنه أحمد فارس الشدياق الكاتب المشهور في مواطن شتى من الانجيل المنقول الى العربية والذي تولى تصحيحه وطبع

في بيروت • فقد جاء في انجيل متى ١١ : ٨ : « هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك » • وفي ١٢ : ٢٠ منه : « هو ذا تلاميذك يفعلون ما لا يحلّ فعلهُ في السبت » • وفي ٢٠ : ١٨ منه : « ها نحن صاعدون الى اورشليم » — ووقع أيضاً في مثل هذا الغلط في الترجمة التي عني بتصحيحها الشيخ ابراهيم اليازجي في الآيات التي ذكرناها • والصواب ان يقال ها هم اولاء الذين يلبسون • وها هم اولاء تلاميذك يفعلون • وها نحن اولاء صاعدون • »

وقد تكررت نظائر هذه الأوهام مراراً لا تحصى في نسخة التوراة التي عني بتصحيحها احمد فارس الشدياق والتي عني بتحريرها الشيخ ابراهيم اليازجي • ونحن نذكرهنا : « ها أنا مرسلكم » (متى ١٠ : ١٦) وفي النسخة اليسوعية : ها أنا ارسلكم • والصواب ها انا ذا مرسلكم او ارسلكم • — وفيه في ١١ : ١٩ : « هو ذا انسان أكول » والصواب : ها هوذا انسان أكول » • — وفيه في ٢١ : ٥ : « قولوا لابنة صهيون : هو ذا ملكك • » والصواب « ها هو ذا ملكك يأتيك » وفيه في ٢٥ : ٢٥ : « هو ذا الذي لك » والصواب » ها هو ذا الذي لك » • ولا نريد ان نمضي قدماً في هذا التصحيح لكثرة ما في هاتين النسختين من أغلاط هذا القبيل • والقاعدة هي هذه على ماجاءت في تاج العروس ونحن نلخصها على هذا الوجه : ها هو ذا ، ها هما ذان ، ها هم اولاء ، ها هي ذه ، هاهما تان ، ها انتنّ اولاء ، هاانا ذا ، ها انا ذه ، ها نحن اولاء

وقال السيد مرتضى في شرح المقدمة بنحو صفحتين قبل الختام ، عند الكلام على قول الفيروزابادي : « وها انا اقول » : قال شيخنا : المعروف بين أهل العربية أن (ها) الموضوعة للتنبيه لا تدخل على ضمير الرفع المنفصل الواقع مبتدأ إلا إذا اخبر عنه باسم اشارة نحو ها انتم اولاء ، ها انتم هؤلاء • فاما اذا كان الخبر غير اشارة فلا • وقد ارتكبه المصنف غافلاً عن شرطه • والعجب انه اشترط ذلك في اخر كتابه لما تكلم على (ها) وارتكبه هنا ، وكأنه قلد في ذلك شيخه العلاّمة جمال الدين ابن هشام ، فانه — في مغني اللبيب — ذكرها ومعانيها واستعمالها على ماحققهُ النحويون وعدل عن ذلك فاستعملها في كلامه في الخطبة مثل المصنف فقال : « وهأنا بائح بما أسررتهُ » انتهى •

١٣ - العريس لم يرد عندهم بمعنى العروس

الجرائد تكثر من ذكر (العريس) في وصف حفلات الاعراس. ولم يرد العريس بمعنى العروس عند فصحاء العرب . فالعروس يقال للذكر والانثى . وعند إزالة الابهام يقال العروسة بهاء التأنيث . وفي الانجيل الذي نقح عربيته أحمد فارس الشدياق ، وهو الترجمة البروتستانية ، نجد ذكر العريس للذكر والعروس للمؤنث . قال في متى ٢٥ : ١ : « يشبه ملكوت السموت عشر عذارى اخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس » — وفي الترجمة اليسوعية . « وخرجن للقاء العروسين » . وهذا أيضاً خطأ لأن الاصل يقول : للقاء العروس والعروسة . فقول المترجم للعروسين يحتمل ثلاثة معان : الاول ان لفظ العروسين يعني العروس والعروسة ، الثاني انه يعني عروسين ذكرين . الثالث انه يعني عروسين أنثيين او عروستين . ولهذا وجب ان يوضح هنا فيقال : العروس والعروسة ليزول كل ابهام وشبهة .

١٤ — لايقال كرّس حياته للخير، بل وقف، أو ، أرصد حياته للخير

ومن غريب تصرف الكتاب في الألفاظ ومعانيها ، انهم يستعملون كلمة (كرّس) بمعنى خصص ، ووقف ، وأرصد . فيقولون مثلاً : كرّس حياته للخير . والكلمة نصرانية من أصل يوناني من Khrisma وهو زيت التقديس والتبريك عندهم ؛ لكن العرب لم يستعملوها ، لأنهم لو اعتبروها عربية محضة ، تكون قد اخذت من (الكِرْس) بالكسر . وهو ما يبنى لطليان المعزى مثل بيت الحمام ، والبعر والبول المتلبد بعضه على بعض . فيكون معنى « كرّس » بموجب الأصول العربية الفصحى جمع هذه الاقذار بعضها على بعض . وهذا قبيح . وفي لسان العرب . « التكريس مصدر كرّس ، وهو ضم الشيء بعضه الى بعض ، ويجوز أن يكون من كِرْس الدمنة حيث تقف الدواب . . . . اه . ولهذا يجب على الكتاب — لا سيما المسلمون منهم — أن يعدلوا عن هذا الفعل المتشعب المعاني ، إلى ما اتخذه الأقدمون من البلغاء ، أي ان يقال : وقف ، وأرصد ، وخصص ، إلى نظائرها .

١٥ – السيدة المصونة لا المصون

ومن غريب أوهامهم التي تدل على جهلهم للاحكام العربية ، بل مبادئ العربية انهم يقولون : « السيدة المصون » ، ظنا منهم ان زنة [مصون] : فعول . وفعول اذا دلت على معنى الفاعلية لا تلحقها الهاء . فيقال : امرأة صبور ، وناقة زبون ، وبقرة حلوب ؛ لكن وزن مصون هنا مفعول من صان يصون . ومفعول يؤنث بالهاء فيقال مصونة . اذن السيدة : مصونة ، والمرأة المصونة ، والابنة المصونة ، لا المصون في هذا كله .

١٦ – المستعد (لكذا) لا (الى كذا)

ويقول كثيرون : المستعدون « الى » الامتحان كثيرون . وهذا خطأ ، لأن استعد يتصل بمفعوله بإلى ، لا باللام (كذا) . ولهذا لم يصب الشيخ ابراهيم اليازجي في تصحيح الانجيل حينما قال : « ودخل معه المستعدات إلى العرس » [متى ٢٥ : ١٠ طبعة اليسوعيين] والصواب للعرس .

١٧ – لا تقل احكم بصفتي حاكم المدينة ، بل احكم وأنا حاكم المدينة

ومن جهل بعضهم للأصول العربية ، وهم أكثر أصحاب الجرائد والمجلات ، انهم يقولون : وأنا احكم بصفتي حاكم المدينة كذا وكذا . (؟) فقولهم بصفتي حاكم المدينة ، كقولهم بوصفي حاكم المدينة لا فرق . اذ كل من صفة ووصف مصدر وصف : إذن فقولهم بوصف حاكم المدينة ، يعني انه يحاول وصف حاكم المدينة : لكن مرادهم من تلك العبارة ترجمة الفرنسية En qualité de gouverneur de la ville وهذه صيغة فرنسية خاصة بتلك اللغة ، ولا يمكن أن تنقل بأحرفها ، بل يقال هكذا : « احكم وأنا حاكم المدينة » وحاكم هنا منصوبة على الحالية[1] . أي احكم وأنا في حال كوني حاكما للمدينة . أو يقال : احكم لكوني حاكما للمدينة كذا وكذا (؟)

(البقية للآتي) الأب انستاس ماري الكرملي

---

[1] هذا ذهول من حضرة الاب المحترم والصواب ان (حاكم) هنا خبر المبتدأ والجملة هي الحال

عشائر الشام

– ٣ –

منازل البدو — ان الصحراء الشاسعة الممتدة ما بين الدجلة والفرات وشرقي المعمور من ارياف الشام في طول يبعد نحو ٤٠٠ — ٦٠٠ كيلو متر عن جبال البلقاء وحوران وقلمون والشومرية والبلعاس والاحص والشبيث تعرف عندالجغرافيين باسم (بادية الشام) وعند عشائرنا باسم (البرية) أو (الشول) والكلمة الثانية تركية بمعنى بادية · وهذه الصحراء هي منازل البدو ومسارحهم يضربون في ارجائها سعياً وراء الكلأ والماء والدفء لسائمتهم ، وهي تنقسم الى عدة مناطق لها عندهم اسماء خاصة منها (الجزيرة) ما بين الدجلة والفرات وهي تقابل (الشامية) اي السهول الممتدة في غربي الفرات و (الشنبل) وهو ما وقع شرقي ارياف حمص وحماة وغربي طريق تدمر والرقة · وقد اخذوا هذه الكلمة من مكيال الحبوب المسمى شنبلاً والمستعمل في مدن حلب وحمص وحماة وهو يزن نحو ٢٢٠ كيلوغراماً في حمص ونحو نصف ذلك في حلب · و (الحماد) وهو القفار التي تمتد جنوبي وشرقي ديرة الشنبل حتى حدود نجد · و (الحارّة) أو حرة الراجل وهي منطقة الاوعار البركانية التي تمتد جنوبي وعرة الصفا وشرقي جبل الدروز وتشقها الآن انابيب البترول الذاهبة من العراق الى حيفا · و [الجوف] واحة منخفضة بعد وادي السرحان وفي اقصى الشمال الغربي من بقاع نجد ، وهي ذات موقع جغرافي مهم جداً لوجودها في المنتصف مابين الفرات وسكة الحجاز وبين جبل شمر وجبل الدروز وهي على ممر القوافل والقبائل الى الشام من أقدم العصور ·

وقد قسم الافرنسيون والانكليز الحماد الى قسمين بينهما خط وهمي يبدأ من قرية امتان في جنوبي جبل الدروز ويسير في خط سوي حتى بلدة ابي كمال على الفرات وهذا الخط يفرق بين حدود الشام وشرقي الأردن والعراق · ويسود هذه البادية

اقليم صحراوي ، شديد الحر في الصيف شديد البرد في الشتاء وهواؤها جاف جداً وأمطارها قليلة وفصل الشتاء فيها قصير أما أرضها فمنبسطة كل الانبساط تتخللها في بعض الاماكن تلعات وأودية صغيرة وآكام صخريه بازالتية أو كلسية ٠

وليس في هذه البادية اثر للرمل اللهم إلا شيء في شرقي تدمر حول بعض الاودية والسباخ ٠ واما تربتها فكلسية صفراء هشة مختلطة بقسم غير يسير من التراب النباتي ٠ فاذا نالها نصيب من المطر اهتزت وربت وأنبتت من الاعشاب والانجم الخاصة بالبوادي ٠ وهذه قصيرة العمر وصغيرة القد ، اخصها الروثة والرمث والشيح والرتم والحمض والقيصوم والنصي والنديدحان والصر والريان والحمصان والخافور والقبا وغيرها ٠ وافضلها واحبها للابل ما كان فيه ملوحة وحموضة كالروثة والرمث والنصي ٠ لاجل هذا يخطىء من يظن ان بادية الشام فلوات رملية كدهناء نجد أو تهامة الحجاز واليمن ، بل هي أشبه بالسهوب المعشوشبة التي في انحاء روسية الجنوبية مما يدعوه الاوربيون Steppe ٠

والذي يجذب البدو نحو هذه البادية غير الاعشاب والانجم المذكورة هو [الخبرات] جمع خبرة ٠ وهي البحيرات الوقتية التي تحصل في القيعان والوهدات حيث تجمع المياه من الأمطار السائلة من المنحدرات والتلعات المحيطة بها ٠ وأشهر هذه الخبرات خبرة الزرقا وخبرة مرقية وخبرة المجم وخبرة الصيقل وقد تسمى هذه بحيرة الصيقل وخبرة ملحم وغيرها : وتبلغ مساحة بعضها عدة مئات من الهكتارات ٠ يفد اليها البدو بقطعانهم فيعلون وينهلون ٠ وبعد هذه الخبرات الى الشرق تحدث في منحدرات جبل عنزى المائلة نحو الشرق اودية تسيل باتجاه الفرات يستقي البدو منها أيضاً كوادي المياه ووادي سوى ووادي حوران ووادي عامج وغيرها ٠ وهذه الأودية منقطعة الجريان لا تسيل الا حين هطول الأمطار الغزيرة ، فهي تنظم حركة مياه البادية وسيولها وتصرفها نحو الفرات ٠ واذا انقطعت تحدث غدراناً واذا فاضت تحدث بعد انصرافها غيطاناً خضرا تسر العيون في تلك الفيافي القفراء ٠

وفي هذه البادية عدة جبال يسيرة العلو ، تكتسي قممها بالثلج في السنين الباردة

وتجود فيها مراعي الابل والغنم ، تنزلها عشائر الشمال في الشتاء منها البلعاس وابو الضهور وشاعر — والشطب والعمور والمراه والابيض والابورجمين والضاحك والاصابع والمنشار والبشري — وفي الوسط على الحدود الشامية العراقية جبل التنف ، وفي الجنوب جبل عنزى وجبل لاهة . وفي البادية ايضاً من المناهل ذات البئر والآبار المتعددة التي عمقها ١٠ — ٤٥ متراً ومياهها ما بين اجاج وعذب ، اشهرها في الشمال الطيبة والكوم وام شريدي وامربة وتوبنات والكديم وقطقط وابوفياض وابواليتل والهباة وعين البيضاء والسبع آبار . وفيها من القرى تدمر وأرك والسخنة داخل حدود الشام والرطبة داخل حدود العراق . وقد اخترقها أخيراً خطان لأنابيب النفط قادمان من كركوك تتجه الأول نحو طرابلس والثاني نحو حيفا . وفي كل منهما عدة محطات كبيرة محصنة بالمخافر ومزينة بدور ومبانٍ جميلة تحوي كل أسباب الترفه من ماء وكهرباء وحدائق وغراس ، مما صير هذه المحطات شامات في وجنة البادية . ويخترق البادية أيضاً طريقان للسيارات أولهما قادم من دمشق والثاني من حيفا يجتمعان في الرطبة ويذهبان متحدين نحو بلدة الرمادي على الفرات فبغداد . وقد تم في يومنا تعبيد طريق حيفا — الرطبة ولم يتم ذلك في طريق دمشق بعد .

اذا حل فصل الخريف وبدأت امطاره بالهطول [ايلول — تشرين] يشرع البدو بنجعتهم نحو الشرق ، وهم يسمونها [تشريق] فيظعنون رويداً رويداً ويبعدون كلما اعشوشبت أرض البرية وزخرت الآبار والمناهل بالماء . واذا جاء فصل الشتاء وهمت امطاره بغزارة وكانت السنة غير قارسة البرد تغدو البادية بقعة بهجة وتكتسي بعشب ترتع فيه الابل والغنم وتلد بكثرة فيعلو ثغاء الحملان ويدوي صوت مخض الالبان وتمتلئ الخبرات بالمياه الزاخرة فترتوي منها سوائمهم معاً كثر عددها . وينساب البدو ويوغلون في نجعتهم ويطيلون امدها ماطاب لهم المقام ويعم الفرح مضاربهم ويطفح البشر والاغتباط على وجوههم . ويعكف بعضهم وتتنذ على الصيد بقصد اللهو والأنس . والصيد متيسر في البادية لوفرة الغزال والأرنب والحجل والحبارى وغيرها . ويتخذون لذلك ويربون الطيور الجوارح والكلاب السلوقية .

ولكن ما ان يقبل شهر نيسان أو ايار وتنقطع الأمطار حتى تجف تلك الأعشاب وتقل مياه تلك الخبرات وما ان يشتد الحر حتى يكلح بسيط البادية ويربد وينقلب كئيباً يبعث الانقباض، وتبرز أرض الجوع والعطش التي لا يظهر فيها نبات ولا تسيل أودية . لهذا يشرع البدو بالتغريب أي بالرحيل والانتقال نحو الغرب منذ غرة آذار يسيرون زرافات الى حيث يجدون مجالاً للرعي وماءاً للشرب في العيون او الآبار المعروفة لديهم . وحينما يحل فصل الربيع في [المعمورة] اي في المناطق الآهلة بالسكان من أرياف الشام يقتربون منها . وحينما ينتهي هذا الفصل يشرعون بتخطي حدود الأراضي المزروعة ويصلون الى المواقع التي تكون قرب نهر أو عين ويهيئون بذلك لأنفسهم منطقة كافية لرعي سائمتهم ويضربون خيامهم فيها لمدة موقتة في انتظار انتهاء موسم الحصاد كي يقصدوا بعده مراعي جديدة .

تحضر البدو . — لابد أن يفعل الزمن فعله في هؤلاء البدو ويخضعهم الى ماجرى على اسلافهم الذين تركوا عيش البداوة وانصرفوا للاستقرار والتحضر . مجتازين ادوار الطبقة الاولى فالثانية فالثالثة نقول هذا على ما نعلمه من كره البدوي للعمل وعزوفه عن الحرث والكرث واستهانته لهما . فقد كان في الماضي القريب يعتمد على الغزو وبعده بعد الرعي مرتزقه الطبيعي ويهتبل الغرر من فوضى الأحكام وضعف السلطان ليستبيح حمى المعمور ويتنمر في وجه الضعيف ويستدر المكاسب من أي نبع كان . إلا ان هذه الفرص لم تعد تواتيه فسبيل الغزو قد انقطع بفضل السيارات المسلحة بالرشاش وتجول دوريات الهجانة داخل الحدود العراقية والاردنية والشامية . ولم يعد الجناة يفلتون الا فيما قل .

وانقطاع الغزو وشيوع سيارات الركب السريعة يكاد يبيد الخيل كما أن السيارات الضخمة ابادت قوافل الابل العظيمة التي كانت تنقل نواتج الهند والعجم والعراق من بغداد إلى دمشق . ومصر التي كانت أكبر سوق للابل قل فيها عدد آكلي لحمها وتقدمت وسائل النقل الآلية فلم تعد تربية الابل رابحة كما كانت من قبل مما اضطر العشائر الكبيرة إلى الاقلال منها . فبعد ان كان عدد مايباع منها مثلاً عند الرولة حين اصطيافها في الجولان ٣٠ — ٣٥ الفاً في سنة ١٩٢٢ هبط

عدد المبيع الى ١٣ الفاً في سنة ١٩٢٧ وإلى أقل من ثمانية آلاف في سنة ١٩٢٨ . وبينما كانت هذه العشائر لا تربي نعجةً واحدةً صار عدد الغنم لدى الرولة ٣٠٠٠٠ رأس في سنة ١٩٢٩ ولدى الاسبعة ٥٠٠٠٠ ولدى الفدعان ٦٤٠٠٠ وهكذا . ثم ان شيوخ العشائر الكبيرة هذه بعد ان كانوا ينظرون الى الزراعة وأربابها بازدراء مالوا منذ خمس عشرة سنة أو أقل الى اقتناء الضياع والارضين من أملاك الدولة وغيرها وتوفروا على احياء الخرب الداثرة وتفجير القنوات الغائرة وشرعوا يهتمون بالزراعة ويجنون ثمراتها ويتجهون الى سكنى المدن والقرى وبناء الدور وغشيان المجتمعات والمنتديات . ولو اتيح لهؤلاء الشيوخ أن يعلموا ابناءهم في المدارس الراقية كما فعل عجيل الياور شيخ شمر العراق ومجحم بن مهيد شيخ الفدعان والحاج مصطفى شويطية شيخ العقيدات ابوليل ، او لو فتحت لأبناء هؤلاء ومن يليهم مدارس خاصة على طراز (مدرسة العشائر) التي كان السلطان عبد الحميد فتحها وتثقف فيها كثير منهم امثال برجس بن هديب شيخ الاسبعة العبدة ونواف الصالح شيخ الحديديين ورمضان شلاش احد شيوخ العقيدات الابوسرايا وغيرهم ، ثم لوان وزارة المعارف عينت لكل فرقة كبيرة منهم معلماً سياراً يقيم في بيت الشعر ويشرق ويغرب معهم ويعلم صغارهم القراءة والكتابة وبسائط العلوم الدينية والدنيوية الضرورية ويحبب اليهم معيشة الاستقرار وحياة الحرث والكرث وما الى ذلك ... قلت لو تم هذا أو لو سير فيه لتعجلت حضارة البدو وحسنت أطوارهم ومعيشتهم وعمرت برارينا الغامرة وصاروا أعضاء نافعين في جسم الامة العربية بدلاً من أن يكونوا هكذا متحفزين للشر والأذى بحكم الامية والجهالة وفقدان التوجيه والهداية .

تعريف عشائر البدو – عشائر الطبقة الاولى اهل الابل – عنزة

عنزة . — اعظم القبائل البدوية عدداً وشأناً وأمنها جانباً وأكثرها انتشاراً في الحجاز ونجد والعراق والشام . حتى أن آل سعود ملوك نجد والحجاز منها وكذا آل صباح امراء الكويت وآل خليفة امراء البحرين . والمعروف بين البدو أن عنزة من أعقاب عنز بن وائل . ويقول السمعاني في كتاب الانساب ان عنزة حي من ربيعة ، وان نسبه عنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان والله أعلم .

وموطن عنزة في الحجاز في انحاء خيبر ، وكانت هجرة من وفد منها الى الشام والعراق طبيعية وبالتتابع على نحو المهجرات البدوية العديدة التي قدمنا أن سيلها لم ينقطع . وقد حدث ذلك على ما يظن في اواسط القرن الثاني عشر الهجري ، جاء أولاً أكثرها الى الشام ثم ذهب قليلها الى العراق . وأول بطن جاء منها إلى الشام الاحسنة ثم لحقهم الفدعان والاسبعة ثم الولد علي وآخر من جاء الرولة . وقد اغارت وقتئذ عنزة على وادي السرحان وشرقي الاردن وحوران ، وانتزعت السيادة من العشائر القديمة التي كانت فيها كالسرحان وبني صخر والسردية والفحيلي وغيرها وهاجمت شمر التي كانت اسبق في الانسياب نحو شمالي الشام ودحرتها شطر الجزيرة الفراتية كما هاجمت العشائر القديمة المتمكنة في انحاء حمص وحماة (وأخصها الموالي) وانتزعت السيادة منها واستقرت وتبسطت .

أما فروع عنزة فهي كما يلي : قالوا أن عنزة اعقب ولدين هما مسلم وبشر . فمسلم أبو ضنا مسلم ، وهم فخذان الجلاس والوهب . فمن الجلاس عشائر الرولة والمحلف ، ومن الوهب الولدعلي والمنابهة والحيدة . فالمنابهة والحيدة في شمالي الحجاز وغربي نجد ، الا عشيرة الاحسنة المعدودة من المنابهة فانها في الشام . وبشر ابوضنا بشر ، وهم أيضاً فخذان عبيد وعمارة . فمن عبيد عشائر الاسبعة والفدعان وولد سليمان . فالولد سليمان في شمالي الحجاز وغربي نجد والفدعان والاسبعة في شمالي الشام . ومن عمارة العمارات التي نزلت العراق وصارت تعد من عشائره .

ومن المؤسف أن العداوة منذ سنة ١٣٤٨ ﻫ مستحكمة بين ضنا مسلم (الرولة والولدعلي والحسنة) وبين ضنا بشر (الاسبعة والفدعان ومعهما الموالي) ولما تنجل هذه العداوة بعد . اما الشرف بين عشائر عنزة فقد قالت عنه السائحة الانكليزية اللادي بلونت التي جالت بين العشائر في سنة ١٢٩٣ ﻫ « ان أشرف البيوتات في عشائر البادية وقتئذ كانت ابن مزيد [الحسنة] وابن جندل [السوالمة] وابن الطيار [ولد علي] وابن هذال [العمارات] وابن سمير [ولدعلي] . ثم يأتي بعدهؤلاء ابن صفوق [شمر الجربا] وشيوخ طي وابن هديب [الموايجة من الاسبعة العبدة] وروس المهيد [الفدعان] وابن مرشد القمصة [الاسبعة البطينات] . اما ابن الشعلان فليست شرافته

الا عرضية أخذها بالسيف . وعراقة نسب شيوخ طي وشيوخ شمر الجربا لا تقل عنها في البيوت الخمسة الأولى» وأضاف المقدم (القومندان) مولر الافرنسي على ذلك قائلا «ومن الغريب أن هذا الترتيب لا يزال على التقريب كما كان قبل نصف قرن» .

الرولة . — أكبر عشائر عنزة عدداً وأعظمها قوةً وأجلها قدراً لدى ذوي السلطان في بلاد الشام . وهي آخر من هاجر ووصل الينا من عشائر عنزة ، ويقال أن منها بقية لا تزال في مواطنها في شمالي الحجاز . لذلك مابرحت أعرق العشائر في البداوة والجفوة واشظفها عيشاً وأرثها ملبساً ومسكناً . وقد نوه السائح الانكليزي دوختي الذي جاء في سنة ١٢٧٧ هـ بوجود الرولة في بوادي الشام وقال انها أكثر وأقوى العشائر وان شيخها وقتئذ فيصل الشعلان . ثم جاءت السائحة الانكليزية اللادي بلونت في سنة ١٢٩٣ هـ وكررت ذكر الكثرة والقوة وان شيخها وقتئذ سطام الشعلان . ويظهر ان الرولة كانت تتردد بين وادي السرحان وأطراف البلقاء وحوران وما زالت تزحف حتى استقرت في منازلها الحاضرة . وكانت حين ورودها استظهرت على جميع عشائر البادية والمتحضرة واستطالت الى فرض الاتاوات (الخاوة) على القرى المتطرفة وأقلقت الحكومات التي في هذه الديار . وقد كان الرولة خصوم شمر ابن الرشيد استخلصوا منهم في سنة ١٣٢٨ هـ وادي السرحان وواحة الجوف وقريات الملح التي فيه وظل الشيخ الحالي نوري الشعلان مدة مديدة يتقاضي أربعة مجيديات عن كل حمل ملح ينقل إلى جبل الدروز وحوران وشرقي الاردن فجمع من ذلك ثروة كبيرة . ولكن في سنة ١٣٣٧ هـ استردها الشمريون منهم عقيب معارك شديدة ثم عادوا هم في سنة ١٣٤٠ هـ واستردوها وظلت في أيديهم الى سنة ١٣٤٤ حيث اضطروا الى التخلي عنها الى الملك عبد العزيز بن السعود بعد أن أزال دولة آل الرشيد واستولى على الحجاز . ويقدر عدد الرولة مع احلافها بـ ٤٠٠٠ بيت وعدد مواشيها بما لا يقل عن ١٢٠٠٠٠ بعير و ١٠٠٠ فرس و ٣٠٠٠٠ شاة ، ولا يخلو أي بيت فيها من بندقية وعند الشيخ نوري عدة سيارات ورشاشات ، وقد افترق منها نحو ٤٠٠ بيت وهم فرقتا الدغمي والمشهور برئاسة درزي بن دغمي وفرحان بن مشهور وصاروا وهابيين في سنة ١٣٤١ ودخلوا في الجوف .

(يتبع) وصفي زكريا

كلمة الإشتيام

في شعر البحتري

لعل لفظ [الاشتيام] لم يسمع الا في شعر البحتري من قصيدته التي أولها

[ألم تر تغليس الربيع المبكر وما حاك من نشر الرياض المنشر]

وهي التي مدح بها [أحمد بن دينار] والي البحر في العهد العباسي : فان هذا الوالي [أو نسميه امير البحر] أنشأ بارجةً غزا عليها بلاد الروم · فمدحه البحتري بالقصيدة المذكورة : ومما جاء فيها قوله :

[ولما تولى البحر والجود صنوه غدا البحر من أخلاقه بين أبحر]

ثم وصف سير سفائن الاسطول فقال :

[غدون على الميمون صبحاً وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر]

وأراد بالمركب الميمون البارجة الجديدة التي أنشأها الوالي وكلمة [الميمون] تقع عادة في جملة فصيحة يدعون بها للمسافر فيقولون [سرْ على الطائر الميمون] أي كن سعيداً في سفرك · ثم وصف البحتري أدب ملاحي [أحمد] فقال :

[يغضون دون (الاشتيام) عيونهم وقوفَ السماطِ للعظيم المؤمر]

وقد فسروا [الاشتيام] برئيس المركب كما يأتي · وأطلقه البحتري على أحمد المذكور · فهو يقول ان ملاحي اسطوله يهابونه فهم يغضون دونه أبصارهم مطرقين واقفين كما تقف صفوف الناس للأمير العظيم اذا مرَّ بهم ·

واذا هاب الملاحون رئيسهم أحمد فما علينا نحن أن نهاب شاعرنا البحتري ونجرأ على نقده ذلك أن شعره هذا يشبه قول من قال :

[كأننا والماء من حولنا قومٌ جلوس حولهم ماء]

أليس مآل معنى بيت البحتري تشبيه النوتية الواقفين لرئيسهم بسماط الناس الواقفين لأميرهم وسماط القوم صفهم كما في القاموس ·

وليس شأننا في هذه العجالة أن ننقد ما عاث في شعر البحتري من الأغلاط وانما شأننا هو تحليل معنى كلمة [الاشتيام] الواردة في شعره ومن أي أصلٍ انتزعت

لم تذكر المعاجم هذه اللفظة · بلى ذكرها صاحب التاج في غير مادتها اعني [ش ي م]، ذكرها في مادة [ر ب ع] :

قال القاموس [والمُربع كمحسن شراع السفينة الملأى] فعلق [التاج] على قوله هذا قوله (والرومي شراع [1] السفينة الفارغة ، والمتلطة مقعد الاستيام وهو رئيس الركاب] وقال في مادة [ل م ظ] [والمتلطة مقعد الاستيام وهو رئيس الركاب والملاحين كما في التكملة] وقال [ومثله صاحب اللسان] في مادة [م ل ط] والمتلطة مقعد الاستيام ، والاستيام رئيس الركاب ا هـ] وقد وردت كلمة [الاستيام] في عبارات التاج بالسين المهملة أما في عبارة اللسان فبالشين وهو الصواب كما هي في ديوان البحتري وكما هي في كتاب [عبث الوليد]

ومع كل ما ذكرنا من قول البحتري وتعقليات التاج واللسان على كلمة [الاشتيام] بقي أمرها غامضاً علينا حتى عثرنا في كتاب [عبث الوليد] لأبي العلاء المعري على شيء من التحقيق في تحليل معنى هذه الكلمة وأصلها · قال ابو العلاء معلقاً على قول البحتري

[يغضون دون (الاشتيام) عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر]

ما خلاصته [الاشتيام لم يذكرها المتقدمون من علماء اللغة · فاذا سئل من يركب البحر عنها قال: البحريون الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام فان كانت كلمة الاشتيام عربية كانت مشتقة من شام البرق يشيمه اذا نظر اليه ليعلم إن كان ممطراً أو لا ورئيس المركب يكون عالماً بشؤون البروق والرياح · فهو تسمية بالمصدر كقولهم : رجل زَوْرٌ اي زائر ، وفي البحر سمكة عظيمة تُعرف بالاشتيام أيضاً · فلعلها سميت باسم رئيس المركب · كأنها رئيسة السمك · فهمزة الاشتيام على هذا (أي على كونها عربية) همزة وصل وقد قطعت للضرورة وان

(١) اما السفينة نفسها فان كانت ملأى أي مشحونة سميت خامدة وآمدة وزخن وان كانت فارغة سميت جفاية بضم الجيم ا هـ قاموس وتاج

كانت الاشتيام لفظة اعجمية فهمزتها همزة قطع] انتهى قول ابي العلاء . وهو ظاهر في ان الاشتيام بالشين المعجمة لأنه جعلها من شام البرق وان معناها رئيس المركب وانها يحتمل أن تكون عربية كما يحتمل أن تكون أعجمية . هذا ما أمكننا أن نعثر عليه من أقوالهم في تحليل كلمة [الاشتيام] واذا كان لمثلي الحق أن يزيد على ما قالوه فأعلق عليه قولي :

احتمال أن تكون [الاشتيام] عربية احتمالٌ بعيد لأن المعاجم لم تذكر في مادة [شام] ان الاشتيام اسم لرئيس المركب وكذلك لم يرد اشتام البرق بمعنى شامه فهي في غالب الظن أعجمية وعلى القول بعجمتها لم نر أحداً منهم أشار الى أصلها الأعجمي . وأرى أن أصلها فارسي وهو (آشنا) بهمزة ممدودة في أولها والف مقصورة في آخرها : قال شمس الدين سامي في قاموسه المشهور [آشنا صفة فارسية يوصف بها الشخص الواقف على حقيقة الشيء ومن له علم به والخبير] . وفسرها صاحب معجم [كنزلغات] بقوله [آشنا : عريف . خبير . سباح . عوام] فقوله : [سباح] يدنينا من معرفة معنى كلمة [آشنا] التي حرفت الى [الاشتيام] وأن [آشنا] بعد ان كان معناها السباح في البحر عادوا فأطلقوها على رئيس المركب الذي لا يمكن إلا أن يكون خبيراً بالسباحة ذاعلمٍ بها . والا [أضاع كل عمره] ثم إن ملاّحي بحر الحجاز تلامذة ابن ماجد [الربان العربي المشهور] سمعوا نواخذة الفرس يصفون ربان السفينة بانه [آشنا] أي خبير بسلوك البحر . وتكرر منهم هذا السماع فتلقفوا الكلمة وعرّبوها فأدخلوا عليها الالف واللام في أولها والهمزة في آخرها وقالوا في أحاديثهم عن البحر . فلان الآشناء سافر . وفلان الآشناء قدم . وفلان الآشناء غرق وهكذا . ثم ان النساخ — أو نساخ ديوان البحتري الذي ربما كان هو أول من وصل الينا استعماله لكلمة [الآشناء] — هؤلاء النساخ حرفوا [الآشناء] الى [الاشتيام] . وما أكثر ما يقع التحريف في الكلمات ذوات الأسنان والنقط أما همزة [الاشناء] الأخيرة فقد حرفت الى الميم ذات الذنب القصير [م] ثم ان تعريب [آشنا] بالآشناء يشبه تعريب [كهربا]

بالكهرباء وشيئا بالسيمياء مرة وبالكيمياء مرةً أخرى فزادوا [أل] في أولها والهمزة في آخرها على أنه يحتمل أن تكون زيادة الهمزة الأخيرة ليست من [عملية] التعريب في شيء . وانما هي ضرورة شعرية لجأ اليها البحتري لاقامة وزن البيت . وفي اشعار ديوانه شواهد على ذلك . منها قوله [والقنا قد أسال فيهم قناء] القنا الاولى الرماح و [قناء] الثانية جمع [قناة] التي معناها مجرى الماء ولا يخفى أن جمع قناة بهذا المعنى [قنا] بالالف من دون همزة لكن البحتري همزها وقال [قناء] لضرورة الشعر أو ضرورة القافية . ومطلع هذه القصيدة (ياأخا الأزد ماحفظت الإخاء) قال ابو العلاء في (عبث الوليد) عند شرحه لكلمة [قناء] ومدّ المقصور سائغ وقد كثر في اشعار المحدثين وقلّ في أشعار المتقدمين . ومنه قول الشاعر :

[سيغنيني الذي أغناك عني فما فقر يدوم ولا غناء]

قال (غناء) بالمد وهو في كلام العرب مقصور لأن المراد به الاستغناء بالمال لا التغني بالنشيد وقال البحتري أيضاً :

[وجحاجحُ الأزد بن غوث حوله فرقاً يهزُّون اللحاء الشيبا]

وعلق ابو العلاء على ذلك قوله [اللحاء بالمد اصله لِحىً فهو من باب مد المقصور]

فعلى ماتقدم يحتمل ان يكون البحتري في قوله [الآشناء] قد مد الالف المقصورة لاقامة وزن البيت لا لأجل التعريب ويكون تعريب [الآشنا] بالف مقصورة في آخرها كتعريب مرعزى ومصطكا وكراويا

والخلاصة : أن [الاشتيام] في بيت البحتري محرَّف عن [الآشناء] و [الآشناء] تعريب [آشنا] الفارسية بمعنى الخبير بالسباحة ثم استعمل وصفاً أو اسماً لرئيس المركب لكنه استعمال لم يشتهر في لغة الأدب وبقي في دائرة ضيقة الحدود . نعتمد على هذا الحل في تصحيح كلمة [الاشتيام] ريثما نقع على نسخ أخرى لأشعار البحتري ومخطوطات ديوانه أو على نصوص في كتب اللغة غير التاج واللسان تتبين منها حقيقة كلمة [الاشتيام] واشتقاقها فنعرف إن كانت عربية أو معربة والسلام .

المغربي

جامع التواريخ

— أو —

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي

— ١٤ —

وكان ابو محمد المهلبي يكثر الحديث على طعامه ويكون اطيب الحديث واكثره مذاكرة بالأدب وضروب الحديث على المائدة لكثرة من يجمعهم عليها من العلماء والكتاب والندماء ، وكنت كثيراً ما احضر ، فقدّم اليه في بعض الايام طيهوج [١] فقال [٢]: أذكروني في هذا حديثاً طريفاً ، فسئل ماهو؟ فقال: اخبرني بعض من كان يعاشر الراسبي الامير قال: كنت آكل معه يوماً وعلى المائدة خلق عظيم فيهم رجل من رؤساء الاكراد المجاورين لعمله وكان ممن يقطع الطريق ، فاستأمن اليه فأمنه واختصه وطالت ايامه معه ، فكان في ذلك اليوم على مائدته ، اذ قدم حجل ، فألقى الراسبي منه واحدة الى الكردي كما يلاطف الرؤساء مواكليهم ، فأخذها الكردي وجعل يضحك ، فتعجب الراسبي من ذلك وقال: ما سبب هذا الضحك؟ وما نرى مايوجبه ، فقال: خبر كان لي ، فقال اخبرني ، فقال شيء ظريف ذكرته لما رأيت هذه الحجلة ، قال ماهو؟ فقال: كنت ايام قطعي الطريق وقد اجتزت في بعض المحجة الفلانية في الجبل الفلاني وأنا وحدي في طلب من آخذ ثيابه حتى

---

(١) الطيهوج ذكر الحجل معرب تيهو بالفارسية . (٢) ارشاد الاريب ٣—١٩٥ وحياة الحيوان ١—٢٠٧ وفي الارشاد : اذكرني هذا حديثاً ظريفاً وهو ما أخبرني به الخ

استقبلني رجل وحده، فاعترضته وصحت عليه، فاستسلم اليّ ووقف، فأخذت ما كان معه وطالبته أن يتعرى، ففعل ومضى لينصرف، نخفت ان يلقاه في الطريق من يستنفره على طلبي فأطلب وأنا وحدي فأوخذ، فقبضت عليه وعلوته بالسيف لاقتله، فقال: ياهذا! اي شيء بيني وبينك؟ قد أخذت ثيابي وعريتني ولا فائدة لك في قتلي، فكتفته ولم التفت الى قوله، واقبلت اقنعه بالسيف، فالتفت الي كأنه يطلب شيئاً، فرأى حجلة قائمة وهي على الجبل فقال: ياحجلة! اشهدي[1] لي عند الله تعالى اني أقتل مظلوماً، فمازلت اضربه حتى قتلته وسرت[2] فما ذكرت هذا الحديث حتى رأيت هذه الحجلة، فذكرت حماقة ذلك الرجل فضحكت. قال فانقلبت عين الراسي[3] حرداً، وقال: لا جرم ان شهادة الحجلة عليك لا تضيع اليوم في الدنيا قبل الآخرة، وما أمنتك الا على ما كان منك من فساد السبيل، فأما الدماء فما اسقطها الله عنك بالأمان، وقد اجرى الله على لسانك الاقرار عندي. ياغلام! اضرب عنقه؛ قال فبادر الغلام اليه وغيره بسيوفهم يخبطونه، وضرب كل واحد منهم قفاه فكأنّ رأسه قثاءة قطعت بنصفين. فتدحرج رأسه بين أيدينا ونحن على المائدة وجُرّت جثته ومضى الراسي في الأكل.

* * *

أملى عليّ ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الكاتب الصابئ نسخة رقعة الى رجل زوّج امه كتبها اليه: قد جعلك الله وله الحمد من اهل

(١) بالأصل: اشهد. (٢) بالأصل فشرت. (٣) في الارشاد: فانقلب علينا الراسي في رأسه.

التحصيل ، والرأي الاصيل ، وصحة الدين ، وخلوص اليقين ، كما أنك لا تتبع الشهوة في محظور (تفعله)[1] ، فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره ، وتأدّى الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة – نفس الله لها في مدتك – وبين فلان ، ما علمنا انك[2] بين طاعة الديانة توخيتها ، ومشقة فيها تجشمتها ، فأنك جدعت انف الغيرة لها ، وأضرعت خد الحمية فيها ، وأسخطت نفسك لرضاها ، وعصيت هواك لرأيها . فنحن نهنئك بعزيمة صبرك ، ونعزيك عن فائت مرادك ، ونسأل الله الخيرة لك ، وأن يجعلها ابداً معك فيما شئت وأبيت ، وتجنبت وأتيت ، والسلام .

* * *

وأنشدني لنفسه قال وكتبت بها وانفذني الى حضرة الأمير[3] ووعدني بتخليصي فاخر ذلك (؟)

ايا ناصراً[4] للدين والدولة التي ... رددت اليها العز اذ فات ردُّهُ
ايعجزك استخلاص عبدك بعدما ... تخلصت مولاك الذي انت عبده

* * *

انشدني رجل مصري قال انشدني ابو الفرج كاتب ابن البكتمري رجل باقٍ بالشام من اهلها لنفسه :

تملكت يا مهجتي مهجتي ... واسهرت ياناظري ناظري

(١) الكلمة غير واضحة . (٢) لعله سقط : فيه . (٣) في الارشاد ١–٣٤٨ انه ابن بقية . ولعله : فوعدني الأمير بتخليصه . (٤) في الارشاد « الا يانصير الدين والدولة الذي » . وكان لقب ابن بقية نصير الدولة . راجع تجارب الامم ٢–٣٥٥ .

وما كان ذا املي يا ملول ولا خطر الهجر في خاطري
وفيك تعلمت نظم الكلام فلقبني الناس بالشاعر

* * *

انشدني ابو غسان المتطبب البصري :

افدي من السوء مولى بات معتنقي وقد أمال اليّ طائعاً فاهُ
وكلما قلت يا مولاي اوثقني لك الهوى قال لي لا فكك الله

* * *

حدثني ابو القاسم بهلول بن ابي طالب القاضي وهو محمد بن احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي ، قال حدثني صاحب الربع بباب الشام وأسماه لي قال : كنت اعمل في اصحاب الشُرط مع ابي الحسن الابزاعجي صاحب الشرطة ببغداد ، فأخرج لصوصاً من الحبس واستأذن معز الدولة في صلبهم وقتلهم عند الجسر ، فأذن في صلبهم عشياً ، وكانوا عشرين رجلاً ، ووكل بهم جماعة كنت فيهم ، والرئيس علينا فلان . وقال كونوا عند حبسهم بقية يومكم وليلتكم ، حتى اذا كان من غد ضربت اعناقهم . فبتنا وجعلنا الليل يوماً فتقيل رئيسنا في نومه[1] وجماعتنا . فاحتال بعض اللصوص في أن قطع الحبل ونزل من الخشبة ، فما انتبهنا الا بصوت وقعه وعدْوه فعدا رئيسنا خلفه وانا معه ، فما لحقناه ، وخفنا أن يتشوش الرجالة الباقون فيفلت انسان آخر ، فرجعنا مسرعين وجلسنا مغمومين مفكرين ماذا نعمل ، فقال : رئيسنا ابن الابزاعجي لا يقيل لي عثرة ، ولا يقبل

(١) لعله : في يومه يعني على انه قد جعل الليل يوماً (او لعله فثقل رئيسنا في نومه) .

مني عذراً ، ويقع له انني قد أخذت من اللصوص مالاً وافلته ، فيضربني للتقرير فلا اقر فيقع له انني اتجلد عليه ،فيمد الضرب عليّ الى أن اتلف فما الرأي؟ فقلت تهرب ، قال فمن أين أعيش؟ فقلت هذا نصف الليل ولم يعلم بما جرى أحد ، فقم حتى نطوف ، فلا يخلو ان يقع بأيدينا مشئوم قد حانت منيته ، فتوثقه وتصلبه . وتقول له : سلمتَ اليّ عشرين رجلا ، فانه ما اثبت حلاهم . فقال هذا صواب . فقمنا نطوف وسلكنا طريق الجسر نعبر الجانب الغربي ، فرأينا في اسفل كرسي الجسر رجلاً يبول فعدلنا اليه فقبضنا عليه ، فصاح يا قوم ! ما لكم ؟ انا رجل ملاّح صعدت من سميريتي ابول وهذه سميريتي ، وأومأ اليها. أي شيء بيني وبينكم؟ فضربناه وقلنا انت اللص الذي هرب من الخشبة وحبناه [1] ورقيناه الى الخشبة وصلبناه مكان اللص الهارب وهو يصيح طول الليل ويبكي ، فتقطعت قلوبنا رحمةً له ، وقلنا مظلوم ولكن ما الحيلة ، فلما كان من الغد ركب الابزاعجي الى الحبس وجاء وقد اجتمع الناس ليضرب اعناق القوم ، فصاح به الملاح ايها الاستاذ ! — وكذا كان يخاطب وهو رسم لكل من يتقلد رياسة الشرطة ببغداد — بوقوفك بين يدي الله ادعني واسمع مني كلامي فلست من اللصوص الذين أخرجتهم وأمرت بصلبهم وأنا مظلوم وقد وقعت بي حيلة . فأنزل به ، وقال له ما قصتك ؟ فشرح له حديثه على حقيقته ؛ فدعا بنا وقال : ما [2] هذا الرجل ؟ فقلنا ما نعرف ما يقول سلمت الينا عشرين رجلاً وهؤلاء عشرون رجلاً . فقال قد أخذتم من أحد

(١) لعله : وجذبناه . (٢) لعله سقط : فعل او حال .

اللصوص دراهم واطلقتموه واعترضتم هذا من الطريق رجلاً غريباً بريئاً فاخذتموه ، فقلنا ما فعلنا هذا ، اللص الذي سلمته الينا هو هذا. فضرب اعناق الجماعة وترك الملاح . وقال هاتم السجانين والبوابين ، فجاؤا ، فقال لهم : هذا من جملة العشرين الذين أخذناهم ؟ فتأملوه بأجمعهم وقالوا لا . ففكر ساعة ثم امر باطلاقه ثم قال هاتوه الي ، فرددناه . فقال اشرح لي قصتك ، فأعاد عليه الحديث ، فقال له : نصف الليل ، اي شيء كنت تعمل هناك في ذلك الموضع ؟ فقال : كنت قد بت في سماريتي فاخذتني بولة فصعدت ابول ، قال ففكر ساعة ثم قال له : اصدقني على الحقيقة حتى اطلقك ، أي شيء كنت تعمل هناك ؟ فلم يخبره بغير ذلك . — قال وكان من رسمه اذا أراد أن يقرر انساناً قرره وهو قائم بين نفسين ووراءه جماعة بمقارع فاذا حك رأسه ضرب المقرر واحدة جيدة عظيمة فيقول للذي ضربه قطع الله يدك ورجلك يا فاعل ياصانع من امرك بضربه ولم ضربته تقدم يا هذا لا بأس عليك اصدق فقد نجوت فان اقر والا حك رأسه ثانية وثالثة ابداً على هذا وكذا كانت عادته في جميع الجناة وهو رسم له معروف عند المتصرفين بحضرته — قال فلما أطال عليه الملاح حك رأسه فضرب قفاه بعض القائمين بمقرعة ضربة عظيمة ، فصاح الملاح ، فقال الابزاعجي : من أمرك بهذا يا فاعل يا صانع ؟ قطع الله يديك ، ثم قال للملاح : اصدق وانج بنفسك ، فقال له الملاح: أيها الاستاذ ! الله شاهد عليك اني آمن على نفسي وأعضائي حين اصدق ؟ فقال له نعم . قال أنا

رجل ملاح اعمل في المشرعة الفلانية يعرفني جيراني بالستر ، وقد كنت سرحت سماريتي الى سوق الثلاثاء البارحة بعد العتمة أتفرج في القمر ، فنزل خادم من دار لا أعرفها ، فصاح يا ملاّح فقدمت [1] فسلم اليّ امرأة نظيفة حسنة ومعها صبيتان وأعطاني دراهم صحاحاً ، وقال احمل هؤلاء الى المشرعة الفلانية بباب الشماسية ، فصعدت بهم قطعة من من الطريق فكشفت المرأة رأسها فاذا هي من أحسن الناس وجهاً كالقمر ، فاشتهيتها فعلقت مجاذيفي في الكرك [2] وأخرجت السفينة إلى وسط دجلة بغداد ، وتقدمت إلى المرأة فراودتها عن نفسها ، فأخذت تصيح ، فقلت لها : والله لئن صحتِ لأغرقنك الساعة ، فسكتتْ وأخذت تمانعني عن نفسها ، واجتهدتُ بأن أقدر عليها فما قدرتُ ، فقلت لها : من هاتان الصبيتان منك ؟ فقالت بناتي ، فقلت لها : أيما أحب إليك تمكنيني من نفسك او أُغرق هذه ؟ وقبضتُ على واحدة منهن ، فقالت : اما أنا فلا أطيعك ، اعمل ماشئت ، فرميت إحدى الصبيتين في الماء ، فصاحت ، فضربتُ فاها وصحت معها والله لا أُطلقك ولو قتلتني ، ليشتبه ذلك على من عساه يسمع الصياح في الليل ، فسكتتْ وأقبلتْ تبكي ، ثم تركتها ساعة وقلت لها : دعيني أفعل بك وإلا غرقت الأُخرى ، فقالت والله لافعلت ، فأخذتُ الصبية الأُخرى فرميت بها في الماء ، فصاحت وصحت معها ، ثم قلت لها : ما بقي الآن إلا قتلك أنت فدعيني وإلا قتلتك وأخذت

(١) لعله : فتقدمت . (٢) يريد مركز الاستناد في المركب ولعل الكلمة تركية كورك أي مجذاف .

يدها وشلتها لأرمي بها إلى الماء ، فقالت أدعك ، فرددتهـا إلى السمارية فمكنتني من نفسها فوطئتها ، وسرت لأمضي بها إلى المشرعة ، فقلت في نفسي : هذه الساعة تصعد إلى دارهـا أو إلى الموضع الذي تأوي إليه فتنذر بي فأوخذ فأقتل وليس الوجه إلا تغريقها ، فجمعت يديها ورجليها ورميت بها إلى الماء . فحين غرقت فكرت فيما ارتكبته وعظم ما جنيته فندمت وكنت كرجل كان سكران فأفاق ، فقلت أي شيء أعمـل ؟ ليس إلا أن انحدر إلى البصرة وأغوص في أنهارها فلا أعرف ، فانحدرت فلما صرت حذاء الجسر فأخذتني بطني وقلت أصعـد وأتفسح وأعود إلى سماريتي ، فصعدت فأنا جالس أتغوط فما أحسست حتى قبض هؤلاء عليّ . قال فقال له الابزاعجي : يا هذا ـ مطايباً ـ فأي معاملة بين مثلك وبيني ؟ انصرف بسلام ، فظن لجهله أن ذلك حقيقة ، فولىّ لينصرف ، فصاح به وقال : يا فتى ! هوذا تنصرف وتدعنا من حقا ؟ [1] فلا أقلّ من أن ترجع لنحلفك أنك لاتعود إلى مثل هذا . فرجع ، فقال خذوه فأخذوه ، فقال اقطعوا يده ، فقال يا سيدي ! أليس قد أمنتني ؟ فقال يا كلب ! وأي أمان لمثلك ؟ قد قتلت ثلاثة أنفس وزنيت وأخفت السبيل . قال فقطعت يداه ورجلاه ثم ضربت عنقه وأحرق جسده بالنار في مكانه .

* * *

أخبرني من أثق إليه من اهل بغداد ان الابزاعجي انما لقب بذلك

(١) كذا بالأصل : وهي لغة العامة يريدون من حق أي حقيقة .

لانه كان يخدم قائداً من غلمان الموفق تركياً وكان يسمى ابزاعج والابزاعجي قريباً [١] من ذلك ·

* * *

حدثني ابو بكر بن عثمان الصيرفي الشاعر قال سمعت عمر بن اكثم يقول : كان قوم يريدون تثبيت وفاة وعدد ورثة عند أبي عمر القاضي ، وكانوا قد ضمنوا للوكيل خمسين ديناراً على ذلك ، فلما ثبت عند القاضي عدد الورثة بشهادة شاهدين ساموه ان يأخذ منهم البعض ويدع عليهم البعض ، فاخذ ماعفوا به وتقدم عند القاضي وخصومهم في المجلس وقال : قد وكلني هؤلاء اعز الله القاضي وقد أخرجت نفسي من الأولين ، فقال تكلم ، فقال شهد الشاهدان عند القاضي انهما لا يعلمان وارثاً غير من ذكروه ، وعندي شاهدان عدلان يعلمان وارثاً آخر ، فقال أحضرهما ، فقاما ودافع بالحكم ولم يزل يدفع بهم شهراً الى ان جاءه الورثة فقالوا قد اهلكتنا ، فقال بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُم والله لادفعن بأمركم سنة أو تعطوني خمسين ديناراً مستأنفة لأمسك ، واعطوه ما طلب وتقدم فقال : لابينة لي ، فحكم القاضي لهم ·

* * *

وحدثني أبو بكر قال حدثني عمر بن اكثم قال تقدم يتيم كان في حجر امين من امناء القاضي ابي جعفر بن البهلول اليه وقد بلغ وفك

(١) كذا بالاصل : وكان يجب أن يقول : فالابزاعجي مولاه ولعل الرجل كان يكنى ابا الزعج ·

حجره فقال: أيها القاضي! ان فلاناً الأمين ضيع من مالي هذا كذا وكذا وأنا اطالبه به، فقال هاه هاه اتقول لامين ثابت الامانة عندي؟ فقال ايها القاضي! لم اقل خان فيه ولكن انفق عليّ اكثر مما كنت احتاج اليه بكذا وكذا وهذا تضييع. فدعا أبو جعفر الأمين فسأله فأقر بذلك فألزمه المال في ذمته.

* * *

حدثنا ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي[1] قال: قال لي ابو أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى يوماً وقد تجاذبنا على خلوة الحديث فيما بينه وبين ابي القاسم البريدي وتدبير كل واحد منهما على صاحبه في القبض عليه وانا اشير عليه أن يهرب عن البصرة ولا يقيم وانه لا يجب أن يغترّ، قال لست افكر في هذا الرجل لالوان كثيرة منها روءيا رأيتها منذ ليالٍ كثيرة، فقلت ما هي؟ قال رأيت ثعباناً عظيماً قد خرج علي من هذا الحائط وأومى بيده الى حائط في مجلسه وهو يريدني فطلبته وضربته فأثبته في الحائط، فتأولت ذلك ان الثعبان البريدي، وأني أغلبه قال فحين قال فأثبته في الحائط فسبق الى قلبي ان البريدي هو الباب[2] وأن الحائط حائطه دون ابي احمد، فأردت ان اقول له ان الخبر[3] منتقض لما كان[4] عبد الملك رأى في منامه كأنه وابن الزبير قد اصطرعا في

(١) يراجع الفرج بعد الشدة ١/١٨٤. (٢) لعله: الثعبان.

(٣) لعله: التعبير. (٤) الفرج بعد الشدة ١/٨٤ وهناك ان عبد الله بن الزبير رأى المنام.

صعيد من الأرض فطرح ابن الزبير عبد الملك تحته على الأرض وأوتده بأربعة أوتاد فيها وانه أنفذ راكبًا الى البصرة قد لقي[١] ابن سيرين فقص عليه الرؤيا كأنها له وكتم ابن الزبير[٢] فقال له ابن سيرين : هذه الرؤيا ليست رؤياك ولا افسرها لك ، فألحّ عليه ، فقال : يجب أن تكون رؤيا عبد الملك فان صدقتني فسرتها لك ، فقال هو كما وقع لك ، فقال : قل له ان صحت رؤياك هذه فستغلب ابن الزبير على الأرض ويملك الأرض من صلبك اربعة ملوك ، فمضى الرجل الى عبد الملك فأخبره فعجب من فطنة ابن سيرين ، وقال ارجع اليه وقل له : من أين قلت؟ فرجع الرجل اليه . فقال له : ان الغالب في النوم هو مغلوب ، وتمكنه على الأرض غلبه عليها ، والأوتاد الأربعة التي اوتدتها الأرض هم ملوك يتمكنون في الأرض كما تمكنت الأوتاد . قال أبو القاسم الآمدي : فأردت أن أقول لأبي أحمد هذا وما وقع لي من القياس عليه في تعبير رؤياه فكرهت ذلك لانه كان يكون سوء ادب وقباحة عشرة ونعيًا لنفسه فما مضت الأيام حتى قبض البريدي عليه وكان من أمره ما كان .

وكان ممن حضر عندي لما حدثني ابو القاسم بهذا الخبر ابو القاسم عمر بن عبد الرحمن بن طلحة بن الحسن بن المثنى ، فقال كانت لجدي منامات طريفة لاتخطئ فمنها اني كنت بحضرته وأنا صبي في تربة جدي لامي وعم أبي الحسين وما أظن بيني وبين اخي[٣] الا سنة ، قال فقال له من

(١) لعله : فلقي . (٢) يريد عبدالملك وهذا يدل على ان رواية الفرج أصح .
(٣) يظهر أنه قد سقطت جمل ذكر فيها أشياء لا تفهم الحكاية الا معها .

حوله يبق [١] الله الشيخ ويفعل به ويصنع ، قال فانصرف من التربة ، فلما كان في اليوم السابع من ذلك الحديث قبض عليه أبو القاسم البريدي في يوم الخميس غرة شعبان سنة ٣٣٥ فاقام في يده دون ثلاثة أشهر ثم قتله في حبسه في شوال بحيلة احتالها له عبدان المتطبب لعنه الله في شيء سقاه، فقال ابو القاسم الآمدي : كنت حاضراً ابتداء المجلس ولما أخبر رؤياه تأولها تأولا غير ما وقع وهو ان نوم حسان في قبره سلامة متينة ، وان قعود أبي الحسن لان الحال التي بها مات أشد حال من [٢] حسان ، لأنه فلج سنين فعاين مبتلا قد نقص صحته ورأى في نفسه ما لا يحبه ، وان وفاة أبي أحمد تكون بحال هي اشد من ذلك كله بحسب قعوده وقيامه في المشقة ، وفرق ما بين القعود والنوم والراحة ، فمات أبو أحمد مقتولا بعد الحبس والنكبة والفقر والذلة .

* * *

حدثني ابو القاسم عبدالرحيم بن جعفر السيرافي الفقيه المتكلم المعروف بابن السماك رحمه الله قال : حضرت بشيراز عند قاضيها ابي سعد بشر بن الحسن الداودي وقد ارتفع اليه صوفي وصوفية قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً ، حتى يقال ان عددهم ألوف رجال ونساء ، قال فاستعدت المرأة على زوجها الى القاضي ، فلما حضرا قالت له : أيها القاضي ! هذا زوجي يريد ان يطلقني وليس له ذلك فان رأيت أن تمنعه . قال : فأخذ

(١) لعله يوبق . (٢) لعله من حال .

أبو سعد يعجبني من هذا الكلام وينبهني على مذاهب الصوفية منه . ثم قال لها : كيف ليس له ذلك ؟ قالت لانه تزوج بي ومعناه قائم ، والآن يذكر أن معناه قد انقضى مني ، وانا معناي قائم فيه ما انقضى ، فيجب أن يصبر الى ان ينقضي معناي فيه كما انقضى معناه مني . فقال لي ابو سعد : كيف ترى هذا الفقه ؟ ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق .

* * *

أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجلاً يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هناك يجتمعون اليه فيتكلم على الخطرات والوساوس ، ويحضر حلقته ألوف من الناس ، وانه فاره فيهم حاذق ، وانه قد استغوى الضعفى من الناس الى هذا المذهب ، قال فمات رجل صوفي من اصحابه وخلّف زوجة صوفية ، فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمها غيرهن ، فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص اصحابه وهم عدد كثير الى الدار ، وأخذ يعزي المرأة بكلام من كلام الصوفية الى قال : قد اعزبت فقال لها هاهنا غير ؟ فقالت لا غير ، قالت [1] فما معنى التزام النفوس آفات الهموم وتعذيبها بعذاب الغموم ولأي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الانوار وتصفو الارواح وتقع الاخلافات وتنزل البركات؟ قال فقلن النساء اذا شئت ، قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم . فلما كان سحراً خرجوا . (قوله هاهنا غير) اي هاهنا غير موافق في المذهب، فقالت (لا غير) أي ليس [2] يخالف . قوله (نترك الامتزاج)

(١) لعله : قال . (٢) لعله سقط من .

كناية عن الوطء من الممازجة وقوله (لتلتقي الانوار على اصلهم ان في كل جسم نوراً إلهيًا وقوله (الاخلافات) أن يكون لكل خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن. وهذا عندي عظيم ولولا أن جماعة أخبروني يبعدون عندي عن الكذب ماحكيته لعظمه عندي واستبعادمثله أن يجري في دار الاسلام . وبلغني ان هذا ومثله شاع حتى بلغ الامير عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جماعة منهم وشتت جموعهم وكفوا .[1]

* * *

لأبي فراس الحرث بن سعيد بن حمدان لما أسر :[2]

ما للعبيد من الذي يقضي به الله امتناعُ
ذدت الأسود عن الفرا ئس ثم تفرسني الضباع

وله[3] الى سيف الدولة قصيدة اخترت منها قوله :

أيدرك ما أدركت إلا ابن همة يمارس من كسب العلى ماأمارسُ
يضيق مكاني عن سواي لأنني على قبة المجد المؤثل جالس

وقال[4] وقد حضر العيد وهو ببلد الروم أسير :

يا عيد ماجئت بمحبوبٍ على مُعنًّى القلب مكروبِ
يا عيد قد عدت على ناظر عن كل حسن فيك محجوب
يا وحشة الدار التي ربها أصبح في أثواب مربوب

(١) وفي كشف المحجوب ان ابن خفيف البغدادي كان أعف الناس .

(٢) ديوان ابي فراس ص ٤٦ (٣) ص ٤٢ (٤) ص ٨٩

قد طلع العيد على أهلها بوجه لا حسن ولا طيب
ما لي وللدهر وأحداثه لقد رماني بالأعاجيب

وله من الأسر قصيدة أولها :

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبرُ اما للهوى نهي عليك ولا أمرُ[1]

ويقول فيها :

تكاد تضيء النار بين جوانحي إذا هي أذكتها الصبابة والفكرُ
معللتي بالوعد والموت دونه إذا متّ عطشاناً فلا نزل القطر
واني لنزال بكل مخوفة كثير الى نزالها النظر الشزر[2]
واصدأحتى[3] ترتوي الارض والقنا وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر
ولا أصبح الحي الخلوف بغارة[4] ولا الجيش مالم يأته قبلي النذر
ويارب دار لم تخفني منيعة طلعت عليها بالردى أنا والفجر
وحي رددت الجيش حتى ملكته هزيماً وردتني البراقع والخمر[5]
وما راح يطغيني بأثوابه الغنى ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر
وما حاجتي في المال أبغي وفوره إذا لم يفر عرضي فلا وفر الوفر
أسرت وماصحبي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امريء فليس له بر يقل[6] ولا بحر

ويقول فيها :

(١) الديوان ص ٩٠ (٢) ص ٩٢ (٣) في الديوان فأصدى الى أن.
(٤) في الديوان (الغيور لغادة) الحي الخلوف الخالي من الرجال (٥) هذا البيت ليس في الديوان (٦) في الديوان يقيه .

وقال أُصيحابي الفرار او الردى فقلت هما أَمران أحلاهما مرُّ
ولكنني أمضي لما لا يعيبني وحسبك من أمرين خيرهما الاسر
ولا خير في دفع الاذى بمذلة كما ردها يوماً بسوءته عمرو[1]

* * *

أَنشدني في شهر ربيع الآخر من سنة ٣٦٦ أَبو سعيد مساعد بن الجهم الشيباني لنفسه قال وقلتها منذ نحو سبعين سنة وذكر لي أن له في الوقت ستاً وتسعين سنة :

يا مقلة لحظها عقاربها سماء عيني دمعي كواكبها
تجول في حلبة[2] مشهرة يكبو بركبانها ركائبها
كأنها والدماء تتبعها شهب خيول شقر جنائبها

انشدني في هذه الابيات شعراً جيداً في سنة ٣٦٢ (شهب[3] جنائبها) وهذا أَصح لأَنه أَراد به انه يبكي دمعاً ثم تتبعه دماء والدليل عليه قوله : (كأنها والدماء تتبعها)

* * *

(يتبع)

---

(١) قال شارح الديوان وذلك أن عمراً (يعني ابن العاص) لما أدركه الامام علي وأراد قتله كشف سوءته لعلمه انه لم ير سوءة قط فكف. (٢) بالاصل : حيله
(٣) لعل الصواب شقر.

مخطوطات ومطبوعات

الحكيم موسى بن ميمون

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون (ابو ذؤيب)

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٥ — ١٩٣٦ ص ١٧٩

الاستاذ ابو ذؤيب من أساتذة الجامعة المصرية اثبت كفاءة في البحث والنظر في كتابيه تاريخ اليهود في جزيرة العرب وتاريخ اللغات السامية والآن جاء في هذا السفر يثبت كفاءة إلى كفاءته وبحثاً إلى عظيم ابحاثه فقد جود في الكلام على حكيم الاسلام والعرب أبي عمران موسى بن ميمون القرطبي المتوفى في مصر ١٢٠٥ م وكان رحل من الاندلس الى مصر في عهد السلطان صلاح الدين من اعتداء أعدائه وابناء نحلته اليهود وحل لديه ولدي مستشاره القاضي الفاضل المحل اللائق بعلمه وفضله · وقد حلل المؤلف حياته ومصنفاته بأسلوب جميل تكاد تعتقد اذا قرأته أنه لم يترك مصدراً افرنجياً ولا عربياً ولا عبرياً الا غاص فيه واستخرج درره وعرض فيها لمولد الفيلسوف ونشأته وأسرته وسيرته ووفاته ولمؤلفاته ولفلسفته ولا سيا كتابه دلالة الحائرين الذي كتبه بالعربية بحروف عبرية وخص الباب الرابع بمؤلفاته الطبية وقد قدم له الاستاذ المحقق مصطفى عبد الرازق باشا مقدمة قال فيها : « في بعض كلام المؤرخين ما يشعر بأن صلة ابن ميمون بصلاح الدين الايوبي ووزيره القاضي الفاضل لم تكن مجرد تقدير لقيمة ابن ميمون في الطب والفلسفة بل كان السلطان الأيوبي ووزيره أيضاً يعرفان للحبر الفيلسوف مهارته وحذقه في شؤون السياسة » ويعرفـان ما له « من المكانة والقبول عند يهود اليمن في تهدئة الثورات التي كانت تنزو بهـا تلك البلاد »

وأحسن المؤلف في تحليل كتابه « دلالة الحائرين » لابن ميمون . ومما قال :

ومما لاشك فيه ان ظهور التفكير الفلسفي الديني اليهودي في القرون الوسطى انما

هو نتيجة لاتصال اليهود بالحضارة الإسلامية الفلسفية . وكانت الفلسفة اليهودية العربية تتقدم مع تقدم الفلسفة الإسلامية عامة . كان أول من اتصل بالفلسفة الاسلامية من اليهود سعديا الفيومي الذي أخذ بكثير من آراء المتكلمين الذين قرأوا فلسفة أفلاطون من تراجم رديئة في أغلب الاحوال وضعها لهم علماء السريان منذ القرن الثاني للهجرة ثم انتقلت الأفلاطونيات الحديثة إلى العربية ووجدت لها مناصرين من اليهود أغلبهم من الأندلس وعلى رأسهم الشاعر سليمان بن جبيرول والعالم ابراهيم بن عزرا . ثم كثرت تراجم كتب أرسطوطاليس الى العربية وأخذ الفلاسفة من المسلمين يضعون لها الهوامش والحواشي فأصبحت مبادئ أرسطو في الطبيعيات والكائنات من الألفاظ المرادفة للفلسفة عامة .

قال ان ابن ميمون درس الفلسفة اليونانية في التراجم العربية وتأثر بارسطاطاليس ودرس كتاب الاخلاق لأرسطوطاليس من ترجمة اسحق بن حنين كما علم نظرياته من شروح يونانية مترجمة الى العربية مثل اسكندر الافروديسي وثمسيتوس ثامسطيوس ويحيى النحوي ، وصلت اليه نظريات ارسطاطاليس بواسطة المصنفات العربية الاسلامية مثل كتب الغزالي وابن باجة ابي بكر بن الصائغ وابن طفيل وثابت بن قرة والقبيصي وابن افلح الاشبيلي ومحمد بن زكريا ابي بكر الرازي والفرغاني ومحمد بن سنان البتاني الحراني والفارابي والمتكلمين من المسلمين ودرس المذاهب الإسلامية دراسة وافية ولا سيا المعتزلة والأشعرية والمتكلمين وبين ما بين هذه المذاهب وبين المذاهب اليهودية من الفروق في التوحيد

وقال الاستاذ ابوذئيب ان ابن ميمون كان يستعمل لغة عربية غنية بالمفردات بعيدة عن التكلف ولعلها من أجود ما أنتجه العقل اليهودي في أساليب النثر العربي وقد تشتمل عباراته على الفاظ عامية شائعة في اللهجات العربية بمصر والمغرب والأندلس ، وقال إنه ليس هناك كتاب عبري بعد الكتاب المقدس وصحف التلمود اثر تأثيراً عميقاً في حياة اليهود مثل كتاب دلالة الحائرين لان انصار موسى في حياته وبعد وفاته كانوا يقرؤونه في الكنائس ويدرسونه في المعابد .

ونقل عن غيره ان كتاب دلالة الحائرين هو الكتاب المتداول المرغوب فيه عند اليهود والمسلمين والمسيحيين وقال ان ابن ميمون بدأ فصول الاختتام بمثل رائع يعتبر ملخص نظرياته في التوحيد و المخلوقات و كيفية ادراك البشر للعلة الأولى حيث يقول : ولا يتضمن هذا الفصل زيادة معنى على ما قد اشتملت عليه الفصول الماضية وانما هو شبه الخاتمة لإدراك الحقائق الخصيصة به بعد ادراكه والارشاد لحصول تلك العبادة التي تلك هي الغاية الانسانية و كيف تكون الغاية في هذه الدار ، واني مفتتح هذا الفصل بمثل أضربه لك فأقول : « ان السلطان في القصر واهل طاعته كلهم ، منهم قوم في المدينة ومنهم خارج المدينة ، وهؤلاء الذين في المدينة منهم من قد استدبر دار السلطان ووجهه متجه الى طريق أخرى ومنهم من هو قاصد دار السلطان ومتجه اليه وطالب دخولها والمثول امامه ، لكنه الى الآن لم يرقط سور الدار ومن القاصدين من وصل الى الدار وهو يدور حولها يطلب بابها ، ومنهم من دخل الباب وهو يسير في الدهليز ، ومنهم من انتهى الى أن دخل قاعدة الدار وأصبح مع الملك في موضع واحد غير أنه لم يكن يراه ويكلمه ، ولكنه بعد دخول الدار لا بد له من سعي آخر يسعاه حتى يحضر بين يدي السلطان ويراه على بعد أو على قرب أو يسمع كلامه او يكلمه ، وهاءنذا اشرح لك هذا المثل الذي ابتكرته فأقول : اما الذين هم خارج المدينة فهم الذين لا عقيدة عندهم نظرية أو تقليدية . وحكم هؤلاء كحكم الحيوان غير الناطق . وما هؤلاء عندي في مرتبة الانسان وهم من مراتب الموجودات دون مرتبة الانسان واعلى من مرتبة القرود اذ قد حصل لهم شكل الانسان وتخطيطه وتمييز فوق تمييز القرد .

وأما الذين هم في المدينة واستدبروا دار السلطان فهم أهل رأي ونظر ولكن لهم آراء غير صحيحة إما من غلط وقع لهم في حال نظرهم او من خطإ في التقليد فهم من أجل تلك الآراء كلما ابعدوا في السير ازدادوا بعداً عن دار السلطان وهؤلاء شر من الأولين بكثير . وقد تدعو الضرورة في بعض الأزمنة لقتلهم ومحو آرائهم حتى لا يضلوا غيرهم

وأما القاصدون دار السلطان والدخول عنده لكنهم لم يروا قط الدار فهم جمهور اهل الشريعة من عامة الناس الذين يحافظون على فرائض الدين . وأما الواصلون الى الدار الذين يطوفون حولها فهم الفقهاء الذين يقلدون الآراء الصحيحة تقليداً ويتفقهون في العبادات ، ولم يلموا بنظر في اصول الدين ، ولم يبحثوا بوجه عن تصحيح اعتقاد .

فأما الذين خاضوا في النظر في اصول الدين فقد دخلوا الدهليز والناس هناك مختلفو المراتب بلا شك . فأما من حصل له البرهان على كل ما تبرهن وتيقن من الأمور الإلهية وقارب اليقين فيما لا يمكن فيه إلا مقاربة اليقين فقد أصبح مع السلطان في داخل الدار .

واعلم يا بني أنك ما دمت تشتغل بالعلوم الرياضية وبصناعة المنطق فانك تكون من جملة من يدور حول الدار يطلب بابها فاذا فهمت الامور الطبيعية فقد دخلت الدار وأنت تمشي في دهاليزها ، فاذا اكملت الطبيعيات وفهمت الإلهيات فقد دخلت إلى السلطان وأصبحت معه في دار واحدة ، وهذه هي درجة العلماء وهم مختلفو الكمال . فأما من أمعن بفكره بعد كماله في الإلهيات ومال بجملته نحو الله عز وجل واضرب عما سواه ، وجعل افعال عقله كلها في اعتبارات الموجودات للاستدلال منها عليه ليعلم تدبيره لها على أي جهة يمكن أن يكون فأولئك هم الذين مثلوا في مجلس السلطان . وهذه هي درجة الأنبياء ... اما من فكر في الله وأكثر من ذكره بغير علم بل قلد فيه غيره فانه خارج الدار وبعيد عنها لا يذكر الله حقيقة ولا يفكر فيه لأن ذلك الأمر الذي في خياله والذي يذكره بفيه ليس مطابقاً لموجود أصلاً ... »

محمد كرد علي

تطريب العندليب

اختار السيد جبران النحاس نبذاً من نظمه جمعه في كتاب قال في مقدمته انه جعل هذا النبذ ذكرى عهد صباه وذكرى الذين غابوا عن عينه بمغيب ذلك العهد ، وسمى مختاراته : تطريب العندليب ، وأهداها الى مؤدبه الشيخ ابراهيم اليازجي رحمه الله .

ومن يدقق في مقدمة هذا « التطريب » يجد أثراً من بيان اليازجي لا يخفى على الذين عالجوا صناعة البيان ، وأكثر مختارات السيد جبران النحاس طائفة من قصص « لافونتين » التي عربها .

ومهما تكن منزلة الشاعر فليس من الهيّن عليه أن يعرّب قصص « لافونتين » وأن يفيض في تعريبه روح « لافونتين » وعبقريته ، لأن هذا الشاعر الفرنسي يكاد يكون منقطع النظير في فنه ، ولا سيما في تصوير الحيوانات ، فاذا نظرنا الى قطاطه ، وإلى أرانبه وإلى مواعزه أو الى غيرها من الحيوانات فانا نجد انه يصوّر ظواهر هذه الحيوانات تصويراً واضحاً محدّداً لا يجاريه فيه أحد ، وقد أعانته على البراعة في مذهبه لغته الخاصة ، فان له لغة منتخبة ، قوية اقتبسها عن العامة ، وعن المتقدمين من اصحاب القصص ، ثم ألف بين التعابير التي اقتبسها ، وصبها في قالبه الصافي ، ولئن لم يخترع موضوعاته اختراعاً فانه ألقى على مقتبساته ما جبله الله عليه من خصب في الطبع ، حتى ملئت بانفعالاته وبتجاريبه ، فعرفت قصصه بسهولة المبنى ، وبساطة التعبير ، ومن خصائص عبارته انه يبسطها اذا شاء ويقبضها اذا شاء ، على قدر الموضوع الذي يمارسه ، فتارة تنصب هذه العبارة فتسرع في انصبابها بحسب الشخص الذي تمثله ، وتارة تتمهل في مجراها طبقاً لمقتضى الحال .

فان شاعراً هذه عبقريته لا يهون على أي شاعر كان من أمة غير أمته أن ينقل آثاره ويبرع في هذا النقل ، لأن « لا فونتين » نسيج وحده ، ولا شك في أن السيد جبران النحاس يعرف هذا الأمر ويعرف ان تطريب عندليبه خال من خصائص لغة « لافونتين » وفنه ، على الرغم من بعد لغة هذا التطريب عن الركاكة .

شفيق جبري

تاريخ الرَّقة ومن نزلها للقشيري

ظاهرية مجموع ٣٤ (١)

اسم الكتاب والمؤلف . —

« تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والفقهاء والمحدثين جمع أبي علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحراني الحافظ » .[1] والقشيري هذا حراني الاصل نزل الرقة ، وهو محدث مكثر من الحديث ، ثقة أمين[2]، ثبت[3]، حافظ ، عرف بتاريخه عن الرقة فوصف بأنه صاحب تاريخها[4]. سمع الحديث قبل سنة ٢٨٠ التي توفي فيها شيخه هلال بن عمر ، ومات بعد سنة ٣٣٤ التي حدث فيها بكتابنا هذا[5] ، وهو رأي السمعاني[6] ويرى الذهبي ظناً انه توفي سنة ٣٣٤[7] وعنه اخذ ابن تغري بردي[8] وابن العماد فيما أظن[9] ويقول بذلك بروكلمن[10] .

موضوع الكتاب . —

تاريخ الرقة هذا معروف عند علماء الكتب والمحدثين فقد ذكره حجي خليفة[11] والسخاوي[12] والسمعاني[13] .وهو مجموعة تراجم لمن سكن الرقة او جاز بها من

---

(١) في و: ١/١ ويتلو ذلك : « رواية ابي احمد محمد بن عبدالله بن احمد بن القاسم بن جامع الدهان عنه ، رواية ابي عبد الله الحسين بن جعفر بن السلماسي عنه ، رواية ابي الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن احمد الصيرفي عنه ، رواية الامام الحافظ ابي طاهر احمد بن محمد بن احمد بن محمد السلفي عنه، بقراءة شيخنا الجليل مسند الوقت بدر الدين ابي القاسم عبد الرحيم بن يوسف بن هبة الله بن الطفيل الدمشقي .» وفي و : ١/١ : « في يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر من سنة احدى وثلاثين وستمائة

(٢) الانساب للسمعاني ٢٥٧ (٣) شذرات الذهب لابن العماد ٣٣٧/٢ (٤) طبقات الحافظ للذهبي ٦١/٣ وقال ابن العماد : هو مؤرخ الرقة (٥) كما ذكر في و : ١/١

(٦) الانساب ، ٢٥٧ (٧) طبقات الحفاظ ٦٢/٣ (٨) النجوم الزاهرة ٢٩٠/٣

(٩) شذرات الذهب ٣٣٧/٢ (١٠) GALS ٢١٠/١ (١١) كشف الظنون ٢٢٦/١ (١٢) الاعلان بالتوبيخ ، ١٣٦ (١٣) الانساب ٢٥٧ و ٢٥٧ .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والمحدثين والفقهاء . والرقة مدينة في الجزيرة اشتهرت بأنها سوق تجارية ومصيف لبعض خلفاء بني العباس وقد كانت الرقة في عصر المؤلف تضم بلدتين مختلفتين وهما الرقة والرافقة [١] اتصل بناؤهما في عصر الرشيد وكونتا بلدة واحدة سميت بالرقة وقد يقال الرقتان اشارة الى وجود بلدتين فالكتاب تاريخ للرقتين كما يقول السمعاني [٢] : الرقة الأصلية والرافقة . وهو من اول ما ألف في تاريخ البلدان الاسلامية ، فقد حدث به المؤلف سنة ٣٣٤ [٣] وهو لذلك عظيم الفائدة يظهر لنا كيف أن التاريخ الاسلامي خرج من الحديث فان كثيراً من التراجم التي وردت فيه جاءت بمناسبة حديث ذُكر اسم المترجَم في درج سنده حتى إن قصة عن ابي أيوب ميمون بن مهران (٤٠ — ١١٧) الذي ترجم له المؤلف مطولاً [٤] وردت في ترجمة أبنه عمرو [٥] ، لأن هذا هو الذي رواها ولم تذكر في ترجمة صاحبها كما تقتضيه جودة التأليف .

أما ترتيب الكتاب فهو على الطبقات ويكاد يكون على الوفيات لولا شذوذ بسيط وعناية من المؤلف بايراد الاقارب حيناً بسلسلة متقاربة الحلقات . وأهم مصادر المؤلف واكثرها منقول عن ابي عمر هلال بن عمر بن هلال بن ابي عطية (١٨٤ — ٢٨٠) شيخ المؤلف وكثيراً ما يقول القشيري سألت ابا عمر عن فلان فأجاب بكذا . وهو يعني عناية خاصة بذكر القبيلة التي تولى المترجم ان كان مولى

نصوص من الكتاب . —

و : ١/ ١ ^٢^ وبه يبتدئ : حدثنا ابو داود سليمان بن سيف الحراني ، حدثنا الحسن بن محمد بن أعين ، حدثنا سليمان بن عطا عن ابيه عمن شهد عياض بن غَنْم حين بعثه ابو عبيدة بن الجراح (ر ه) الى الرُها فوقف على بابها الشرقي على

(١) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٧٣٤ ، ٢ : ٧٩٩ ، ٢ : ٨٠٤ . ولم يبق في عصر ياقوت إلا الرافقة مدينة واسماً . وهذا ما يعلل لنا وجود ورقة الصقت على الصفحة الاولى من كتابنا وكتب عليها : « الرقة هي الرافقة » (٢) الانساب ٢٥٧ ^١^ (٣) كما في و : ١/ ١ ^٢^ (٤) و : ٥ ^١^ — ٩ ^٢^

(٥) و : ١/ ١٣ .

فرس له محذوف احمر ، وقد أجفل اهل الجزيرة الى الرها ، فدعاهم الى الاسلام فأبوا ، فدعاهم الى ان يقروا بالصغار [١] ، فأقروا على ان يشترطوا ، فاشترطوا : قالوا فانا نشترط كنايسنا وصليبنا وما لجأ الى كنايسنا من طير وسور مدينتنا ، وما كان لكنايسنا من غلة علي ان نؤدي خراجها ، فقال عياض : فانا نشترط عليكم ، قالوا : فاشترط ، قال : فاني اشترط عليكم ... [ألا تبنوا] [٢] كنيسة الا مافي أيديكم ، وألا يرفع صليب ، ولا يضرب بناقوس الا في جوف كنيسة ، وعلى ان نشاطركم منازلكم ينزلها المسلمون ، وعلى ان لا يعتبر خنزير بين اظهر المسلمين ، وعلى أن تقروا ضيفهم يوماً وليلة ، وعلى ان تحملوا راجلهم من رستاق الى رستاق ، وعلى ان تناصحوهم ولا تغشوهم ولا تمالئوا عليهم عدواً ، فان وفيتم لنا وفينا لكم ومنعناكم مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا ، وان انتهكتم شيئاً من ذلك استحللنا سفك دمائكم وسبي ابنائكم ونسائكم وأموالكم ، قالوا . فاشهد ، قال : فكتب اشهد الله وكفى بالله شهيداً ، فدخل اهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرها [٣]

و : ١/٨ [١] : حدثنا محمد بن علي المزني ، حدثنا ابو يوسف ، حدثنا عثمان عن ابي المهاجر عن اسحق بن راشد عن ميمون بن مهران قال : لم يكن يلبس الاقبية فيمن مضى من السلف الا فساقهم

و : ٢/٢ [٢] حدثنا جعفر بن محمد بن حجاج القطان قال سمعت عبيد بن زناد يقول سمعت عطا بن مسلم الخفاف يقول قدمت الرقة ، فجلست في سوق الاحد ، فذكرت فضايل

(١) الصغار [من اصغره اي جعله صاغراً]اعطاء الجزية عن يد،وهم صاغرون (٢) لم تظهر الكلمة الاصلية فعوضناها بمعناها (٣) ورد في فتوح البلدان للبلاذري [طبعة دي غويه ص١٧٣ و ١٧٤]صورتان مختلفتان عن الكتاب الذي أعطاه عياض بن غنم لاهل الرها فاذا هما مقتضبتان ولا تخرجان في شيء عما ورد في هذا الخبر ووردت صورة أخرى في كتابنا وأولها : عن العلاء بن أبي عايشة قال: كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز على الرها فجاء في كتابه انه بلغني ان عند أهل الرها صلح الجزيرة فابحث حتى انظر فيه ، قال فبحثنا الى استقوم حتى أتاني به في درج [.] فقرأته فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لاهل الرها واهل الجزيرة من عياض بن غنم عامل عمر بن الخطاب (ر .) قد اتاها حتى وقف على بابها الخ كما ورد في سياق ما نقلناه هنا مع اختلاف بسيط في ترتيب الجمل والتعبير ، وما نقلناه اكثر تفصيلا .

علي رضي الله عنه ثم غدوت على جعفر بن برقان فقال : يا عطا ، بلغني انك جلست مجلساً ذكرت رجلاً من اصحاب محمد عليه السلام بفضيلة لم تشرك معه غيره ، فقلت : يرحمك الله ، ان اخاك سفيان بن سعيد الثوري قال : اذا قدمت الى الرقة ، فاجلس في سوق الاحد ، واذكر فضايل علي ، فان الاباضية بها كثير ، فقال جعفر : يا عطا اذا جلست مجلساً فذكرت رجلاً من أصحاب محمد ﷺ بفضيلة فأشرك معه غيره ، قال عبيد : وكانت سوق الاحد في غير هذا الموضع كانت عندنا بالرقة

و: ٢/٥[1] حدثنا هلال بن العلاء، حدثنا عمرو بن عثمان الكلابي، حدثنا صالح الحوري، جد الحوريين — قال هلال هم من قرية بيننا [...] يقال لها حورة — قال كنت في المسجد الى جنب ابي المهاجر الكلابي (— ١٦١) فقرئ علينا كتاب لبعض الخلفاء على المنبر يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر [...] فلما فرغ من قراءة الكتاب ضرب فخذي وقال : يا عبدُ — وكانت كلمة ندائه [..] مثلنا ومثل صاحب هذا الكتاب مثل ذئب خرج [.] بالليل فوقف على باب ، فاذا صبي في الدار يبكي ، وامه تقول له : اسكت ، والا القيتك للذئب ، والصبي يتمادى في البكاء ، والذئب ينتظر حتى فضحه الصبح ، فولى مدبراً فلقيه ذئب آخر ، فقال : اين تريد ، فقال : إلى أهل الرقة ، فقال لا تأتهم ، فانهم اكذب قوم على وجه الارض .

و: ١٣/٣[2] سعد بن يحيى بن يزيد بن عبد الحميد بن يحيى بن سعد، وكان عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر بني أمية — وهو صاحب الرسائل المنسوبة اليه — فأخبرني ابو يعلى عابد الله بن احمد بن علي بن عمر بن عبد الحميد انهم من سبي القادسية ، يتولون عامر بن لؤي(١) ولد سعد سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومات سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

فصول الكتاب :

١/١[3] — ٢[4] شروط الصلح على الرها ١/٢[5] من نزل الرقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/٤[6] ومن التابعين ١/١٠[7] بعد طبقة التابعين ١/١٣[8] وهو آخر الجزء.

(١) ذكر ابن خلكان [١ : ٣٠٢] ان عبد الحميد مولى بني عامر بن لؤي ولكنه لم يذكر ان أصله من سبي القادسية.

الاول : بلغني انه يحشر من ظهرها سبعون الفاً يدخلون الجنة بلا حساب فأحب ان اموت بها فمات ودفناه بها ١/٢ب وهو أول الجزء الثاني : اخبرنا الشيخ الجليل بدر الدين الخ ... قال : عبيدالله ابن الاصم ٩/٢ب آخر الجزء الثاني من كتاب تاريخ الرقة ١/٣ب وهو اول الجزء الثالث : اخبركم الشيخ الامام الاوحد الخ ... قال : فرات بن السايب ١/٣ب ومن الشيوخ الذين ليس لهم شهرة ١٤/٣ب : آخر كتاب تاريخ شيوخ الرقة .

وصف النسخة :

النسخة في حال سيئة لغياب كتابتها في محلات عديدة في الجزء الأول والثاني ولأن الورق كشط في محلات أخرى من هذين الجزئين ، عدد أوراقها بالتتابع للأجزاء الثلاثة ١٣+٩+١٤= ٣٦ ورقة خلا الاوراق البيض الملحقة بالكتاب والتي لم ترقم في الاصل ، ابعادها ١٧٫٥×١٣ سم مع هامش قدره ٢٫٥ سم . عدد أسطرها حوالى ١٩ سطراً في كل صفحة ، حبرها ناصل وقد غاب في محلات عديدة كما قلنا ، وقد استعمل في بعض السماعات حبر آخر جيد ظهر واضحاً . وأعيد في بعض الاماكن التي غاب الحبر فيها معالم الكتابة الاولى بخط حديث ، وفي الاعادة اغلاط كثيرة وترك قسم بلا اعادة . الخط مقروء في المحلات التي ظهر فيها الحبر وصعب فهمه في المحلات الاخرى . وهو متوسط الحرف . وقد أشير بخط أحمر الى ابتداء التراجم ، وأخطأ المؤشر حيناً ولم يشر الى ابتداء فصول الكتاب ، يبتدئ كل خبر بكلمة حدثنا مد فيها حرف الحاء ، وانتهى كل خبر باشارة فاصلة .

تاريخ النسخة :

كتب النسخة لنفسه محمد بن داود بن ايوب الصارمي بالقاهرة (١) قبل او في سنة ٦٣٠ (٢) نقلها من نسخة عليها سماع على الحافظ السلفي سنة ٥٧٣ (٣) . وعلى نسختنا سماع على بدر الدين عبد الرحمن بن يوسف بن الطفيل الدمشقي سنة ٦٣١ (٤) وآخر

(١) و : ١ : ١٣أ و٣: ١أ (٢) كما يدل على ذلك سماع حضره [و:١ : ١٣ب ، و: ٢ : ١أ] (٣) و:١: ١٣أ ، و:٢ : ٩ب ، و:٣ : ١٤ب (٤) و:١ : ١٣ب ، و:٢ : ١أ

على عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع سنة ٦٩٠ (١) وثالث على يحيى بن محمد ابن سعد الدين عبد الله المقدمي سنة ٧١٩ (٢) وقد وقفت هذه النسخة بالعمرية (٣) ومنها انتقلت الى الظاهرية ، وذكرها بروكلن (٤) عن الزيات ولم يذكر غيرها .

يوسف العش

ضريبة الدخل في سورية

رسالة قدمها الاستاذ فريد الخاني لاحراز الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريز سنة ١٩٣٩ وتقع في ٢٣٤ صفحة

ورثت سورية الحديثة عن الدولة العثمانية في جملة ما ورثته من نظمها وقوانينها ، نظامها المالي فأخذت به كما هو على الرغم من تبدل الزمان وتغير مظان الأرباح ومطارح الوزائع ومنابع الثروة . وكانت اذا ألحت عليها الحاجة الى المال فاهابت بها الى وضع تشريع جديد تبني على الأساس القديم مبتغية كثرة الجباية وحدها دون نظر الى اثر الضريبة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

وضريبة التمتع التي لا تزال سورية تفرضها على أصحاب المهن الحرة لتطول ارباحهم جزء من هذا النظام وهي نظير ضريبة الباتنتا التي أخذت بها فرنسا أيام ثورتها واذ لم تعد تأتلف مع حاجات العصر طالب الرأي العام في سورية بالغائها وابدالها بضريبة تدعي بضريبة الدخل ، وكانت رسالة الأستاذ الخاني صدى لهذه الرغائب وصورة لهذه الأفكار ، فأحسن في اختيار موضوعه إحسانه في بسطه وتفصيله .

بحث المؤلف في المقدمة في النظريات العامة الحديثة للضرائب ومطرحها وانعكاسها والعدالة فيها ثم عرض نظام الضرائب في سورية عرضاً عاماً ناقداً وانصرف بعدئذ الى بحث ضريبة الدخل في تاريخنا التشريعي . فبدأ بدراسة نظام الضرائب في الشرع الاسلامي ووقف طويلاً أمام الزكاة يتساءل عما إذا كانت ضريبة على الربح أم على رأس المال ويجنح الى أنها ضريبة على الدخل وهو رأي كان جنح اليه الدكتور

(١) و:١:١٣ ب (٢) و:١ - ١٣ ب و:٢-١٠ ب (٣) و:١:١ أ (٤) GALS ١:٢١٠ وقال ان Horovitz وصفها في MSOS ، ١٠ :٣٢

محسن البرازي في رسالته عن (الاسلام والاشتراكية) - وأيد المؤلف قوله هذا بأن هذه الضريبة وهي ربع عشر المال في بعض الأحيان وأقل من ذلك في أحوال أخرى تعادل عشرة في المائة من الدخل وهي نسبة ضئيلة لا يمكن ان تدعى ضريبة على رأس المال لا سيما والأستاذ اليكس لا يرى ضابطاً للتفريق ما بين ضريبتي الدخل ورأس المال سوى مقدار النسبة المفروضة فان كانت كبيرة تقتطع جزءاً من رأس المال فهي ضريبة عليه والا فهي ضريبة على الدخل · والشارع الاسلامي انما فرضها على رأس المال في كثير من الأحوال لأنه كان أسهل معرفةً وتحققاً من الدخل وكان يستهدف الدخل وحده ·

ثم بحث في ضريبة التمتع ايام الدولة العثمانية وراقب تطورها حتى انحلت هذه الامبراطورية وخلفتها تركيا ومصر والعراق ولبنان وسورية وفلسطين وشرق الأردن فيدرس ضريبة الدخل التي قامت مقامها في أكثر هذه البلاد ، وأخيراً يتصدى لبحث ضريبة التمتع في سورية وما تعاورها من تغيير وتبديل ويذكر نقائصها ومواضع النقد فيها · والواقع ان هذه الضريبة لم تعد تتفق وقصد العدالة والمساواة بين المكلفين لذلك عمت الشكوى منها فقررت الحكومة السورية في سنة ١٩٢٨ تأليف لجنة فنية لدراسة نظام الضرائب في سوريا ولا سيا ضريبة التمتع واصلاحها أوابدالها بسواها ونتج عن دراسات اللجنة ان تقدمت الحكومة الى المجلس النيابي بمشروع قانون في ١٣ دسمبر ١٩٣٨ ! يقضي بابطال ضريبة التمتع والاستعاضة عنها بضريبة اسميت « ضريبة الدخل » وقد درس المؤلف هذا المشروع وأبان نقائصه وأخذ عليه أنه لم يتبع كل النظريات الحديثة التي اتبعتها البلاد الغربية في هذا السبيل ·

ثم يختم رسالته مطالباً بإصلاح مالي عام ينتظم نواحي الحياة المالية كلها ويعول في فرض الضريبة على المكلف بحسب طاقته مع مراعاة المساواة بين المكلفين ويرى ان « الترقيع » في الإصلاح مليءٌ بالمخاطر لأنه يؤدي الى اخضاع الناس لنظم متناقضة متناكرة بعضها جديد وبعضها عتيق استبدادي · والرسالة تتضمن كثيراً من النصوص القانونية وتنبيءُ عن جهد واضعها وسعيه للاتقان وهي باكورة تبشر بأطيب الثمار ·

احمد السمان

ملوك الطوائف

ونظرات في تاريخ الإسلام

للعلامة دوزي مترجمة بقلم الاستاذ كامل كيلاني

كتاب بالقطع المتوسط يحتوي على ٤٤٦ ص ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣ م — ١٣٥١ ه
بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، بورق وطبع جيدين

يقول الأستاذ كامل كيلاني في تصدير هذا الكتاب : هذه فصول مترجمة من كتاب العلامة المستشرق « د و ز ي » وقد آثرنا نقلها الى العربية لتبيان وجهة تفكير عالم اوروبي كبير ، وهي — وان خالفت آراءنا أحيانا في بعض مناحيها — جديرة أن تقرأ بعناية فائقة ، فليس كل مالا نرضاه من الآراء خليقاً بالطرح والاهمال .

واذا كان العلامة « فخر الدين الرازي » يقول في مقدمته لشرح « الاشارات » لابن سينا : « ان التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد » فما اجدرنا ان نقول بدورنا : « الترجمة ايضاً غير النقد » .

لهذا اقتصرت على نقل آراء ذلك المستشرق بلا مناقشة او تعليق الا ما يقتضيه المقام من توضيح لما اعتقد ان اكثر القراء في حاجة اليه . هذا كلام الأستاذ المترجم في تصدير ترجمته .

والكتاب يحوي على نوعين من الأبحاث : (١) تاريخ ملوك الطوائف التي قامت في بلاد الأندلس ، (٢) نظرات في تاريخ الإسلام

تاريخ ملوك الطوائف في الأندلس

الكلام على هذا النوع من ص (٦ — ٣٢٤) وقد ابتدأ المؤلف كلامه بانهيار الخلافة الاموية في الاندلس وانقسامها الى عدة دويلات حكمها بعض القواد الطامحين وان قائدة ذلك كانت محصورة بملوك الافرنج وحدهم فاستطاعوا ان يزيلوا من الوجود هذه الدويلات الواحدة تلو الأخرى ويستولوا عليها كلها .

والكتاب يحتوي على اثنى عشر فصلا ، كل فصل يحوي بحوثا مختلفة يتكلم فيها باسلوب رشيق عن بعض ملوك الطوائف وعواصمهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية

والأدبية ، وهذه نماذج لبعض الأبحاث التي في الفصل الأول : نشأة ملوك الطوائف نتائج الغاء الخلافة ، اسبانيا بعد عبد الرحمن الثالث ، تكوين حكومتين شوريتين ، وصف كاهن قرطبة لانصراف ابناء دينه الى العرب ، قرطبة تمكن الثقافة الاسلامية من نفوس المسيحيين الاسبان ، ميزات الشعر العربي في أوربا ، تولية ابن جهور على قرطبة الخ .

وينتهي الكتاب بالفصل الثاني عشر الذي يبحث فيه في طمع الاذفونش في الجزيرة ، واستنجاد المعتمد بن عباد بملك المرابطين يوسف بن تاشفين ثم انتصار جيش الاندلسيين والمرابطين على جيش الاذفونش وانهزامه ويذكر بعد ذلك جداول منسقة تحتوي اسماء ملوك الطوائف واسماء عواصمهم وبه ينتهي البحث عن الاندلس وهذه الفصول جميعها جيدة غير أنه ينقصها التنسيق والترتيب .

نظرات في تاريخ الإسلام

وهو فصل في (٩٤ ص) ختم به الكتاب . تكلم فيه عن دين لاسلام وقواعده وأسباب انتشاره وتطوراته افتتحه بالكلام على ديانة العرب في الجاهلية واعتقادهم بالجن ، وعلى مكة ، والكعبة والحجر الاسود . وتكلم عن اليهودية والنصرانية ، والديانات الفارسية ، وصلتها جميعاً بالاسلام ، وصلة الاسلام بها . واحتكاك الاسلام بأمم وشعوب وديانات واحتكاكها به حتى صار له ظاهرة قوية عمل على ايجادها جميع هذه المؤثرات . وتدريج الدين الاسلامي ، وبيان تطوراته هو من مبتكرات العلماء الغربيين ، ولا شك بأنه علم حديث العهد لم يصل بعد الى درجة النضج ، ولذلك فان بعضاً من ابحاثه ونظراته تحتاج الى اعادة درس واعمال فكر ، خصوصاً وان كثيراً من المصادر الاسلامية لم يكتب لها التنسيق والنشر ، ولعل هذا هو السبب في التواء قلم الاستاذ « دوزي » في بعض الابحاث مثل قوله ص ٣٩٠ : « ولم يكن عهد الامويين الا عهداً تمثل فيه الرجعية والانتصار للوثنية ، وكان خلفاء بني أمية أنفسهم — الا القليل النادر منهم — لا يعنون بنصرة هذا الدين ولا يخلصون له الخ » . وكذلك ما نسبه الى عمر بن الخطاب ص ٤٠١ : بأن سن للنصارى قانوناً

يحوي اذلالهم ومهانتهم ، ولم يسمح لهم بانشاء الكنائس والمعابد ، الخ مانسبه اليه فبعضه باطل لا يصح ، وبعضه لم يفهم المراد مما قصده عمر ، ولعلي اعود الى إيضاح وبيان ذلك في العدد المقبل .

محمد أحمد دهمان

الشريف الرضي

تأليف الاستاذ الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء

طبعته مطبعة المعارف ببغداد ونشرته دار النشر والتأليف في النجف ١٣٦٠ — ١٩٤١

كتاب في مائتي صفحة ، تناول فيه مؤلفه حياة الشريف الرضي بالدرس . فذكر ميلاده ونشأته ودراسته ، وأسهب في تبيان مغرسه ورهطه وعشيرته ، وعدد وظائفه في الدولة : كتوليه شؤون النقابة وردّ المظالم ، وإمارة الحج ، والنظر في أمور الطالبيين .. وغيرها . وجلى عن عقيدته : كالتلهف على ذكرى الأئمة الاثنى عشر ، ورواية كرامات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وتهشيم عظام الأمويين ، والصاق الذم بهم ، والطعن على العباسيين .

وسرد من صفاته : الإباء ، والأنفة ، والغيرة ، والعفاف ، والحفاظ ، والطموح وترفعه عن المآثم ، وابتعاده عن الخلاعة ، ورفضه الصلات .

وذكر انه كان عالمًا أديبًا شاعرًا . يعرف الفقه الإسلامي .. ثم سرد مؤلفاته ، وأبان عن صلاته بالأدباء والملوك والوزراء ، وساق لمحًا عن شعره وشعوره .

وخطة المؤلف في جمع أخبار الشريف على هذا الوجه ، مصيبة ، فله منا التهاني . غير أن هناك ملاحظات لا بدّ منها وها كها :

١ : في الكتاب اضطراب وعدم ترتيب . مثال ذلك انه يضع ابواب شعره في باب صلاته بالأدباء . ويترجم لأمه في باب نيابتها الخلافة في دار السلام ... وغير ذلك ...

٢ الايجاز في الأمور ذات الشأن والإطناب في غيرها . فقد ذكر المؤلف الفاضل لمحًا موجزات عن شعره . واعتذر بأن شعره يتطلب دراسة واسعة . ولقد وددنا لو ضم الأستاذ الى تلك الأخبار الجياد التي جمعها دراسة عن شعر الشريف ،

لخلل وجدانياته ومجازياته ووصفه وحكمته ، ومديحه ورثاءه ، ونجواه وشكواه ، واحاديث الليالي التي قضاها مع الأحبة ، وحقيقتها ، وأبرز ما في ذلك كله من جمال وفن وعبقرية ٠ وأعتقد أنه حان لنا ، أن ننبذ الطريقة القديمة في دراساتنا ٠ فهم يهملون آثاره واتجاهه ويعنون بأشياء أقل شأناً ٠ وأغلب الظن أن الشريف الرضي لم يخلده — في الأدب — نسبه ولا آباؤه ٠٠ وإنما أخلده شعره وعظمته فيه وسموه ٠

٣ً : في الكتاب بعض غمزات كان ينبغي للمؤلف تجنبها ، لكي يزيل الأوهام التي يتمسك بها الشيعة وأهل السنة ٠ وعهدنا بآل كاشف الغطاء الاكارم يسعون لإزالة النفور بين الفريقين ٠ مثال ذلك عجبه من الشريف ، لأنه لم يذكر الشيخين بسوء ٠٠٠ ! ثم يتساءل : « فهل كان الشريف يرى ان الخلافة أمر والإمامة شأن ٠ وأنه قد يقوم بأعبائها شخصان ٠ فهذا إمام للناس من الله (كذا) ٠ وذلك خليفة من الناس لرسول الله ٠٠ » ! اهـ

٤ً : قال الأستاذ (١٣٧) : « ان الشريف كان يترفع عن مغازلة الغواني » ٠٠٠ وهذا قول غريب ، فشعره مترع بمغازلة الغواني حتى لتحسب في احايين كثيرة انك بين يدي عمر بن أبي ربيعة ، ومقطوعاته في هذا الضرب ، من اجود شعره ٠ فلتلتمس في الديوان ٠

٥ً : في الكتاب هنات لغوية منثورة في تضاعيفه ٠ منها :

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
١	اليك كلمة	هاك كلمة	٢٠	نفس ٠٠ تتلمض	والصواب تتلمظ
٣	رضخ للمبدأ	اذعن ٠ لأن رضخ معناها اعطى وكسر	٢٢	أثرت على	أثرت في
			٢٣	بتكظم غيظه	يكظم غيظه
٧	الثورويه	الثورية	٢٤	يكافه بأمثال ذلك	يكافه امثال ذلك
٣	سورة الحماس	سورة الحماسة	٣٥	تجد الشريف يتشمخ	يتشامخ او يشمخ
٤	المظلومية	الظلم			
١٧	يحرق لم الأرم	(ليست بمكانها وليس هذا استعمالها)	١١٢	عرف الفقه الجعفري لصلاته الالوهيه	الإلهية

وغير ذلك ٠٠٠

وانا لنشكر للاستاذ جهده ، ونرجو ان يُعنى بدراسة شعر الشريف . فيتم العمل الذي بدأ به .

دمشق : صلاح الدين المنجد

صحة الفم والأسنان

وعلاقة الامراض العامة بها

للدكتور مصباح اديب المالح جراح وطبيب اسنان

وضع زميلنا الفاضل الدكتور مصباح اديب المالح كتابه هذا الذي قد يُعد الأول في اللغة العربية في موضوعه في زمن اشتدت فيه حاجة الناس الى معرفة الوسائل الصحية الواجب اتباعها للمحافظة على صحة الفم والأسنان ووقايتها من الأدواء والامراض ذات الآلام المبرحة والعواقب الوخيمة التي اخذت تتفشى فيها في السنين الاخيرة عند جميع الناس ولا سيما عند حديثي السن وعند الشبان والشابات تفشياً لم يعهد له مثيل في الأجيال السابقة .

لقد نهج المؤلف في كتابه هذا منهجاً طريفاً جمع الى غزارة المادة العلمية سهولة العبارة وفصاحتها وحسن الاسلوب والتبويب فبدأه بكلمة موجزة في تشريح الفم والاسنان ثم بحث في امراض الاسنان الاكثر انتشاراً كالنخر والتقيح السنخي اللثوي ثم بحث في امراض الفم وعلاقة الامراض العامة بها ثم انتقل الى ذكر الوسائل التي يجب على الفرد ان يتبعها لحفظ صحة فمه في سن الطفولة وفي شبابه وكهولته وفي اصابته بالامراض العامة المختلفة وقد اختتم الكتاب بكلمة موجزة عن الطرق المستحسن اتباعها لحفظ صحة الفم عند الجماعات وقد جاء الكتاب في مئة وعشر صحائف .

فنحن نشكر للزميل جهوده التي بذلها في وضع هذا الكتاب القيم الذي قدمه الى ابناء امته الذين سيتقبلونه بالشكر والثناء .

الدكتور

دمشق : شفيق شحادة

آراء وأنباء

نظائر أخر لتكملة الجواليقي

حينما نشر الاستاذ عز الدين التنوخي كتاب « تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة » لأبي منصور الجواليقي ، قال في المقدمة ، إن لهذا الكتاب نظائر ، وقف على خمس منها وأورد أسماءها [1] .

ثم تلاه الأستاذ صلاح الدين المنجد فكتب نبذة في هذه المجلة [2] ، ذكر فيها أسماء ستة كتب أخرى في هذا الباب .

فكان ما توصل اليه الكاتبان في موضوع ما يلحن فيه العامة ، أحد عشر كتاباً خلا التكملة .

وقد عثرت أثناء مطالعاتي ، على أسماء كتب أخرى من هذا القبيل ، أذكرها فيما يلي ، لتضاف إلى ماوقف عليه الفاضلان :

١ — البهاء فيما يلحن فيه العامة [3] ليحيى بن زياد الفرّاء النحوي ، المتوفى سنة ٢٠٧ للهجرة .

٢ — ما يلحن فيه العامة [4] لأبي العباس أحمد بن يحيى النحوي المعروف بثعلب ، المتوفى سنة ٢٩١ هـ .

٣ — ما يلحن فيه عوام الاندلس [5] : لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي النحوي . مات سنة ٣٧٩ ، وقيل ٣٨٠ ، وقيل ٣٩٩ للهجرة .

---

(١) التكملة [ص ٣] .　　(٢) مجلة المجمع ١٦ [١٩٦١] ص ٢٨٧ — ٢٨٨) .

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٤٠:٢ طبعة بولاق الأولى) . وبغيـة الوعاة للسيوطي ص [٤١١] . وكشف الظنون للحاج خليفة [٣٥٧:٥] طبعة فلوجل في لندن ، أو ٢ : ٣٧٠ طبع استانبول) .

(٤) وفيات الاعيان [٤٣:١] . وكشف الظنون [٣٥٧:٥ أو ٣٧٠:٢] .

(٥) بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس للضبي [ص ٥٦ ، الرقم ٨٠] . ومعجم الأدباء لياقوت [١٩:٦ ، طبعة مرجليوث] . وبغية الوعاة [ص ٣٦] . وكشف الظنون [٣٥٧:٥ أو ٣٧٠:٢] .

٤ — ما تلحن فيه العامة [١] : لأبي الخير سلامة بن غيّاض بن أحمد الكفرطابي [٢] النحوي . مات سنة ٥٣٣ هـ .

٥ — ما يلحن فيه العامة [٣] : لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

(بغداد) كوركيس عواد

المغرب في ترتيب المعرب

وقفت ، لدى الاستاذ الرصافي ، على اجزاء المجلد السادس عشر من « مجلة المجمع العلمي العربي » فقرأت في الجزء الثاني [٥٨ — ٦٥] كلمة للأستاذ عيسى اسكندر المعلوف عن كتاب « المغرب في ترتيب المعرب » يفهم منها أنه لم يقف من هذا الكتاب إلاّ على هذه النسخة الخطية التي نسخها حسام النجاري سنة ٩٩٧ هـ وهي التي وصفها في مقاله ونقل نخبة صالحة منها . وبعد ان فرغ من وصفها ذكر شبيهاً لهذا المؤلف وهو كتاب « المعرّب » للشيخ الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ثم قال : « ونحن بحاجة الى الوقوف على مثل هذه المؤلفات النفيسة في اللغة والمعربات والمصطلحات . »

بعد أن قرأت كلمة الأستاذ المعلوف تصفحت أجزاء المجلد كلها فلم أر من تحدث عن هذين الكتابين الجليلين اللذين يرى الكاتب أن المشتغلين باللغة في مسيس الحاجة اليهما . فرأيت ، وقد وقفت على كتاب « المغرب » أن أقول كلمة فيه .

إن هذا الكتاب مطبوع . وبين يديّ ، وأنا أكتب هذه الكلمة ، نسخة منه . وقد طبع بمدينة حيدر آباد الدكن بالهند ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية سنة ١٣٢٨ هـ

(١) معجم الادباء [٤ : ٢٦٦] . وبغية الوعاة [ص ٢٥٩] . (٢) ما في بغية الوعاة الكفرطاني ، وهو تحريف . والكفرطابي نسبة الى كفرطاب ، بلدة بين المعرّة وحلب . (٣) كشف الظنون [٥ : ٣٥٧ أو ٢ : ٣٧٠]

وهو جزءان يحتوي الأول على (٣١٢) صفحة ، وينتهي بحرف « الصـاد مع الياء التحتانية » ويتألف الثاني من (٣٢٤) صفحة ويبدأ بـ « باب الضاد المعجمة » وذيل المغرب (وهو رسالة في النحو) يشغل من جزئه الثاني الصفحات من (٢٨٥) إلى (٣٢١) والصفحات الثلاث الباقية تتضمن فهرس مضامين الذيل .

وبعد هذا الفهرس ست عشرة صفحة منها أربع عشرة صفحة لترجمة المؤلف ، وفي الخامسة عشرة فهرس الجزأين من « المغرب » وفي السادسة عشرة قائمة بمطبوعات دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن .

يبدأ المؤلف فاتحة الكتـاب (في الصفحة الثانية من الجزء الأول) بعد البسملة بقوله :

« وأحمده على أن خوّل جزيل الطول . وسدّد للإصابة في الفعل والقول . . . »

وعلى قوله « وأحمده » قال المصحح في أسفل الصفحة « كذا في النسخ الأربع الموجود بالواو فلعلّ المصنف عطف الحمد على متعلق البسملة والله أعلم »

أما البحث في (الزنديق) الذي وجده الاستاذ المعلوف في صدر الكتاب قبل المقدمة ونقله في مقاله فلا أثر له في الكتاب المطبوع ولا إشارة إليه .

وبين تأريخي ولادة المؤلف ووفاته اللذين ذكرهما الاستاذ المعلوف وبين التأريخين اللذين في الصفحة الأولى من الكتاب اختلاف . ففي المقال أنه ولد سنة ٥٣٦ وتوفي سنة ٦١٠ هجرية وفي الكتاب المطبوع « ولد سنة ٥٣٨ وتوفي سنة ٦١٦ قاله ابن خلكان »

وقد رأيت اختلافاً بين النخبة التي انتخبها الكاتب منه وبين ماجاء في الكتاب المطبوع

أما الرسالة التي جعلها المؤلف ذيلاً لكتابه فانه بعد البسملة والعنوان (رسالة في النحو) بدأها بقوله :

« ذيلت بها كتابي هذا مضمناً إياها ما تشتت في اصل المعرب من الأدوات وشيء من مسائل الاعراب وجعلتها اربعة ابواب مفصلة . . . »

بغداد : مصطفى علي

تهافت (حول « الإجابة » أيضاً)

كنت شكرت في هذه المجلة (م ١٦ ص ٣٣٥) العلامة كرنكو على ملاحظات بعث إلي بها من (كمبردج) على كتاب الاجابة لأنها دلت على اطلاع واخلاص معاً ، وأخذت على فاضل كتب عن (الاجابة) مجلته في اشياء ومنعه الجائز والأولى في أخرى . وليس ذنبي ان كان المصيب فرنجياً واغخطيء من مدرسي الدين ، فان الحديث الشريف يتطلب ألا تأخذ المشتغل فيه لومة لائم وان يكون من الصادقين يعطي كلاً حقه . فساء هذا أناساً كتب احدهم كلمة في بعضها التهافت وفي بعضها الصواب ، وقد دل في الحالين على انه يتعاطى مالا يحسن ، وقد وجب بيان ذلك لأنه لا يخلو من فائدة للمبتدئين ، ولئلا يفسد أحد نسخته من كتاب (الاجابة) :

أ — فأما التهافت فاليك بيان بعضه :

١ — ذكرت في ص ١٥ س ٥ من كتاب (الاجابة) في مؤلفات الزركشي ما يلي : المختصر (في الحديث) ... قال الزركشي في مختصره .. الخ فجاء يلاحظ قائلاً : (هو في مصطلح الحديث) اهـ والأمانة والاحتياط الدقيق يمنعان ذلك : لأنه ليس في اليد إلا النص المتقدم الذي ذكرته في كتابي وليس فيه نص على أن الكتاب في مصطلح الحديث ، ولذلك جعلت كلمة (الحديث) بين قوسين ولم اجعلها (مصطلح الحديث) لاحتمال ان يكون الكتاب في الحديث وشرحه فقط والشراح يتعرضون لما يعرض للحديث من شذوذ وقلب . و (مصطلح الحديث) داخل في مفهوم (الحديث) ولا عكس واشكل المشكلات توضيح الواضحات . وقد أسقط الملاحظ القوسين من كلامنا (مجلة المجمع م ١٦ ص ٥٢٦ س ٥) وهو عمل لا يتفق والامانة في شيء مع الاسف .

٢ — قال : ص ١٨ س ٨ : « أما » هي « نا » اهـ وهذا من سقم القراءة : فما قرأه (أما) انما هو (أنا) بحرف واضح جداً وقد تعبت حتى استطاع عامل المطبعة أن يضع نوناً لا نقطة لها مراعاة للاصل . واما التحريف المتعمد ففي زعمه أنها في الاصل (نا) وليس ذلك صحيحاً وانما هي (انا) بينة ما بها خفاء وهي مختزلة من اخبرنا .

٣ — في كتابنا ص ٧١ س ١٥ : « إنها حبيبة رسول الله » وقد نقلها الزركشي

من المستدرك ولم نكن من شيء أمر منا في ان المستدرك بيدنا وان الاصل المخطوط ومافي المستدرك تطابقا وهذا اشد ما يغبط الناشر كما يعرف ذلك كل محقق عانى ما عانيناه . فجاء هذا يزعم أنها في الاصل المخطوط (حبة) لا (حبيبة) ولو سأل اي متاول في دار الكتب لقرأها له على صحتها . وأقل ممارسة لخط الزركشي تدل صاحبها على أن الاسنان في هذه الكلمة ثلاث لا واحدة والصفحة مصورة في كتابنا يرجع اليها من شاء . ولعل عذر الكاتب سوء النظر . وأحر بمن يطمح إلى إبداء رأي في عمل كنشر (الاجابة) للزركشي ان يحسن القراءة ويتلقى الكتاب على من يحسن تلقينه ، قبل الاقدام على عرض الآراء على ما خيلت .

٤ — قوله : « وهم العلامة الاستاذ كرنكو . . . » غير صحيح البتة ، فلم يخطئ كرنكو في وفاة البزار ، وهذا كتابه محفوظ عندي وفيه سنة الوفاة (٢٩٢) ، وإنما تحرفت في الطبع ثم سارعت المجلة الى تصحيحها في (م ١٦ ص ٤٨٠ قبل صدور كلمة الكاتب بأكثر من شهرين ، واشارت إلى ذلك ايضاً في (م ١٦ ص ٥٨٨) في جدول الخطأ والصواب . وليس من المروءة التسرع في اتهام المحسنين . وقليل من الانصاف وإبصار الحق يزين صاحبه .

ب — وأما الصواب : ففي سقوط الف (ابو الفضل ابن حجر) ، وفي ان (ابو حجاج) في الأصل (ابو الحجاج) ، وفي ان ص ١٦٥ في الفهرس صوابها ١٦٦ ، وفي انتباهه الى الخطأ في (حفصة بن عمر ام المؤمنين) و (شرح جامع الجوامع ، و (الصباح المنير) الواردات في فهارس الكتاب ، فقد استطاع ان يعرف ان الصواب في الأولى (حفصة بنت . .) وفي الثانية (شرح جمع الجوامع) وفي الثالثة (المصباح المنير) لكنه لم يعرف أنها وردت على الصواب في عدة مواضع من الكتاب . ولست أدري هل هذا مما يلاحظ على اخراج كتاب كان السطر الواحد أحياناً يقذي عين ناشره نهاراً وطرفاً من الليل حتى يعثر على صوابه في مظان موثوقة ؟

لست أدري وإنما علي أن أشكره مهما كانت نيته والدافعون له فقد أتعب نفسه جداً وحسبك انه اختبر نحواً من (٢٤٠٠) رقماً في الفهرس حتى وجد أن ص ١٦٥ صوابها ١٦٦ . وللقراء بعد أن يحكموا بما وجدوا .

اما عدم فهمه لترجيحي رسم (داوود) بواوين على رغم وضوح العلة ، ولصواب قولي (وعروة وابن الزبير) وما الى ذلك فأرى من الغثاثة شرحه في مثل هذه المجلة المحترمة لشدة وضوحه .

سعيد الافغاني

فند شمع أيضاً

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي (م ١٧ — ص ٥٧) للأستاذ المغربي كلمة حول (فند شمع) تساءل بها الأستاذ عن منشئها ثم ذكر شيئاً عن (المعدن التي منه نبتت) . ولما لم يعثر في كل ما عنده من كتب اللغة على ما يبل الغلة رجع الى الحاج علي اكبر الشيرازي احد النزلاء الإيرانيين بدمشق ، يستفتيه في هذه الكلمة . . . الخ ما ورد في مقاله الطويل .

وفي رأيي ان منشأ كلمة (فند) جلي لا يحتاج الى هذا التأويل والتوجيه المتكلف .

الأمر بسيط جداً : ان كلمة (فند) معرّبة عن كلمة (بند) الفارسية (بالباء الموحدة التحتية) ومعناها (الرّبطة ، الرباط ، السلسلة ، القيد . . .) واستبدال العرب الفاء بالباء الموحدة أو المثلثة التحتية امر لا يحتاج الى تدليل .

على هذا ان اصل (فند شمع) هو (بند شمع) والمعنى (ربطة شمع ، حزمة شمع) .

ومن العجيب ألا يفطن الحاج الشيرازي المعمر ، إلى هذا .

وليس لنا ان ندعي عروبة (فند) وهي من اصل فارسي لا ريب فيه .

اما كلمة (پند بالباء المثلثة التحتية) فمعناها (الوعظ والنصيحة) ، وكلمة (فند ، الفارسية) فمعناها (الحيلة والدسيسة) فلا يمكن ان تكونا منشأ لكلمة (فند شمع) كما هو واضح .

هذا واني ما كنت لأتعرض لمقال الأستاذ المغربي الفاضل ، بهذه الكلمة ، لولا ثقتي بحرصه على ظهور الحق الذي هو رائد الجميع والله الموفق .

الدكتور

محمد صلاح الدين الكواكبي

نشكر الدكتور اهتمامه ونقدر رأيه قدره ولكن اللغة مرجعها النقل لا الرأي فهل الدكتور ان ينقل لنا ان كان الفرس يستعملون كلمة (بند) في مثل هذا التركيب فيقولون (بند شمع) اي حزمة شمع والا فان عرب سورية ليسوا فرساً حتى يستعملوا كلمة فارسية لا يستعملها العرب فالمسألة إذن لا تزال في حاجة إلى البحث والتمحيص .

المغربي

فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد السابع عشر

الصفحة

١٩٣ حكمة حكيم عربي . . . . للأستاذ محمد كرد علي . . .
٢٠١ نظرة في مجلة مجمع فؤاد الاول . . . للأمير مصطفى الشهابي .
٢١٤ قصور الأمويين في الديار الشامية . . . « جعفر الحسني . . .
٢٣٢ الأوهام العائرة . . . . للأب انستاس ماري الكرملي
٢٣٨ عشائر الشام . . . . للاستاذ وصفي زكريا . . .
٢٤٥ كلمة الإشنيام في شعر البحتري . . . « عبد القادر المغربي . .
٢٤٩ جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي . . . . . بتحقيق المستشرق الانكليزي المرحوم الأستاذ د . س . مرجليوث

مخطوطات ومطبوعات

٢٦٥ الحكيم موسى بن ميمون . . . للأستاذ محمد كرد علي . . .
٢٦٩ تطريب العندليب . . . . . . « شفيق جبري . . .
٢٧٠ تاريخ الرقة ومن نزلها للقشيري . . . . « يوسف العش . . .
٢٧٥ ضريبة الدخل في سورية . . . للدكتور احمد السمان . .
٢٧٧ ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام للأستاذ محمد احمد دهمان
٢٧٩ الشريف الرضي . . . . « صلاح الدين المنجد .
٢٨١ صحة الفم والاسنان . . . . . . للدكتور شفيق شحادة .

آراء وأنباء

٢٨٢ نظائر أخر لتكملة الجواليقي . . . للأستاذ كوركيس عواد .
٢٨٣ المغرب في ترتيب المعرب . . . . . . « مصطفى علي . . .
٢٨٥ تهافت حول الاجابة ايضاً . . . . . . « سعيد الأفغاني . .
٢٨٧ فند شمع ايضاً . . . . . للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

Bibliotheca Alexandrina
0652767